الحملةالصليبية الأولى على بلاد الشام

٤٩٢هـ / ١٠٩٩م - ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م

إعداد

هالا عبد الحميد ابراهيم الوريكات

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ

كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية

كانون الثاني ، ٢٠١٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنيـــــة

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م-٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٠/١/٥

أعضاء لجنة المناقشـــــــة	التوقيـــــــــــع
الدكتور "محمد عدنان" سلامة البخيت، مشرفاً أستاذ - تاريخ إسلامي	....
الدكتور فالح صالح حسين، عضواً أستاذ - تاريخ إسلامي	....
الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي، عضواً أستاذ - أدب عباسي	....
الدكتور عصام مصطفى عقلة،عضواً أستاذ مشارك - تاريخ إسلامي	....
الدكتور حسين محمد القهواتي، عضواً أستاذ- تاريخ أوروبا حديث(جامعة آل البيت)	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالـــة
التوقيع........ التاريخ ١/١٩....٢٠١٠

al-maktabeh
www. .com
مكتبة المهتدين

http://www.al-maktabeh.com

الإهداء

إلى والدي الذي أحمد الله أن أمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار

إلى أمي الحبيبة التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أخواتي اللواتي أرى التفاؤل بأعينهن .... و السعادة في ضحكاتهنّ

إلى أخوتي من بهم أكبر وعليهم أعتمد

إلى صديقاتي الأخوات اللواتي لم تلدهنّ أمي ...... إلى من عرفت كيف أجدهنّ وعلمنّي أن لا أضيعهنّ



مكتبة المهتدين الإسلامية

الشكر والتقدير

دائماً هي سطور الشكر تكون في غاية الصعوبة عند صياغتها ربما لأنها تشعرنا دوماً بقصورها وعدم إيفائها حق من نهديه هذه الأسطر، واليوم أقف أمام الصعوبة ذاتها، وأنا أحاول صياغة كلمات شكر إلى ينبوع عطاء تدفق بالخير الكثير، ليروي هذه الاطروحة بالعلم والمعرفة ويدعم أسسها وقواعدها، إن الشكر والتقدير كلمات بسيطة أخصصها لاستاذي الاستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت الذي لم يبخل عليّ طوال فترة إعداد الإطروحة بشيئ من علمه ووقته؛ ولايسعني هنا سوى الاعتراف بما أحدثه تتلمذي على يديه من تغير واضح في منهجي لدراسة التاريخ وتغير نظرتي الى اسلوب دراسة الاحداث التاريخية وربطها مع بعضها البعض،فالشكر كل الشكرللاستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت الذي أعطى ومازال يُعطي الكثير لعلم التاريخ ورواده.

ومن باب الاعتراف بالفضل فإنني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور فالح حسين الذي أشرف علي فترة أعداد رسالة الماجستير ، فكان و ما زال لتوجيهاته الكريمة الأثر الكبير في نفسي. كما وأتقدم بالشكر لكل من تفضل عليّ بمناقشتي في موضوع اطروحتي.



http://www.al-maktabeh.com

فهرس المحتويات

مكتبة المهتدين الإسلامية

المختصرات والرموز:-

يشار للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:-

*** يذكر في الهامش لاول مرة المعلومات الكاملة عن المصدر أو المرجع وذلك على النحو التالي:**

اسم المؤلف كاملاً(تاريخ الوفاة اذا كان مصدراً)، اسم الكتاب كاملاً، اسم المحقق أو المترجم/ رقم الطبعة اذا كان متوفراً، عدد الاجزاء اذا كان هناك اكثر من جزء، دار النشر ومكأنها، سنة النشر.

*** عند تكرار استخدام المصدر أو المرجع يشاراليه على النحو التالي**

اسم المؤلف أو شهرته، الكلمة الأولى من اسم كتابه، الجزء(في حال وجود عدد من الاجزاء)، رقم الصفحة .

*** في حال تشابه مداخل اسماء كتب المؤلفين، يذكر اسم المؤلف مع كلمتين أو اكثر من اسم الكتاب..**

<u>الرموز العربية</u>

ص- صفحة	**ت- تاريخ الوفاة**
ج- جزء	**هـ - هجري**
ط- طبعة	**م- ميلادي**
مج- مجلد	**د.ت – دون الاشارة لتاريخ النشر**
ع – عدد	**د.ن – دون الاشارة للناشر**
ق- قسم	
د.تحقيق- دون تحقيق	

<u>الرموز الانجليزية</u>

P. - page

No-Nomber

E. I.[٢]-Encyclopedia of Islam

E.A-Encyclopedia Americana

vol. - Volume

http://www.al-maktabeh.com

الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م - ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م

اعداد

هالا عبد الحميد ابراهيم الوريكات

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

الملخص

جاءت هذه الإطروحة لتقدم توضيحا عن اوضاع بلاد الشام اثناء الحملة الصليبية الأولى والظروف السياسية والإجتماعية التي سهلت نجاح الحملة الصليبية، وإقامة مملكة لاتينية في بيت المقدس اللاتينية ما بين (٤٩٢هـ/١٠٩٩م- ٦٩٠هـ/ ١٢٩٢م).

وقد تم التمهيد للبحث بتحليل المصادر العربية واللاتينية التي استعانت بها الدراسة، بهدف التعرف على مصادرها الأولية ومدى دقة رواياتها واتجاهات الكتاب وانعكاس كل ذلك على مصداقية الرواية التاريخية .كما تناولت الدراسة موضوع بواعث الحملة الصليبية الأولى من حيث استغاثات الحجاج الأوروبيين والإمبراطورية البيزنطية بالبابوية ضد المسلمين، وتحليل خطاب البابا أوربان الثاني Pope Urban II ٢٨ ذو القعدة ٤٨٩هـ/٢٨تشرين الثاني ١٠٩٥م ، واخيراً عرض سريع لخط سير الحملة الصليبية من كليرمونت Clearmont إلى القسطنطينية(Constantinople). كما تناولت الإطروحة الخارطة السياسية والعسكرية والبشرية للواجهة الإسلامية من الحدود البيزنطية الى مصر الفاطمية. وقد اخذ حيزا كبيراً من حجم الإطروحة موضوع الزحف الصليبي من نيقية إلى القدس؛ وبيان دور المسيحيين وخاصة الأرمن، بالإضافة إلى المجاعات والعوامل البيئية، في نجاح أو إعاقة الحملة الصليبية بالإضافة إلى رد فعل القوى الإسلامية في هذه الفترة .كما تم تقديم عرض حول نشوء المملكة اللاتينية والترتيبات الإدارية الداخلية فيها، بالإضافة إلى العلاقة بين المملكة الصليبية اللاتينية والإمارات الصليبية الأخرى في الرها، وأنطاكية، وطرابلس، والعلاقات الصليبية – المحلية(المسيحيون، المسلمون)، وتم التعرض ايضاً الى محاولات التوسع لغايات الحماية وخاصة في مناطق شرق الاردن، والتطور التاريخي لمفهوم المناصفة، واثر ذلك في ردود الفعل في العالم الإسلامي سواء من حيث موقف المسلمين أو المسيحيين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المقدمة:

إن الدارس لحروب الفرنجة المعروفة بالحروب الصليبية[1] ليجدها حقاً؛ كما يقول يوشع براور Joshua Braur، "تقدم بقيامها ونتائجها لمن يهتم بدراسة التاريخ مثالاً فريداً عن مدى ما يمكن أن ينتج عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية من استجابات"[2]. وربما كان هذا إضافةً لتساؤل

---

(١) درج الباحثون على استخدام مصطلح الحروب الصليبية للدلالة على الحملات التي شنها الغرب الأوروبي على الشرق الإسلامي منذ نهاية القرن الخامس الى الثامن الهجريين/ الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلاديين، وكان الباحث يفضل استخدام مصطلح الحملات الإفرنجية، لأنه الاسم الذي عرفت به في المصادر العربية الأولية، ولمزيد من المعلومات حول مصطلح الفرنجة في الروايات العربية انظر : حمزة بن أسد بن علي بن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، ط١، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٣م، ص٢١٨، وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن القلانسي، ذيل تاريخ؛ محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار، أبو عبد الله التنوخي الحلبي العظيمي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، تاريخ العظيمي، تحقيق سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط١، ٢٥ج، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٧، ص ٢١، وسيشار إليه لاحقاً بـ: العظيمي، تاريخ؛ علي بن أبي الكرم محمد بن محمدبن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، ٩ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٨، ص٢٤٠-٢٤٣، وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن الأثير، الكامل. وأسمتها المصادر الصليبية الأولى بحروب الفرنجة أيضاً، مثل كتاب:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition to Jerrusalem,١٠٩٥-١١٢٧, Translated by Frances Rita Rayan, Edited by Harold S. Fink, W. W. Nrton and Company. INC, New York,١٩٧٣, p. ٣١;

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition;

وانظر أيضاً:

Francesco Gabrielli, Arab Historians of the Crusades, Routdege and Kegan Paul, London, ١٩٦٩, p. ١٠.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Gabrielli, Arab Historians;

وانظر: ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ط١، ترجمة بشير السباعي، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٠. ترجم عن الأصل الفرنسي:

Michel Balar, Croisades ET Orient Latin, Xle - Xive Sieecle, Armnd Colin, Paris, ٢٠٠١.

وسيشار إليه لاحقاً بـ: بالار، الحملات الصليبية.

(٢) يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية – القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٢. ترجم عن النص الانجليزي وهو بعنوان :

Joshua Braur, the World of the Crusades, Jerusalem, ١٩٧٢.

http://www.al-maktabeh.com

فوشيه الشارتري Fulcher of Charter باستغراب عن بقاء الصليبيين في بلاد الشام وهم قلة وتمكنهم من تأسيس المملكة اللاتينية ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وعدم قيام الدول الإسلامية بمهاجمتهم بدايةً[١]، دافعاً لدى الباحث في دراسة الحملة الصليبية الأولى. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تقف إلى جانب العديد من الدراسات العربية الجادة التي تبحث في فترة الحملة الصليبية الأولى والهادفة إلى دراسة عوامل نجاحها بحيادية وموضوعية، مظهراً في ذلك الجوانب الاجتماعية والبيئية التي رافقت الحملة الصليبية الأولى، ولتحقيق هذه الغاية جاءت هيكلية الأطروحة على شكل خمسة فصول، تناول الفصل الأول، العرض والتحليل لأهم المصادر والدراسات التي تمت الاستعانة بها عند كتابة الأطروحة من خلال توضيح أهم القضايا والجوانب التي تناولتها. وتناول الفصل الثاني، مقدمات الحملة الصليبية الأولى على الساحل الشامي(٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م- ٤٩٠هـ/١٠٩٧م)، وركزت الأطروحة في هذا الجانب على بواعث الحملة الصليبية الأولى، من حيث الاستغاثات البيزنطية بالغرب الأوروبي بين(١٠٧١م - ١٠٩٥م)، واستغاثات الحجاج الغربيين بالبابوية لحمايتهم من تعديات المسلمين عليهم، وفي هذا الجانب تم توضيح تطور فكرة الحج المسيحي والدور الذي لعبه دير كلوني Cluny، في هذا المجال والروايات العربية واللاتينية حول أوضاع الحجاج المسيحيين إلى بلاد الشام والعلاقة بين الحملة الصليبية الأولى وحروب الاسترداد Reconquista في الأندلس، بالإضافة إلى عرض لأهم طرق الحج آنذاك، ولم تغفل الدراسة في هذا الجانب عرضاً تحليلياً للخطاب الذي ألقاه البابا أوربان الثاني Pope Urban II[٢] في مجمع كليرمونت Council of Clearmont ٢٨ ذو القعدة ٤٨٩هـ/٢٨تشرين الثاني ١٠٩٥م، وذلك لكونه واحداً من أخطر الخطابات السياسية الدينية في العالم والتي أشعلت فتيل صراع غربي (مسيحي) وشرقي (إسلامي) دام مداه العلني على اقل تقدير مائتي عام. كما، تمّ تناول موضوع تنظيم الحملة الصليبية الأولى وأسس تقسيم جيوشها وخط سيرها، ومكان وزمن الانطلاق والالتقاء، بالاضافة إلى مصادر تموينها، وتعرض البحث إلى أهم المعيقات إلي تعرضت لها جيوش الحملة الأولى في أوروبا ما بين كليرمونت والقسطنطينية (Constantinople). أما الفصل الثالث فقد تناول واقع العالم الإسلامي أثناء الزحف الصليبي على بلاد الشام، عن طريق تتبع الخط الذي عبره الصليبيون على النحو التالي:

وسيشار إليه لاحقاً بـ: براور، عالم الصليبيين.

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١١٢.

(٢) للتعريف بالبابا أوربان الثاني، انظر الفصل الثاني

مكتبة المهتدين الإسلامية

أولاً: الأناضول Anadolu الواقع تحت نفوذ سلطنة سلاجقة الروم (٤٧٠هـ/١٠٧٧م-٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)؛ إضافةً إلى بعض الدويلات المحلية التي كان لها علاقة بالحملة الصليبية الأولى، مثل الدولة الدانشمندية (٤٦٣هـ-١٠٧١/ ٥٧٢هـ- ١١٧٧م)، وحاولت الدراسة عدم إغفال السكان المحليين وأصولهم وانتماءاتهم.

ثانياً: الثغور الشامية حيث تم تناول أهمية موقعها الجغرافي، واضطراب الوضع السياسي فيها في ظل السيطرة السلجوقية واثر كل ذلك على الاستقرار السكاني.

ثالثاً: بلاد الشام حيث تم تناول تقسيماتها وموقعها الجغرافي، وتتبع الصراع الفاطمي(الشيعي) والسلجوقي(السني) عليها، ولم يغفل في هذا الجانب الإمارات المحلية التي انتشرت فيها مع بيان مناطق نفوذها وتأثيرها على الأوضاع في بلاد الشام.

وجاء الفصل الرابع ليتناول موضوع الزحف الصليبي من نيقية Nicaea إلى القدس (٤٩٠هـ/١٠٩٧م-٤٩٢هـ/١٠٩٩م) على النحو التالي: التوسع الصليبي في الأناضول وسهول كليكية Cilicia (ربيع الآخر – ذي القعدة ٤٩٠هـ/نيسان – تشرين أول ١٠٩٧م. وبحكم اتساع المساحة والزمان لهذا الموضوع فقد جاء اكبر الفصول حجماً، وتم تناول هذا الفصل بتسلسل زماني ومكاني متتبعاً للأحداث العسكرية والمباحثات السياسية التي رافقت عبور الصليبيين للمنطقة، وردود فعل القوى الإسلامية الرسمية أو المحلية على التوسع الصليبي، ومصادر وحجم الإمدادات التي حصل عليها الصليبيون والدوافع التي دفعت الأهالي إلى مساندة الصليبيين إما بشكل فردي أو جماعي، كما تم التعرض إلى المجاعات والظروف البيئية والمناخية التي أثرت على تحركات الصليبيين في المنطقة إضافة إلى الأخطار الداخلية التي تعرض لها الصليبيون والتي كانت إما على شكل صراع بين القادة أو فتور في همة الصليبيين أو ظهور فوارق اقتصادية ما بين القوات الصليبية.

وجاء الفصل الخامس ليتناول مملكة بيت المقدس اللاتينية ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م- ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، من حيث نشوء المملكة والترتيبات الإدارية والعلاقات الداخلية في المملكة الصليبية اللاتينية - العلاقة بين المملكة الصليبية اللاتينية والإمارات الصليبية الأخرى (الرها، وأنطاكية، وطرابلس)، بالاضافة إلى العلاقات الصليبية – المحلية (المسيحيون، المسلمون)، وخاصة فيما يتعلق بتقديم تمهيد تاريخي لنظام المناصفات، وأخيراً تم التعرض للحملات التوسعية الصليبية لغايات الحماية وخاصة في منطقة شرق الأردن.

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الأول: تحليل المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

كتب تاريخ المدن والأقاليم، وأهمها كتاب ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق[(١)]، الذي اتضحت أهميته للدراسة من أول خبر أورده عن الحملة الصليبية الأولى في أحداث ذي القعدة ٤٩٠هـ/ نيسان ١٠٩٧م، على النحو التالي:

"وفي هذه السنة، كان مبدأ تواصل الأخبار بظهور عساكر الإفرنج من بحر القسطنطينية[(٢)] في عالم لا يحصى عدده كثرةً، وتتابعت الأنباء بذلك، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها..."[(٣)]، ولهذا النص اعتبارات

---

(١) حمزة بن أسد التميمي ابن القلانسي عاش ما بين (٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣م - ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م؛ مؤرخ دمشقي، أتمّ تاريخ هلال الصابئ (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م) الذي وقف عند عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، فوصل به ابن القلانسي إلى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، في كتابه "ذيل تاريخ دمشق"، وقد شغل ابن القلانسي عدة مناصب إدارية هامة في دمشق والشام مما أتاح له أن يتناول عن قرب أحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية. وروايته للأحداث رواية شاهد معاصر، كثيراً ما استعان في كتابتها بالوثائق المتوفرة لديه، مما يجعل كتابه من المصادر الأساسية للحقبة الأولى من فترة الحروب الصليبية؛ ولمزيد من المعلومات عن الكتابة التاريخية عند ابن القلانسي انظر:

C. L. Cahen, "Ibn al-Kalanisi", E. I.[٢], vol. iii, pp. ٨١٣-٨١٤.

وانظر أيضاً: عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، ١٩٦٧م، ص١١٠، وسيشار إليه لاحقاً: عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون؛ صلاح الدين المنجد، معجم المؤرخين الدمشقيين، ط١، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٤، وسيشار إليه لاحقاً: صلاح الدين المنجد، معجم المؤرخين؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٤ج، ط١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٧٩، ج٣، ص٢٣٦. وسيشار إليه لاحقاً: شاكر مصطفى، التاريخ العربي؛ مرغليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، (ترجمة حسين نصار)، جامعة القاهرة- القاهرة، د. ت، ص١٦٢. وسيشار إليه لاحقاً: مرغليوث، دراسات عن المؤرخين.

(٢) يقصد ببحر القسطنطينية مضيق البسفور Bosphour: ومضيق يصل بين البحر الأسود وبحر مرمره، ويعتبر مع مضيق الدردنيل الحدود الجنوبية بين قارة آسيا وأوربا، ويبلغ طوله ٣٠ كم، ويتراوح عرضه بين (٥٥٠ متر و٣٠٠٠ متر)، وعرف في المصادر الصليبية بذراع القديس جورج كان يتم التنقل عبره من خلال مجموعة من القوارب التابعة للقوة البحرية البيزنطي.

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, , p. ٤٥;

وانظر أيضاً:

V. J. Parry, "Bo Ghaz-ici", E. I.[٢], vol. i, pp. ١٢٥١-١٢٥٢

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عديدة أهمها أنه أقدم نص بالعربية عن الحملة الصليبية الأولى، يصف حصار مدينة نيقيةNicaea [(١)] رجب٤٩٠هـ/ تموز ١٠٩٧م[(٢)]، في كتاب موضوعه الرئيسي مدينة دمشق. وإذا أضفنا إلى ذلك اعتبار استخدام ابن القلانسي كلمة "تواصل"[(٣)] إشارة إلى الحملة الشعبية People's Campaign ١٠٩٥م[(٤)]، فان كل ذلك يدل على امتلاك ابن القلانسي وعياً مبكراً نسبياً حول هدف الحملة الصليبية الأولى ، والذي أعتبره غزواً لديار الإسلام ونيقية هي المحطة الأولى فيه "وتواصلت الأخبار بهذه النوبة المستبشعة في حق الإسلام، فعظم القلق، وزاد الخوف والفرق"[(٥)]، وحدد جنس هذه الشعوب الغازية بأنها فرنجية نسبة إلى الفرنسيين والذين شكلوا غالبية أفراد الحملة الصليبية الأولى ، فابن القلانسي – ممثل أتابكية دمشق- اهتم بتطورات الغزو الصليبي، وميز مبكراً بينها وبين الغزوات البيزنطية المعتادة على الأراضي الحدودية للدولة الإسلامية. وفي هذه الرواية – كما في العديد غيرها- لا يحدد ابن القلانسي مصدر معلوماته، ولكن يستنتج من عبارة

---

(١) نيقية Nicaea: تقع على خطَ٤٤:٣٩° شمالاً وَ٠١:٣٧° شرقاً، وصفتها مصادر الحملة الصليبية الأولى على النحو التالي: مدينة تتمتع بحصانة طبيعية تمثلت ببحيرة اسكانيوس التي تحيط بالمدينة من ثلاث جهات، ودفاعية من خلال إحاطتها بالأبراج العالية كما كان عليها أبراج المجانيق بالتناوب بحيث لا يستطيع احد التحرك بالقرب منها. وهي مدينة أزنيق Iznik الحالية، بلدة في الجزء الشمالي الغربي من تركيا في إقليم بثينيا بالقرب من بحيرة اسكانيوس Ascanius، تبعد عن القسطنطينية حوالي ٤٣٠كم إلى الجنوب الغربي، انظر:

John Hill, Raymond IV, Count of Toulouse, Green Wood Press, New York, ١٩٨٠, p.٧٧.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Hill, Raymond IV;

وانظر أيضاً:

Mortdmann, J." Iznik", E. I.[٢], vol.i v, pp. ٢٩١-٢٩٢

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨.

(٤) انظر الفصل الثاني.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٨

http://www.al-maktabeh.com

"تواصل الأخبار" أنها مأخوذة من تقارير رسمية متتابعة، وصلت إليه بحكم عمله بديوان الإنشاء[1]. ويؤخذ على ابن القلانسي انه لم يكن دقيقا بعض الأحيان ربما لاعتماده على السمع وعدم حصوله على تقارير إدارية، فمثلاً يعطي روايتين مختلفتين حول كيفية سقوط أنطاكية (Antioch)[2] ففي الأولى يشير إلى جماعة من الزرّادين باعوا احد الأبراج للإفرنج[3]، وفي الثانية يشير إلى خيانة فردية قام بها زرّاد ارمني[4]، مما يؤكد ان

---

(١) ديوان الإنشاء: ويعرف بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها وربما قيل ديوان المكاتبات، ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به، وليس أدل على أهميته من قول القلقشندي "أما رفعة محله وشرف قدره فأرفع محل وأشرف قدر يكاد أن لا يكون عند الملك أخص منه ولا ألزم لمجالسته ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل زمن مقدماً لديهم على من عداه، يلقون إليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء من الوزراء والأهل والولد وناهيك برتبة هذا محلها". احمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشأ، ط١، ١٥ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص١٣٩، وسيشار إليه لاحقاً: القلقشندي، صبح الأعشى.

(٢) أنطاكية (Antioch): تقع على خط عرضَ١٠:˚٣٦ شمالاً، ورد موقعها في مصادر الحملة الصليبية على النحو التالي: تقع أسفل السفح الغربي لجبال اللكام يجاورها شمالا سهل العمق ويحد السهل مستنفع ويخترقها نهر العاصي غرباً ليشكل حاجزا طبيعياً يحمي المدينة، التي ترتفع لتحتضن داخلها قمم ثلاث جبال يصعب الانتقال ما بينها لوجود هضبة عالية تفصل الجبل الواقع في الجهة الشمالية عن غيره والذي تعلوه قلعة المدينة الرئيسية، فضلا عن ذلك فان المدينة تحميها الأسوار والأبراج، فهي مدينة حصينة لا يمكن السيطرة عليها إذا ما عزم أهلها على الدفاع عنها؛ انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٤; Hill, Raymond IV, p. ٨٥-٨٧;

ولمزيد من المعلومات عن جغرافية إنطاكية التاريخية انظر:

M. Streck- H.A. R.Gibb "Antakiya", E. I.٢. vol. i, pp. ٥١٦-٥١٧

انظر أيضاً: إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت ٢٧٤هـ/٨٨٨م)، كتاب مسالك الممالك، ط١، د. تحقيق، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص٦٢، وسيشار إليه الإصطخري، مسالك الممالك؛ علي بن موسى ابن سعيد المغربي، (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)، بسط الأرض في الطول والعرض، ط١، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن- تطوان، ١٩٥٨م، ص ١٥٠، وسيشار إليه لاحقاً: ابن سعيد المغربي، بسط الأرض؛ ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، د. تحقيق، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٥١، وسيشار إليه لاحقاً: ياقوت الحموي، معجم البلدان؛ المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ط١، ٥مج، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٩٠م، مج١، ١٨٣-١٨٥، وسيشار إليه لاحقاً: المعجم الجغرافي.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ابن القلانسي اعتمد على تدوين ما يصله أولا بأول دون التمحيص في الأخبار؛ فيشير إلى ان" الإفرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بأن يسلموا إليه أول بلد يفتحونه ففتحوا نيقية وهي أول مكان فتحوه، فلم يفوا له ذلك ولم يسلموه على الشرط"[١]، وهذا يخالف حقيقة الأحداث والتي انتهت بتسليم الحامية السلجوقية المدينة للإمبراطور البيزنطي[٢]، ومن الروايات التي اعتمد فيها ابن القلانسي على السمع أخبار معركة عسقلان ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م لقوله "حُكِي"[٣]، وهي روايات شكك بها أحيانا كقوله " هذه صورة ما حكاه الحاكي، الله اعلم بالصحيح من غيره"[٤]، ومنها أيضاً أخبار ٤٩٩هـ- ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٥] والتي تتناول خروج الإفرنج لسواد طبرية[٦]، أما الروايات التي يشير فيها إلى اعتماده على مكاتبات ديوان الإنشاء بشكل واضح ومباشر هي أخبار حصار طرابلس ٤٩٥هـ/ ١١٠٣م، لاستهلاله الخبر بقوله "وفيها وردت مكاتبات"[٧].

كما أبدى ابن القلانسي تفّهمه للأحداث التاريخية وبواطن الأمور، في بعض القضايا مثل معالجته أثر الأزمات الاقتصادية، وخاصة تأثير الشدة العظمى(٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م-٤٦٤هـ/١٠٧١م)[٨]، على وضع الدولة الفاطمية في بلاد الشام وفساد وضعف الحامية الفاطمية فيها[٩]، إضافة إلى أثر الصراع السلجوقي والفاطمي على بلاد الشام، والذي أنعكس سلباً على مقاومة المدن الشامية، وأضعفها اقتصادياً أمام الغزو الصليبي،

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٩.

(٢) انظر الفصل الثالث.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٣.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٢١.

(٥)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤١، ٢٤٣.

(٦) طبرية : تقع إلى الشمال الشرقي من فلسطين تصفها المصادر الأولى للحملة الصليبية بأنها مجموعة من القرى تملؤها الكهوف، مزروعة بالحنطة والشعير يسكنها مجموعة من القبائل العربية، إضافة إلى المسيحيين السريان. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢٤١؛

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨١, ١٠٨;

ولمزيد من المعلومات عن الجغرافية التاريخية لطبرية انظر: ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص ١٥١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٧؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٣؛ الموسوعة الفلسطينية، ج٣، ص ٩٤-٩٥؛ انظر أيضاً:

M. Lavergne "Tabariyya", E. I.[٢], vol. x, pp. ١٨-١٩

(٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٨.

(٨) انظر الفصل الثالث.

(٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٩٢.

http://www.al-maktabeh.com

واعتياد الشاميين على نهب محاصيلهم، وتقديم الرشاوى للمقاتلين أيا كانوا حفاظاً على محاصيلهم، خاصةً في شمال الشام مما يوضح سبب تقاعس الريف الإنطاكي في مقاومة التوسع الصليبي. ويلاحظ على ابن القلانسي أنه توسع في الحديث عن الإجراءات التي يتخذها المسلمون للدفاع عن المدن وتجاهل تفاصيل الحصار(١)، كما حدث في أنطاكية.

يلاحظ من تتبعه لتتطور الأحداث بعد سقوط القدس، تفّهمِه أسباب التوسع الصليبي خاصةً في شرق الأردن وأثر ذلك على علاقة القبائل بالسلطات السياسية، بالاضافة إلى التعرف على دور بعض القبائل العربية في تطور الأحداث(٢)، خاصة في جنوب بلاد الشام مثل قبائل زبيد(٣) وطيء(٤). واتضح اهتمامه بالآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملة الصليبية من خلال إيراده للنصوص الأولى للمعاهدات الصليبية – السلجوقية والتي تطور عنها فيما بعد نظام المناصفات(٥). وقد حاول ابن القلانسي في أغلب الأحيان أن يمثل الموقف الرسمي لسلجوقية دمشق مما جعل رواياته جافة أحيانا، وهو الأمر الذي يتضح عند حديثه عن القادة المسلمين ومواقفهم فيذكر ردود فعلهم دون أي محاولة توضيحيه، مثل أحداث حصار أنطاكية

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧١.

(٣) أحمد بن يحيى، ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين"، ط١، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث -بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص١٣٨، وسيشار إليه لاحقاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار؛ القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ط٣، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٦٨، وسيشار إليه لاحقاً: القلقشندي، نهاية الأرب؛ ويشير عمر رضا كحالة إلى أنهم من عشائر حوران، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط١، ٣ج، المطبعة الهاشمية – دمشق، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ج٢، ص٤٦٤، وسيشار إليه لاحقاً: رضا كحالة، معجم قبائل.

(٤) طيء: قبيلة من كهلان من القحطانية تنتسب إلى طيء بن أدد، تتفرع منها بطون وأفخاذ عديدة، كانت تسكن فترة الدراسة جنوب فلسطين، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١٠٧؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٢٦؛ وللتعرف على تاريخ طيء في جنوب بلاد الشام انظر: مصطفى الحياري، الإمارة الطائية في بلاد الشام، ط١، وزارة الثقافة والشباب – عمان، ١٩٧٧م. وسيشار إليه لاحقاً بـ: مصطفى الحياري، الإمارة الطائية.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

من ١٣ ذي القعدة ٤٩٠هـ/٢٢ تشرين الأول ١٠٩٧م إلى ١رجب ٤٩١هـ/٤ حزيران ١٠٩٨م، فيشير إلى أن ياغي سيان (ت ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م)(١) أخذ يرسل مندوبيه إلى الحكّام المسلمين المحيطين به طالباً منهم مساعدته في مقاومة الخطر الصليبي الزاحف إلى أنطاكية، وسارع إلى تلبية ندائه دُقاق بن تُتش (ت٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)(٢) صاحب دمشق، وكربوغا (ت٤٩٥هـ/١١٠٢م)(٣) أمير الموصل، وتقاعس رضوان بن تتش (ت٥٠٧هـ/١١١٣م)(٤) صاحب حلب عن تقديم المساعدة(٥)، ولعل من ابرز الامثلة على موقف ابن القلانسي الموالي للسلطة السياسية هو اغفاله لاحداث مهمة لم يكن لاتابكية دمشق موقفا منها مثل استيلاء الفرنج على طبرية ، كما بدا من جانب اخر في تتبع محاولات الدولة الفاطمية لاستعادة الساحل الشامي مع بداية التعاون بين اتابكية دمشق والفاطميين(٦).

---

(١) مؤيد الدين ياغي سيان بن محمد بن ألب التركماني (ت ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م) مملوك من مماليك السلطان ملكشاه، الذي استولى على أنطاكية عام٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م وجعل ياغي سيان والياً عليها حوالي عام٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م.

Mohammed Yusuf Siddiq, "Yaghisiyan", E. I.٢, vol. xi, p. ٥١٧.

(٢) شمس الملوك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان (ت ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)، هو حاكم سلجوقي حكم دمشق وأقاليمها في الفترة مابين(٤٨٧هـ/١٠٩٥م-٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)، وانظر:

K. V. Zettersteen, "Rudwan", E. I.٢, vol. iii, pp. ١١٥٤-١١٥٥

وانظر الفصل الرابع، هامش، رقم (٣)، ص٤٨.

(٣) قوام الدولة كربوغا التركي (ت ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م): ورد اسمه بلفظين كربوغا وكربوغا صاحب الموصل، كان له مساهمة كبيرة في محاولة التصدي للغزو الصليبي، وكان لسوء معاملته للقادة المشاركين في حصار أنطاكية أثر كبير في إضعاف الجبهة الإسلامية، وأبرز أعماله استيلاؤه على معظم أذربيجان لصالح السلطان بركياروق عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٢م؛ انظر:

K. V. Zettersteen, "Kurbuka", E. I.٢, vol. v, p. ٤٣٧

(٤) فخر الملك رضوان بن تتش بن ألب أرسلان (ت ٥٠٧هـ/١١١٣م) حاكم سلجوقي حكم حلب في الفترة ما بين٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م إلى حين وفاته في٥٠٧هـ/ ١١١٣م؛ انظر:

K. V. Zettersteen, "Rudwan", E. I.٢, vol. iii, pp. ١١٥٤-١١٥٥

وانظر الفصل الرابع هامش رقم(٣)، ص٤٨.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٤، ٢٢٩.

http://www.al-maktabeh.com

ومن المصادر الهامة في دراسة التاريخ المحلي ما أورده ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ /١٢٦٣م)[١] في كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب، فقد تمكن ابن العديم ومن خلال منصبه السياسي كوزير لحلب متزامناً مع ثقافته العالية من إحداث تنوع كبير في مصادره فقد أطلع على العديد من الكتب المغيبة عنا أو التي وصلنا أجزاء متفرقة منها مثل كتاب العظيمي[٢]، ويلاحظ على ابن العديم تجنب الإشارة إلى مصادره إذ يستخدم غالباً عبارة "قيل"[٣]، وفي أحيان أخرى تظهر معلوماته على درجة عالية من الدقة، وخاصة في القضايا ذات العلاقة بمدينة حلب، إذ اعتمد في أخباره الثقات من أهلها مثل جده[٤]، وبعض المبرزين من أهلها ففي أحداث معرة النعمان[٥] (٤٩١هـ/١٠٩٨م)[٦]، فيذكر أسماء بعض الأسر الناجية من مجزرة معرة النعمان والتي استوطنت حلب

---

(١) كمال الدين ابوالقاسم عمر بن احمد بن العديم عاش ما بين ٥٨٨هـ/١١٩٢م- ٦٦٠هـ/ ١٢٦٣م)، وهو من أسرة سياسية إضافة إلى أنها واسعة الثراء كانت أهلا للعلم والقضاء والأدب، تعلم في حلب، ورافق أباه في أسفاره كان جليسا لأهل العلم وعمل بالتدريس شطرا، وعمل سفيرا لملوك حلب في بلاط مصر وبغداد، ترك العديد من المؤلفات أهمها كتاب بغية الطلب في أخبار حلب وهو في التراجم، وكتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ٢ج، ط١، دار الكتاب العربي- دمشق، ١٩٩٧م. وسيشار إليه لاحقاً: ابن العديم، زبدة الحلب وهو مختصر للبغية ولكن بشكل حولي. ابن العديم، زبدة الحلب، المقدمة؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣، ص٢٣٦-٢٣٤؛ انظر أيضاً:

B. Lewis ,"Ibn al-Dim", E. I.٢, vol. iii, p. ٦٩٥-٦٩٦

(٢) العظيمي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار، أبو عبد الله التنوخي الحلبي، تاريخ العظيمي، تحقيق سهيل زكار، الموسوعة الشامية ط١، ٢٥ج، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م؛ وانظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، المقدمة ص٤.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٢٣.

(٥) معرّة النعمان: تقع إلى الجنوب الشرقي للبارة وأنطاكية، على السفح الشرقي لجبل الزاوية على خط ٣٥°٣٨َ شمالاً و٣٦ْ٤٠َ شرقاً. تصفها مصادر الحملة بأنها مدينة غنية مزدحمة السكان على بعد ٨ أميال عن البارة، تحيطها الأسوار من الجهة الشمالية والشرقية إلا أنها أبراج محدودة الارتفاع يكشفها بناء برج يلصق بها، تعتمد في مواردها المائية على المجموع من مياه الإمطار؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٢؛ انظر أيضاً:

Hill, Raymond IV, p. ١٦٥.

ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر: المعجم الجغرافي، مج٥، ص٣٠٥؛ وانظر:

N Elisseeff," Ma ,arrat-an-Numan", E. I.٢, vol. v, pp.٩٢٢- ٩٢٧

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٥٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فيما بعد[١]، وكان على صلة بها ومنها استقى أخبار المعرة، وفي مواقع أخرى أورد ابن العديم أخباره استناداً على المكاتبات الرسمية لحلب كما في أحداث ٥٠٥هـ/ ١١١١م[٢]، وأحداث مهاجمة بلدوين الثاني BaldwinII (ت٥٢٦هـ/١١٣١م)[٣] لأراضي حلب[٤].

أما فيما يتعلق بكتب التاريخ العام فيظهر هنا ابن الأثير(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)[٥] في كتابه الكامل في التاريخ، وابن الأثير من المؤرخين غير المعاصرين للأحداث موضوع الأطروحة، وكتابه الكامل في التاريخ يندرج ضمن كتب التاريخ العام، إلاّ أنه يعتبر من أفضل ما كتب بالعربية على نسق الحوليات، وتمتاز كتاباته بالتفصيل دون الإخلال بالتنسيق أو عرض المادة، وأوضح ابن الأثير مصادره ومنهجه في مقدمة كتابه الكامل بقوله" فأني ما زلت محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها، مائلا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلما تأملتها رايتها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض، فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات... فكان الطالب إذا أراد ان يطالع تاريخاً احتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الإخلال والإملال..."[٦].

أما بالنسبة لموضوع الأطروحة فقد احتوى على كثير من الروايات التي لم تتوافر في الروايات العربية المعاصرة للحدث والتي استقاها من الكتابات والروايات الشفهية والمدونة العربية منها والإفرنجية، والتي

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٥٥.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٧٠.

(٣) انظر الفصل الخامس، عهد بلدوين الثاني.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤١٧.

(٥) ابن الأثير، عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم الشيباني، ولد في جزيرة ابن عمر عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وانتقل إلى الموصل مع والده، كان إماماً حافظاً في الحديث خبيراً بالأنساب والأيام، ألف تصانيف منها كتاب الكامل في التاريخ، يبدأ من الخليقة وينتهي بعام ٦٢٨هـ/١٢٣١م. ابن الأثير، الكامل، مقدمة المحقق. ولمزيد من المعلومات حول الكتابة التاريخية عند ابن الأثير انظر:

F. Rosentahal, "Ibn- al-Athir", E.I.٢, vol. iii, pp. ٧٢٣-٧٢٥; Gibb, Notes on The History, p. ٣٤٢;

وانظر: هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، ط١، ترجمة يوسف أبيش، مؤسسة خليفة للطباعة- بيروت، ١٩٧٣م، ص٧٠، وسيشار إليه لاحقاً: جب، صلاح الدين الأيوبي؛ صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، الغدير- بيروت، د. ت، ص٢١٣، وسيشار إليه لاحقاً بـ: صائب عبد الحميد، علم التاريخ.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١، مقدمة المؤلف، ص٥-٦.

http://www.al-maktabeh.com

حصل عليها من رحلاته بين المدن الإسلامية الكبرى كالموصل وبغداد ودمشق والقدس(١)، ومن رواياته ذات المصدر الصليبي رواية الحربة المقدسة(٢).

ظهر أسلوب التقصي عند ابن الأثير عندما تناول تطور الصراع الإسلامي الصليبي في اسبانيا (حروب الاسترداد Reconquista)(٣) وعلاقتها بالحملة الصليبية الأولى ، وخروج صقلية Sicily(٤) من أيدي المسلمين، وموقف حاكمها روجر الأول Roger I (ت١١٠١م)(٥) من الحملة الصليبية(٦)، والتي اعتبرها مقدمات للحملة على بلاد الشام. ويبتعد ابن الأثير عن الدقة قليلا عندما حاول أن يعطي تصوراً عن دوافع الحملة وربطها بأطماع

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، مقدمة المؤلف، ص٥-٦؛ وانظر أيضاً:

Gibb, Notes on The History, p. ٣٤٢; F. Rosentahal, "Ibn- al-Athir", E.I.٢, vol. iii, pp. ٧٢٣-٧٢٥.

(٢) انظر الفصل الرابع الزحف الصليبي من نيقية – القدس.

(٣) حروب الاسترداد Reconquista: تستعمل في نطاق الأندلس للإشارة إلى الفترة التي تمتد ما بين سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م- ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢ سقوط مملكة غرناطة. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٢؛ وانظر أيضاً:

G. S. Colin, "AL- Andalus", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٨٧-٥٠٣

(٤) صقلية Sicily:- أكبر جزر البحر المتوسط وتقع جنوب شبه الجزيرة الايطالية على°٤١ درجة على خط الطول و°١٢ درجة على خط العرض، مساحتها ٢٥. ٧١٠ كيلومتر مربع. بدأ الغزو الإسلامي لها منذ عام ٢١٢هـ/٨٢٧م للعام ٢٨٩هـ/٩٠٢ م، عندما سقطت طيرمينة Taormina آخر معاقل بيزنطة المهمة التي غزاها إبراهيم الثاني الأغلبي ليجعل كل صقلية تحت السيطرة الإسلامية وكان يرمي إلى مواصلة التقدم في ايطاليا شمالاً والوصول إلى روما والقسطنطينية، إلا أن مسيرته سرعان ما توقفت، ويعتقد أن سبب توقف العمليات العسكرية كان قلة التنظيم وقصور الإمدادات، وبعد ذلك تجرأ النورمان فهاجموا صقلية في عام٤٥٧هـ/ ١٠٦١م , مفتتحين ثلاثين عاما من الصراع ضد المسلمين الذي انتهى كلياً عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٤١-٣٤٤؛ وانظر أيضاً:

Howerd R. Marraro ,"Sicily", E.A, vol. ٢٤, p١٢٨ ; Vingenza Grassi," Sikilliyya", E. I.٢, vol. ix, pp. ٥٨٢-٥٩١.

(٥) روجر الأول Roger I (ت١١٠١م)، (١٠٦١-١١٠١م)، وهو شقيق Robert Joiscard والد بوهيمند احد ابرز قادة الحملة الصليبية الأولى ، اشترك روجر مع اخيه بغزو صقلية وبالرمو ومالطة، وحكم صقلية منذ عام عام٤٥٧هـ/ ١٠٦١م، وورث اخيه في ايطاليا، ومع انه اخرج العرب من صقلية ومالطة وادخل إليها المسيحية إلا أنه يشتهر بحسن معاملته لرعاياه المسلمين.

Benjamin W, Wells, "Roger I", E.A, vol. ٢٣, pp. ٦٢٦-٦٢٧; Vingenza Grassi," Sikilliyya", E. I.٢, vol. ix, pp. ٥٨٢-٥٩١

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

شخصية لبلدوين الأول Baldwin I[1]، وترتبط هذه الإشارة وتدل على ما تلى من أحداث، فبلدوين في الحملة الصليبية لم يتعدّ كونه قائداً في جند أخيه غودفروي دوق اللورين Godfroy of Bouillon [2]، واتضح أسلوب التفصيل مع دقة الربط دون الإخلال بالموضوع عندما أسهب ابن الأثير في توضيح حصانة المدن الإسلامية وخاصة أنطاكية ونيقية ودور ذلك في إعاقة التقدم الصليبي. إضافةً إلى توزع بلاد الشام بين النفوذ الفاطمي والسلجوقي، والإمارات المستقلة في بلاد الشام وعلاقتها مع الدولتين الفاطمية والسلجوقية وأثر ذلك في إضعاف الجبهة الإسلامية في مقاومة تقدم الزحف الصليبي[3]. ويجدر الانتباه هنا إلى رواية ابن الأثير عن موقف الدولة الفاطمية من الحملة الصليبية والتي يختمها بقوله" الله اعلم"[4]، ويشير فيها إلى أن الفاطميين كانوا قد بعثوا برسالة إلى الفرنجة يدعونهم لإنقاذ بيت المقدس من أيدي السلاجقة. وقد

---

(١) بلدوين الأول Baldwin I (ت ١١١٨م): أحد قادة الحملة الصليبية الأولى ومؤسس كونتية الرها وثاني ملوك مملكة بيت المقدس بعد خلافته لأخيه غودفري ما بين ٤٩٣هـ/ تموز١١٠٠م- ٥١١هـ/ ٢٥ اذار ١١١٨م؛

انظر الفصل الخامس، عهد بلدوين الأول. وانظر أيضاً:

Oldenbourg, Zoe, The Crusades, Collins- London, ١٩٧٢, p.٩٨.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Oldenbourg, The Crusades.

(٢) غودفروي دوق اللورين Godfroy of Bouillon: عاش ما بين (١٠٦٠-١١٠٠م) هو أحد أبرز القادة ال اقطاعيين المشاركين بالحملة وقد امتازت اقطاعيته باللورين بصغرها ومحدودية مصادرها ووجود خلافات كثيرة بينه وبين أفراد الأسرة حولها، شارك في الحملة منذ بدايتها وحتى وفاته في عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، انظر الفصل الخامس، عهد غودفروي؛ وانظر أيضاً:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٩٧-٩٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٤٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٣٩٨.

http://www.al-maktabeh.com

أوضح ابن الأثير صورة للسياسة الفاطمية في بلاد الشام كانت التعسفية كما حدث في صور(١) عامي ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م(٢) و٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م(٣). كما ينفرد ابن الأثير في التوسع في تتبع سقوط عكا(٤) (أواخر رجب ٤٩٧هـ/ أواخر نيسان ١١٠٤م)(٥)، ومن ضمن الروايات التي ينفرد بها ابن الأثير إشارته إلى أن دقاق صاحب دمشق "

---

(١) صور: تقع على خط َ١٦ ْ٣٣ شمالا وَ١٠: ْ٣٥ شرقاً تأتي أهمية المدينة من إشرافها على جبل عاملة الذي يطل على البحر ويتصل بسلسلة جبال لبنان الغربية على شرقي الساحل وجنوبه، أي من شمال عكا - صور، وهي أمنع مدن الساحل " لا ترام لحصار". يشكل المسلمون الشيعة غالبية سكانها... انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٥٠

لمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر: محمد بن احمد البشاري المقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، د. تحقيق، مكتبة مدبولي-القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٦٢، وسيشار إليه لاحقاً: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص ١٥١؛ بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي (ق٦هـ/١٢م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، مطبعة الشروق - بغداد، ١٩٤٥م، ص٤٤. مترجم عن النص الإنجليزي بعنوان:

Benjami of Tudela, in Wright, Early. Travels in Palestaine, London, ١٨٤٨.

وسيشار إليه لاحقاً: بنيامين التطيلي، رحلة؛ الحاج بورشارد (من ق١٢م/٦هـ)، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق-عمّان، ١٩٩٥م، ص٤٦٠، مترجم عن النسخة الإنجليزية:

Burchardes of Montsion. Description of the Holy Land Places, Trans. by Aubrey Stewart, London.

وسيشار إليه لاحقاً: بورشارد، وصف؛ إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، ط١، تحقيق رينود ومالك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية - باريس، ١٨٤٠م، ص ٢٥٧، وسيشار إليه لاحقاً: أبو الفداء، تقويم البلدان. وانظر أيضاً :

M. Lavergne, "Sur", E. I.٢, vol. ix, pp. ٨٨١-٨٨٥

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٤٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٤٥.

(٤) عكا : تقع على خط َ٣٥ ْ٣٣ شمالا وَ٠٤: ْ٣٥ تصفها مصادر الحملة الصليبية الأولى بأنها مدينة إلى القرب من عسقلان بينها وبين اشدود (أرسوف) يحدها جنوباً جبال الكرمل، في الطرف الشمالي لخليج عكا في ساحل البحر المتوسط الشرقي. وهي مدينة تمتاز بمناعة أسوارها وحصانة قلاعها، يسكنها المسلمون، محاطة بالبساتين والحدائق. . وانظر أيضاً :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩, ١٣٨.

ولمزيد من المعلومات عن الجغرافية التاريخية لعكا. وانظر أيضاً :

F. Buhl. "Akka". E. I.٢. vol. i, p. ٣٤١.

الموسوعة الفلسطينية، ط١، ٤مج، هيئة الموسوعة الفلسطينية - دمشق، ١٩٨٤م، مج٣، ص٢٩٠-٣٠٠، وسيشار إليها لاحقاً بـ: الموسوعة الفلسطينية.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٧٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

نهض في عسكره وقاتل الفرنج وانتصر عليهم "[1]، مما يفسر انتهاء حملة بلدوين في شرقي الأردن ربيع الأول ٤٩٤هـ/ كانون الثاني ١١٠١م.

يعتبر ابن الأثير مصدراً رئيسياً للراغب في تتبع المعاهدات الإسلامية - الصليبية، وتتبع تتطور الأحداث بعد سقوط القدس ما بين (٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩م - ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وخاصة فيما يتعلق بالمحاولات الفاطمية لاسترداد القدس، وتوسع الصليبيين في شرق الأردن، كما استفادت الدراسة منه أيضا في تتبع أهم الزلازل التي أثرت على المنطقة قبل وأثناء مسير الحملة الصليبية الأولى. وهنا لا يجب إغفال واحداً من من ابرز كتاب الفترة التاريخية المتأخرة وهو اسطفان الدويهي (ت ١١١٥هـ/ ١٧٠٤م)[2] في كتابه تاريخ الأزمنة[3]: و تأتي أهمية رواياته للدلالة على مدى تأثر الكتاب المسيحيين في بلاد الشام في فترة لاحقة بالرواية الصليبية إذ يلاحظ القارئ أن جلّ روايات الدويهي إنما جاءت تأكيداً لما ورد لدى وليم الصوري William of Tyre, في كتابه الأعمال المنجزة فيما وراء البحار[4] A History of Deeds Done Beyond the Sea [5]، ومن الروايات التي تدل على انحيازه إلى الموقف الصليبي استخدامه لفظ التشكيك "حُكِيَ"[6]، في تعداد قتلى المسلمين في المسجد

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٣.

(٢) انظر:

K, S. Salibi, "Istifan al-Duwyhi", E. I.[٢], vol. iv, p. ٢٥٥.

(٣) اسطفان الدويهي (ت١١١٥ هـ/ ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، ط١، تحقيق الآباتي بطرس فهد، مطابع الكريم الحديثة - جونية، ١٩٧٦م. وسيشار إليه لاحقاً: الدويهي، تاريخ الأزمنة. كتاب "تاريخ الأزمنة " نصّان، الأول يبدأ بتأريخ الأحداث اعتباراً من بدء الحملات الصليبيّة عام ١٠٩٥م لغاية ١٦٩٩م، سمّاه الدويهي "تاريخ المسيحيّين". نشره فردينان توتل اليسوعيّ بمناسبة مرور ٧٥ سنة على تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت سنة ١٩٥٠م، أما القسم الثاني فيبدأ سنة ٦٢٢هـ من تاريخ ظهور الإسلام، لغاية سنة ١٦٨٦م، وقد دعاه الدويهي "تاريخ المسلمين". نشره الآباتي بطرس فهد سنة ١٩٧٦م، فرديناند توتال اليسوعي، عام ١٩٤٩م، "البطريرك اسطفان الدويهي" مجلة المشرق، (ع ٤٣)، ص١٤-٢٣. وسيشار إليه لاحقاً: فرديناند اليسوعي، اسطفان الدويهي.

(٦٨)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Trans, by Babcok and Kery, New York, ١٩٤٣.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

William of Tyre, A History of Deeds

(٥) اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٨٦، ٩٤،١٠١، ١٠٢،١٠٥، ١٠٧، ١٢٦.

(٦) اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٨٩.

http://www.al-maktabeh.com

الأقصى. ومن المصادر الإسلامية التي يشير إليها الدويهي الحريري في كتابه الإعلام والتبيين[١] وذلك في خبر قتل الصليبيين لليهود عند دخول المدينة في ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م[٢]، وحصار صور ٥٠١هـ/١١٠٨م[٣]، كما استعان بالمؤرخ الأرمني ابن العبري (٦٨٤هـ/١٢٨٦م)، في كتابه مختصر تاريخ الدول[٤] في أخبار ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م[٥]، ولم يحاول الدويهي في هذا الكتاب أن يفسّر الأحداث أو يحلّلها أو يدافع أو يناقش؛ إنّما أراد أن يسرد الأحداث الزمنيّة والدينيّة سرداً واقعياً تدريجياً سنة بعد سنة. لذلك فان تاريخه لم يقدّم أشياء جديدة كثيرة، لأنه استند إلى المؤرّخين الذين سبقوه مثل جبرائيل القلاعي[٦]، وتبدو أهمية الدويهي في كونه أضاف على ما كتبه سائر المؤرّخون أحداث التاريخ اللبنانيّ عامة والمارونيّ خاصة[٧].

ما فيما يتعلق بجانب الدراسات الفاطمية يجب الإشارة إلى المصدر الأول في أخبارها فترة الدراسة، وهو المؤرخ المصري ابن ميسر(ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)[٨] في كتابه المنتقى من أخبار مصر[٩]، وتعود مادته إلى مصادر

(١) أحمد بن علي الحريري، (ت بعد سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م): " الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين "، تحقيق سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م. وسيتم الإشارة إليه لاحقاً بـ: الحريري، الإعلام.

(٢) اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٨٩.

(٣) اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٩٨.

(٤) غريغورس بن أهرون الملطي ابن العبري (ت٦٨٤هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، ط١، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م. وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن العبري، تاريخ مختصر.

(٥) اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٩٢.

(٦) جبرائيل بن بطرس القلاعي الفرنسيسي الماروني (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م)، مطران افقوسية، دون التاريخ الماروني في ٢٥ زجلية، للتعرف على شرح وافي ومفصل للتاريخ الماروني من خلال زجلية ابن القلاعي وللتعرف على سيرته بشكل مفصل، انظر:

Kamal. S. Salibi, "Maronite Historians of Medieval Lebanon", Beirut, ١٩٥٩, pp. ٢٣-٨٦.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Salibi," Maronite Historians

(٧) فرديناند اليسوعي، اسطفان الدويهي. ص١٤-٢٣.

(٨) تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي، عاش ما بين(٦٢٨هـ/١٢٣١م-٦٧٧ هـ/١٢٧٨م)، كان من أسرة عسكرية مغاربية، تعود مادته في العصر المملوكي إلى مصادر مكتوبة لم تصلنا اعتمد عليها فيما بعد المقريزي، وهو يسير على خطى المسبحي في كتابه، تاريخ مصر. انظر:

CH. Clahen, "Ibn Muyassar", E. I.٢, vol. ii, p.٨٩٤

(٩) محمد بن علي بن ميسر(ت٦٧٧ هـ /١٢٧٨م) المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- القاهرة، ١٩٨٠م. وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن ميسر، المنتقى.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مغيبة عنّا مثل كتاب سيرة الإفرنج الخارجين إلى بلاد الإسلام للرئيس حمدان بن عبد الرحيم[1]، وقد استفاد الباحث منه كثيراً في التعرف على أوضاع الدولة الفاطمية الداخلية ومراكز السلطة فيها، مما أعطى الباحث سعة إدراك في أثناء تناول الموقف الفاطمي من الحملة الصليبية الأولى ، أما النقاط الرئيسية التي تم عرضها من خلاله فهي حملات الدولة الفاطمية وخاصة في عهد الأفضل بن بدر الدين الجمالي(ت٥١٥هـ/ ١١٢١م)[2] لاسترداد بيت المقدس، كما أنه يورد رواية على الارجح أخذها عن ابن القلانسي[3] لكنه لم يشر إلى مصدره، وأخذها عنه فيما بعد المقريزي(ت٨٤٥ هـ /١٤٤١م)،[4] تتناول تعرض مدينة الخليل[5] للتدمير في حوادث

---

(١) ابن ميسر، المنتقى، ص١٠٥؛ وانظر أيضاً :

CH. Clahen, "Ibn Muyassar", E. I.٢, vol. ii, p. ٨٩٤.

(٢) الأفضل بن بدر الجمالي(٤٥٨هـ/ ١٠٦٦ـ ٥١٥هـ/ ١١٢١م): أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل: وزير، مولدهُ بعكا، خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية، أرمني الأصل. وطد دعائم الملك للآمر بأحكام الله العبيدي صاحب مصر، ودبر شؤون دولته إلى أن انقلب عليه الأمر فدس له من قتله على مقربة من داره في القاهرة. وكانت ولايته ثماني وعشرين سنة انظر:

G. Wiet "al- Afdel b. Bader Djamali", E. I.٢, vol. i, pp.٢١٥-٢١٦

وانظر أيضاً : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط٩، ٢٥ج، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٩، ص٥٠٧، وسيشار إليه بـ: الذهبي، سير أعلام النبلاء.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٢.

(٤)أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط١، ٣ج، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٦٧م، ج٣، ص٣٥، وسيشار إليه لاحقاً بالمقريزي، اتعاظ الحنفا.

(٥) الخليل: تقع على خط َ٦:°٣٥ شمالاً وَ٣٢:°٣١ شرقاً، إلى الجنوب من بيت المقدس على بعد ٣٥كم. وتأتي أهميتها من جودة أراضيها الزراعية، كانت تحيط بها مجموعة من القبائل العربية جعلتها منطقة نشاط مستمر في العهد الصليبي، ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٧؛ وانظر أيضاً :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٠٧.

ولمزيد من المعلومات عن الجغرافية التاريخية للخليل انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٧؛ بورشارد، وصف، ص١٦٠، ١٧٦؛ دانيال الراهب (ت٦هـ/١٢م)، وصف الأرض المقدسة في فلسطين ١١٠٦-١١٠٧م، ط١، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق – عمان، ٢٠٠٣م، ص٧٧، ٧٩، مترجم عن النص الانجليزي بعنوان:

Daniel, Pilgriage, of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land, Trans, by Wilson, P. P. T. S., vol. i, London, ١٩٨٥.

وسيشار إليه لاحقاً: دانيال الراهب، وصف؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٨، ٣٥١؛ الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص ٣٥٢. وانظر :

M. Sharon , "AL-Khalill", E. I.٢, vol. iv., pp. ٩٥٥-٩٦١

http://www.al-maktabeh.com

سنة ٤٩٣هـ/ أيار ١١٠٠م من قبل الصليبيين(١). كما استفادت الدراسة منه في تحديد أسماء بعض الولاة الفاطميين في مدن بلاد الشام مع أنه لم يعط تعريفاً كافياً بهم(٢)، وكذلك في تحديد العنصر الزمني للحملات الفاطمية في كل منطقة تعبرها. وتناول أيضا تحركات القبائل ومساندتها للفاطميين أو الصليبيين على حد سواء(٣) وخاصة تلك المحيطة بمدينة عسقلان(٤). ويتمم عمل ابن ميسر المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)(٥)، في كتابيه١: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. ٢: السلوك لمعرفة دول الملوك(٦)،

---

(١) ابن ميسر، المنتقى، ص٦٦.

(٢) ابن ميسر، المنتقى، ص٧٥.

(٣) ابن ميسر، المنتقى، ص٧٤.

(٤) عسقلان : تقع على خط َ٤١ :ْ٣١ شمالاً وَ٤٣:ْ٣٤ شرقاً تصفها مصادر الحملة بأنها مدينة ساحلية في جنوب فلسطين، كانت فترة الدراسة معززة بالحامية الفاطمية لمدة نصف قرن في مواجهة التقدم الصليبي، تستوطنها القبائل العربية تحيط بها المراعي تعتمد ثروتها الأساسية على تربية الحيوانات. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٢، ٢٩١، وانظر أيضاً :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٨.

ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٩. وانظر أيضاً :

R. Hartmann, "Askalan", E. I.٢, vol. i, pp.٧١٠-٧١١

(٥) أحمد بن علي المقريزي (٧٦٤ هـ/١٣٦٤م ـ ٨٤٥هـ /١٤٤٢م) ممن اهتموا بالتأريخ بكل نواحيه شغل العديد من وظائف الدولة في عصره، حيث ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة عدة مرات. احتل المقريزي مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، حيث أن معظم المؤرخين الكبار كانوا تلاميذه، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي مؤلف الكتاب التاريخي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، والسخاوي ومن أهم ما يميز كتاباته الموضوعية والأمانة التاريخية في السرد والعرض والتدقيق والتقصي والتحقيق والتعليل:

F. Roesenthal, "al-Makrizi" , E. I.٢, vol. vi, p. ١٩٣

(٦) المقريزي (ت٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، ٨ج، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧م. وسيشار إليه لاحقاً: المقريزي، السلوك.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والذي يعتبر من الدراسات المختصة بالخلافة الفاطمية وقد جوانب مهمة من تاريخ الفاطميين، وتأتي أهمية كتبه لان جلّ مصادره محجوبة عنا وتعد بحكم المفقود[(١)]، ومن أهم مصادره المتوافرة في كتابه اتعاظ الحنفا كتاب ابن ميسر، المنتقى[(٢)]، فقد أكد المقريزي نقلا عن ابن ميسر في المنتقى في أخبار مصر هدم الصليبيين للمشاهد الدينية في الخليل في حوادث سنة ٤٩٣هـ/ أيار ١١٠٠م[(٣)]، واستفادت الدراسة منه

في التعرف على التحركات القبلية في برية الخليل وعسقلان[(٤)] ونشاطها التجاري مع الصليبيين[(٥)]، كما كان أكثر فطنة من غيره في تتبع الإمدادات التي قدمتها المدن الايطالية وخاصة أثناء حصارهم للمدن مثل بيروت[(٦)]، وصور في حوادث(٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[(٧)].

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٣

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٥٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨.

(٦) بيروت: تقع على خط ٥٣َ ٣٣ْ شمالاً وَ٣٠ : ٣٥ْ شرقاً، تصفها مصادر الحملة الصليبية بأنها مدينة حصينة يستلزم العبور إليها اجتياز ممر ضيق يمكن لقلة من الفرسان القضاء على جيش كامل من خلاله، وهـي تطـل عـلى سلسـلة جبـال لبنـان الغربيـة " القمم المعروفة بجبال كسروان". تطل المدينة من الجهة الشرقية على المنطقة المعروفـة بـالغرب التـي تضـم كسرـوان، الشـوف، وادي التيّم، المتن، وتقطنها القبائل العربية التنوخيّة، وهم موحدون " دروز. والمدينة محاطة بالأشجار الحرجية.. ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ، ص ١٤٢؛ وانظر أيضاً:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٠٣.

ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلـدان، ج١، ص ٥٢٥-٥٢٦؛ ثيودوريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين القرن الثاني عشرـ المـيلادي- السـادس الهجـري، ط١، ترجمـة سـعيد البشاوي، دار الشروق- عمان، ٢٠٠٣م، مترجم عن النص الانجليزي:

Theoderich, Description of The Holy Land Places, Trans. By Aubrey Stewart, p.p.t.s, vol. v, London,١٨٩٦

وسيشار إليه لاحقاً: ثيودوريش، وصف، ص ١٤٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٧. وانظر أيضاً:

N. Elissseeff "Bayrut", E. I.[٢], vol. i, pp. ١١٣٧-١١٣٨

(٧) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٤.

http://www.al-maktabeh.com

ومن أهم كتب الجغرافيا والرحلات بالنسبة للدراسة رحلة ابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)[١]، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك[٢].

فهذه الرحلة وإن انتمت إلى كتب الجغرافيين إلاّ أنها أكثر التصاقاً بالتاريخ، وتكمن أهميتها لأن ابن جبير كان يصف كل ما يشاهد أو يسمع وصفاً دقيقاً، فأضاف دراسة اجتماعية اعتمدت على الملاحظة الشخصية، عرضت للعلاقة التعايشية اليومية التي نشأت ما بين الحكام الصليبيين ورعاياهم من السكان المحليين سواء مسلمين أو مسيحيين[٣]، كما تعرض أحيانا إلى بيان الهوية الدينية والطائفية لسكان المدن أو القرى التي مر بها[٤]، وتناول الحركة التجارية وتنقل القوافل بين بلاد الإسلام ودويلات الصليبيين[٥]، ويعد في هذا الجانب مصدراً للعديد من الجغرافيين المتأخرين.

أما ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩ هـ/١٣٤٨م)[٦]، في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الذي اكتسب معلومات موسوعية حول عصره من كافة الجوانب[٧] بحكم عمله في ديوان الانشا بمصر[٨]، واستقى معلوماته عن

---

(١) ابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبيرالأندلسي ولد في بلنسية وتعلم في شاطبة كان عالما في الفقه والحديث والأدب، قام بثلاث رحلات ما بين ٥٧٨هـ/١١٨٢م -٥٨١هـ/١١٨٥م وصف خلالها كل ما شاهده وصفاً دقيقاً مسهب يدل على دقة ملاحظة وسعة علم. ابن جبير، رسالة اعتبار، مقدمة المحقق وللتعرف على منهجية ابن جبير..انظر: عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص٢٢١؛ وانظر أيضاً :

CH. Pellat, "Ibn DJubayr", E. I.٢, vol. iii, p. ٧٥٥

(٢) محمد بن احمد الكناني(ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ابن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، ط، د. تحقيق، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م، وسيشار إليه لاحقاً: ابن جبير، رسالة اعتبار.

(٣) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٧٣.

(٤) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٥.

(٥) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٧٣.

(٦) شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد العمري عاش ما بين ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م- ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، مؤرخ وأديب دمشقي من أعيان المائة الثامنة. ولد ابن فضل الله في دمشق، وتلقى بها تعليمه وبرع في الكتابة وفنونها والعلوم، في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ذهب إلى القاهرة وتقلد رئاسة ديوان الإنشاء. وقد عني العمري بدراسة الجغرافية السياسية، ودرس تواريخ الأمم وعجائبها، ودرس الفلك، وتجول في البلاد من الشام إلى الحجاز والأناضول وغيرها من بلاد الأرض. ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المؤلف، ص٧٠. وانظر أيضاً :

K. S. Salibi, "Ibn Fadl- Allah al-Umary", E. I.٢, vol. iii, pp.٧٥٨-٧٥٩.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المحقق، ص٧١.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المحقق، ص٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، مقدمة، ص٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

القبائل أساسا من مصدرين هما ابن سيف الدولة الحمداني(ت بعد ٦٨٠هـ/١٢٨١م)[١] الذي يصفه بالأمير الثقة[٢]، ونسابة طيء[٣]، ومن مصادره المتوافرة بين أيدينا الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[٤]، نزهة المشتاق[٥] ويعد ابن فضل الله العمري مصدراً أساسيا لمن تبعه ومثال ذلك القلقشندى (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)[٦]، في كتابيه صبح الأعشى في صناعة الانشأ، وقلائد الجمان[٧].

وأخيراً تجدر الإشارة إلى تغير في اتجاه التوثيق العربي للحروب الصليبية بظهور كتب متخصصة في الحروب

---

(١) ابن سيف الدولة الحمداني (ت بعد ٦٨٠هـ/١٢٨١م)، هو الأمير بدر الدين أبو المحاسن يوسف ابن أبي المعالي ابن زماخ، ولد عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وله تصانيف في الأنساب وغيرها، ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المؤلف، ص٧٠.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المؤلف، ص٧٠. وانظر أيضاً :

K. S. Salibi, "Ibn Fadl- Allah al-Umary", E. I.٢, vol. iii, pp.٧٥٨-٧٥٩.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المؤلف، ص٧١. وانظر أيضاً :

K. S. Salibi, "Ibn Fadl- Allah al-Umary", E. I.٢, vol. iii, pp.٧٥٨-٧٥٩.

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني الإدريسي (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق شيرولي، بريل-نابولي، ١٩٧٠م، وسيشار إليه لاحقاً: الإدريسي، نزهة المشتاق.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الإبصار، مقدمة المؤلف، ص٧١.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، مقدمة، ص٤

(٧) القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٢م، وسيشار إليه لاحقاً: القلقشندي، قلائد الجمان

http://www.al-maktabeh.com

الصليبية وصل ممن يمثلها كتاب الحريري (ت بعد سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م) الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين. ويعتبر احد المصادر العربية النادرة والتي تتناول موضوع الغزو الصليبي لبلاد الشام وان لم يذكر مصادره بشكل مباشر، فإن عرض معلوماته بشكل موجز ومتسلسل زمنياً على طريقة التأريخ الحولي، مما جعل سهيل زكار يرجح اعتماده على ابن القلانسي، وابن الأثير، وابن ميسر[١]، بالاضافة إلى بعض المصادر المحجوبة عنّا، والذي يتضح من انفراده ببعض الأخبار مثل تأكيده أن العامة من السكان هي التي تولت المقاومة في صيدا[٢] ذي الحجة ٥٠١هـ/ آب ١١٠٨م[٣]، وأن مساندة طغتكين أتابك دمشق(ت ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م)[٤]، لأهالي صيدا في الحادثة سالفة الذكر كانت مدفوعة الأجر[٥]. ويبقى انفراده بصفة التخصص في الموضوع ذا أهمية خاصة.

وتركزت مصادر الدراسة اللاتينية المترجمة إلى اللغة الانجليزية على العديد من الكتاب أهمها:

---

(١) الحريري، الإعلام، المقدمة، ص٢.

(٢) صيدا: عرفت أيام الصليبيين باسم Sagette وهي واقعة إلى الجنوب من بيروت يصب في ساحلها نهر الليطاني، وهي مدينة في غاية المناعة والحصانة، تطل مرفأ بحريا، لم تكن مدينة مهمة قبل الصليبيين بدليل شح المعلومات عنها في المصادر العربية وانظر أيضاً :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٦٩

ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر:المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٠، بورشارد، وصف، ص ٤٩-٤٨؛ ابن جبير، رسالة اعتبار، ص ٢٢٩؛ بنيامين التطيلي، رحلة، ص٤١؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١١٥. وانظر أيضاً :

M. Laveragne "Sayda", E. I.٢, vol. ix, pp.٩٩-١٠٠٠

(٣) الحريري، الإعلام، ص٧٢

(٤) طغتكين أتابك دمشق (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) الأمير ظهير الدين أبو المنصور طغتكين بن عبد الله الأتابك صاحب دمشق مملوك تاج الدولة تتش، تزوج أم ولده دقاق، ونص عليه في أتابكية دقاق، وعهد بالشام من بعده إلى ولده تاج الملوك بوري؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٥١؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ٣٢ج في ١٥مج، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، مج١٤، ج٣٠، ص٢٤٢، وسيشار إليه لاحقاً: النويري، نهاية الأرب؛ جمال الدين يوسف بن الامير سيف الدين الاتابكي ابن تعزي بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ٨ج، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص٢٢٧، وسيشار إليه لاحقاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. وانظر أيضاً :

Anne-Marie Edde, "Tughtigin", E. I.٢, vol. x, p.٦٠٠

(٥) الحريري، الإعلام، ص٧٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

Anna Comnena, The Alexiad,[1] وهو يغطي أحداث الفترة التاريخية ما بين(١٠٦٩م- ١١١٨م)، وتعود[2] أهمية هذا الكتاب إلى أنه يوثق للحملة الصليبية من وجهة النظر البيزنطية، ويعرض إلى فكرة قيام الحملة الأولى وتطوراتها وموقف الإمبراطورية البيزنطية منها، وبحكم كونها ابنة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الأول ١ Alexius (١٠٨١- ١١١٨م): [3] فقد مكنها ذلك من إعطاء معلومات دقيقة عن تلك الفترة وإن غلب عليها صفة تمجيد الإمبراطورية البيزنطية وبيان موقف الإمبراطور البيزنطي بدون

أخطاء، فكانت مصدراً أساسيا للبحث خاصة فيما يتعلق بسير الحملة الصليبية من القسطنطينية[4] إلى نيقية[5]،

---

(١) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. from the Greek By E. R. A. Sewter, Penguin, Book, Baltimore, ١٩٦٩.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Anna Comnena, The Alexiad.

(٢) انّا كومنين Anna Comnena ، المولودة عام ١٠٨٣م، وكانت قد دبرت مؤامرة لتخلف أباها فعوقبت بالنفي، حيث قامت بتدوين حياة أبيها وفترة حكمه من ١٠٨١-١١١٨م هاري المر بالمز، تاريخ الكتابة التاريخية، ط٢، ٢ج، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص١٣٤. وسيشار إليه لاحقاً بـ: بالمز، تاريخ الكتابة .

(٣) الكسيوس كومنين ١ Alexius(١٠٨١- ١١١٨م): مؤسس الأسرة الكومنينية، التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية ما بين (١٠٨١-١١٨٠م) في ظل ظروف اقتصادية وعسكرية متردية، وقد دونت ابنته انّا كومنين سيرة حياته كاملة في كتابها الالكسياد، انظر:

Anna Comnena, The Alexiad.

وانظر أيضاً:

Steven Runciman, A History of The Crusades, ٣ vol, Cambridge University Press, ١٩٥١, vol. i, pp. ٧٠-٧١

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Runciman, A History

(٤) القسطنطينية (Constantinople) : أسماؤها التاريخية بالعربية القسطنيطينية وإسلام بول والأَستَانة وتعرف اليوم استانبول Istanbul، واقعة على خط عرض ٣٧° شمالاً وخط طول ٢٧° شرقاً، على مضيق البوسفور وكانت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية. كانت فترة الدراسة غاية في الثراء والفخامة والحصانة، وشهدت بعض محاولات إحياء أمجادها كما كان في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين الأول ١ Alexius (١٠٨١- ١١١٨م)، انظر :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٤٥

وانظر أيضاً :

H. Inalcik, "Istanbul", E. I.٢, vol. iv, p. ٢٢٤-٢٤٨

(٥) انظر هوامش الفصل الرابع.

http://www.al-maktabeh.com

وقد تميزت الكاتبة بدقة الملاحظة وبراعة الوصف، وتمكنها من الحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية والتي تمثلت بما شاهدته هي بنفسها من أحداث، أو بما سمعته من أصحاب القرار والمشاركين في صنع الأحداث، أو بما اطلعت عليه من وثائق ومراسلات بيزنطية، ويؤخذ على هذا الكتاب غلبة الصفة العاطفية عليه ووضوح مشاعر الكاتبة التي كانت تسعى إلى المبالغة في وصف الأحداث؛ خاصة وأنها الفت الكتاب بعد مضي أربعين سنة على أحداث الحملة الأولى مما يجعلها تخطئ أحيانا، وما كان يسيطر عليها هو أن تجعل من والدها الإمبراطور الكسيوس كومنين الأول بطلا يسعى إلى استعادة مجد الإمبراطورية البيزنطية. أما كتاب:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition to Jerrusalem,١٠٩٥-١١٢٧ [1] فيتميز بإيراد مجموعة من الأحداث لم يتناولها غيره بحكم كونه قسيساً ومستشاراً لبلدوين الأول، فكان له الأخبار المفردة وذات الأهمية خاصة مما سمع وشاهد[2]، وتمكنه من تسجيل كثير من التفاصيل مما لم يره أو يسجله غيره في أطول فترة زمنية لمصدر لاتيني مرافق للحملة الصليبية الأولى، ويتضح من مقدمة الكاتب انه سجل

(١) فوشيه الشارتري: عاش في الفترة الواقعة ما بين (١٠٥٨-١١٢٧م) وهو فرنسي، كان رجل دين على درجة كبيرة من الثقافة يدل على ذلك، دقة معلوماته وتسلسلها، شارك في الحملة الصليبية ضمن قوات بلدوين الأول انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, Cf. Introduction, pp٣, ٧

وانظر أيضاً : العريني، مؤرخو، ص٣٧-٤٣.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, , A History of The Expedition, Introduction;

وانظر أيضاً : العريني، مؤرخو، ص٣٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

معلوماته أو على الأقل حتى سقوط القدس ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، في فترة لاحقة معتمدا على الذاكرة وما تبع ذلك هو عبارة عن سجل مذكرات يومية[١]، ويعتبر كتاب الشارتري ثقة من حيث أيراده معلومات عن المعالم الجغرافية في بلاد الشام، والبيئية[٢] خاصة بعد تأسيس المملكة اللاتينية في القدس٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام تناول الأول منها مجلس كليرمونت وخطاب البابا أوربان الثاني وما تلاه من أحداث باستعراض سريع حتى وفاة غودفروي حاكم القدس٨ شعبان ٤٩٣هـ/ ١٨ حزيران ١١٠٠م، أما القسم الثاني وهو يمثل الزخم الكمي والنوعي للكتاب فيبتدئ باعتلاء بلدوين الأول عرش القدس وينتهي بوفاته٥١١هـ/١١١٧م، أما القسم الثالث والذي تميز بإعطاء معلومات أكثر عن السكان والمناطق التابعة للمملكة وذلك بحكم التعايش الزمني للصليبيين في المنطقة فقد ابتدأ باعتلاء بلدوين الثاني العرش٥١١هـ/١١١٧م وانتهى بأحداث عام٥٢١هـ/ ١١٢٧م. ومن الملاحظات العامة على روايات الشارتري أنها من أقدم الدراسات التي حفظت لنا اقرب نص لخطاب البابا أوربان الثاني، ومن شاهد عيان في مجمع كليرمونت تشرين الثاني ١٠٩٥م[٣]. كما انفرد بعرضه لرواية تتناول استغاثة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, , A History of The Expedition, Cf. Introduction

وانظر أيضاً : العريني، مؤرخو، ص٣٧؛ بالمز، تاريخ الكتابة، ص١١٠

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p١٠٨

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, pp. ٦٢-٦٧

http://www.al-maktabeh.com

كومنين الأول بالبابا أوربان الثاني أثناء انعقاد مجمع بيكانزا (بياسنزا) Council Picenza[1] في آذار١٠٩٥م[٢]، ضد السلاجقة السلاجقة الآخذين بالتوسع داخل الأناضول[٣] ليهددوا القسطنطينية نفسها، وأورد تعريفاً واضحاً عن تعيين الأسقف أدهيمار دي مونتيل Adihemar Of Monteil[٤] المندوب البابوي في الحملة الصليبية الأولى .[٥]

---

(١) مجمع بيكانزا Picenza, والذي عرف بهذا الاسم نسبة إلى المدينة الايطالية التي عقد فيها، وهي مدينة صغيرة في جنوب ايطالياً على ٤١ درجة على خط الطول و١٢ درجة على خط العرض. وانعقد المجلس في آذار ١٠٩٥، وناقش قضية الملك فيليب الأول (١٠٦٠-١١٠٨) Philipe I. وزواجه الثاني، وقرار أسقف ليونس Lyons حرمانه، واتهامه بالزنا، وأثناء انعقاد المجمع وصل مندوب من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين(١٠٨١-١١١٨)١ Alexius، الذي طالب البابا بتقديم المساعدة ضد الأتراك السلاجقة الذين أخذوا في التوسع داخل الأناضول، وباتوا يهددون القسطنطينية نفسها...

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٠٤-١٠٥.

وانظر أيضاً :

Jonnathan, Riley- Smith, The First Crusade andThe Idea of Crusading, Arhloned Press, London, ١٩٨٦, p. ٣٢.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Smith, The First Crusade.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦١

(٣) آسيا الصغرى (الأناضول) Anadolu: شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط بين خطي٤٢,َ٣٦° شمالاً و٣٦ْ،٤٥َ، شرقاً تشمل معظم الأراضي السلجوقيةوتعرف بآسيا الصغرى. تقدر مساحتها بحوالي ٧٤٣٠٠٠ كم٢، تصفها مصادر الحملة الصليبية الأولى بأنها ذات أراضي ممتازة خصبة إلا أن الأتراك قد دمروها وأهلها هجروها... وهي عبارة عن هضبة تحيط بها الجبال وأهمها جبل طوروس في الجنوب في فترة الدراسة تكونت فيها مملكة سلاجقة الروم والممالك الأرمينية:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٠

وانظر أيضاً :

F. Taschner , " Anadolu", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٦٣-٤٨٠

(٤) أدهيمار لي بويه (Adimar le buy): أسقف مدينة بويه الفرنسية يرتبط اسمه بنشيد شهير للسيدة مريم العذراء كتبه في القرن الحادي عشر لتحفيز المقاتلين، وهو الذي قاد جموع الصليبيين في حملتهم الأولى مندوباً عن الكرسي الرسولي حتى وفاته أثناء حصار أنطاكية ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م. انظر :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٧

(٥) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p.٦٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد أعطى تصوراً عن مدى المعاناة التي واجهت الصليبيين في الأناضول والتي جعلت الكثيرين يفكرون في العودة إلى أوروبا[١]، وربما كان ذلك في محاولة لتوضيح الأسباب التي دفعت بلدوين إلى الانشقاق عن جيش الحملة الصليبية والتوجه إلى الرها[٢]. وأنفرد بتركيزه على أعطاء أعداد الصليبيين والمسلمين والخسائر البشرية لكل من الطرفين في كل مواجهةٍ كما في أحداث نيقية(٤٩٠هـ/١٠٩٧م)[٣]، والقدس(٤٩٢هـ/١٠٩٩م)[٤]، مما يؤكد قربه من الأحداث، ولا يعني ذلك أيضا التسليم بما يعطيه من أرقام تسعى دائماً إلى إعطاء صورة عن التضحيات الجسيمة التي قدمها الصليبيون وصولاً إلى القدس. إضافة إلى ما يؤكد عدم دقتها - إلى جانب الروايات الصليبية الأخرى- هو الاختلاف الواضح بين الأرقام من مصدر إلى آخر[٥]. وأخيراً أعطى الشارتري معلومات مفصلة عن الإجراءات التي اتخذها الصليبيون أو الأدوات التي استخدموها في بناء

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition,p٤٩

(٢) الرها، هي الدويلة الصليبية الأولى (٤٩٢هـ/١٠٩٨م- ٥٣٩هـ / ١١٤٤م)، أسسها بلدوين الأول (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) حيث انتقل إليها بحجة مساندة الأسرة الحاكمة فيها، ثم غدر بهم وانتصب ملكا عليها، ظلت تعاني النزاع السياسي بين الصليبيين والأسر الحاكمة إلى أن قضى عليها آل زنكي (٥٣٩هـ/١١٤٤م)؛ انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥١-٥٣.

ولمزيد من المعلومات عن أمارة الرها الصليبية، انظر:

Suraiya Faroqhi, "AL-Ruha", E. I.٢, vol. viii, pp. ٥٨٩-٥٩٣

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٤٨

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٥

(٥) انظر الهامش رقم(٩) ص٥٧.

http://www.al-maktabeh.com

الوسائل الهجومية للمدن المحاصرة مثل نيقية(٤٩٠هـ/١٠٩٧م)[1]، والقدس(٤٩٢هـ/١٠٩٩م)[2]، وطرابلس[3] عام(٥٠٣ه/ ١١٠٩م)[4].

ويعتبر كتاب المؤرخ المجهول[5] GestaVersion[6]، من المصادر الأساسية لدراسة الحملة الصليبية في الفترة الواقعة ما بين ١٠٩٥-١٠٩٩م، أي منذ انطلاق الحملة الصليبية الأولى وحتى إعلان تأسيس الدولة الصليبية

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٧

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٤

(٣) طرابلس: تقع على خط َ١٩ :ْ٣٣ شمالاً و٥٠ :٣٥ شرقاً. تصفها مصادر الحملة الصليبية الأولى بالثراء الفاحش وازدحام السكان على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتبعد عن بيروت حوالي٨٥كم شمالاً، تشرف طرابلس على سلسلة جبلية ترتفع قممها إلى ما فوق ٣٠٠٠م، يشطر نهر "أبو علي" طرابلس إلى شطر شرقي وغربي ليغذي تربتها ويروي بساتينها التي تغطي سهلها الخصيب. تعتمد في حمايتها على حصن عرقة وفي العهد الصليبي، وأصبحت عاصمة كونتية طرابلس ورثت إمارة بني عمّار ما بين (٥٠٣ه/ ١١٠٩م- ٦٨٨هـ/١٢٨٩م). انظر :

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٤٥; Hill, Raymond IV, p. ١٨٤.

ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية، انظر: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية -بيروت، د. ت، ص ١٦٤ وسيشار اليه لاحقاً بـ: اليعقوبي، البلدان؛ ابن جبير، رحلة، ص ٢٢٩؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٤٩؛ بورشارد، وصف، ص ٥٢. انظر أيضاً:

M. Laveragne,"Tarabulus,al-Sham", E. I.٢, vol. x. p.٢١٤ -٢١٦

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition ,p. ١٤٥

(٥) المؤرخ المجهول: يبدو انه ينتمي إلى عائلة نورماندية، استقرت في صقلية وانضم إلى الفرقة المتجهة إلى بيت المقدس تحت قيادة بوهيمند، انتقل إلى العمل تحت لواء ريموند دي سان جيل بعد بقاء بوهيمند في أنطاكية، وعلى الأرجح انه كان فارسا من الطبقة الدنيا ولكنه محبوب من قبل بوهيمند وعلى الأرجح انه مات في عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م بعد معركة عسقلان لان كتابه يتوقف فجأة عند هذا الحد. بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف- القاهرة، د. ت، ص١٧٣-١٧٧. وسيشار إليه لاحقاً بـ: سمالي، المؤرخون.

(٦) انظر:

Peters, Edward M, The First Crusade: the Chronicle of Fulcher of Charters and Gesta Version, other source materials, University of Pennsylvania, ١٩٧٦.

مكتبة المهتدين الإسلامية

في بيت المقدس٢٣ رمضان ٤٩٢هـ/ ٢٢ تموز١٠٩٩م، والمؤلف شاهد عيان لمعظم المعارك والأحداث، ويتضح من بساطة تعبيره أنه لم يكن فارساً وإنما كان جندياً عادياً في جيش الأمير النورمندي بوهيمند Bohimond I Joiscard[(١)]، ثم انتقل إلى مرافقة الأمير تانكريد Tancreed، في رحلته إلى القدس بعد استيلاء بوهيمند على أنطاكية في ١ رجب ٤٩١هـ/٤ حزيران ١٠٩٨م، وتتوقف أخباره عام٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م دون أن نعلم سبب هذا التوقف، وقد اتسمت كتاباته بصحتها إذ اخذ عنه الكثيرون إلا أنه تميز بالتعصب ضد المسيحيين الإغريق والمسلمين على حد سواء[(٢)].

أما كتاب:

Raymond de A Gill's, Raymond IV, Count Of Toulouse[(٣)]

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Gesta Version

(١) بوهيمند Bohimond I, Joiscard (ت٥٠٤هـ/ ١١١١م): هو ابن المغامر النورمندي الشهير جويسكارد، والذي شن حملات متتابعة على أراضي الإمبراطورية وكان أحد مصادر إزعاجها الرئيسية إلاّ أنه قضى نحبه في إحدى تلك الغارات وترك ابنه بوهيمند يحمل داخله حلم والده بغزو القسطنطينية نفسها، وفي نفس الوقت آلت أملاك روبرت جويسكارد في جنوب إيطاليا إلى ابنه الأصغر روجر بروسا Roger Bursa حيث وجد في الحملة الصليبية فرصة لتحقيق أحلامه وتأسيس أمارة مستقلة تم تحقيقها في أنطاكية ما بين (٤٩١هـ/١٠٩٨م- ٥٠٤هـ/١١١١م)، انظر :

Ralph B. Yewdale, Bohemond I: Prince of Antioch, U. P. Princeton, ١٩٢٤, pp. ٣٤-٣٩.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Yewdale, Bohemond I

انظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i , pp.١٥٤-١٥٨;   Oldenbourg, The Crusades, p. ٩٩-١٠

(٢) انظر:

Gesta Version, p.١٠٩

انظر أيضاً: سمالي، المؤرخون، ص١٧٩.

(٣) ريموند أجيل (لم اعثر على فترة تقديرية لحياته) عاصر أحداث الحملة ودون ملاحظاته حتى موقعة عسقلان، وجاءت أهمية رواياته من مرافقته لكونت تولوز Tolosa، ومشاركته بالحروب.

http://www.al-maktabeh.com

فقد تميز بطغيان الصبغة الدينية عليه، مما يشير إلى أن الكاتب رجل دين وهو الأمر الذي يتضح مما احتواه من رؤى دينية وأحاديث مستمرة عن القسيسين والرهبان[١]، ومحاولة إعطاء سيده ريموند دي سان جيلRaymond of Saint Gill's [٢] صفة الرجل المتدين[٣]، وهو متدين متعصب يتضح من عدم تسامحه مع المعارضين للعقيدة النصرانية الكاثوليكية متغزلاً بأبشع أنواع المجازر التي ارتكبها الصليبيون مصورهم آكلة لحوم البشر[٤] ويعتبر من أوائل الذين كتبوا عن الحملة الشعبية ١٠٩٥م، ورافق حملة ريموند دي سان جيل منذ انطلاق الحملة، ومما أضفى على كتابه ميزة خاصة هو حضوره المستمر لمعظم اجتماعات قائده، ويتضح في هذا الجانب كغيره من باقي المصادر الصليبية المرافقة للحملة تحيزه لموقف سيده ومحاولته الدفاع عن موقف سيده بأي طريقة ممكنة.

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, pp.١٢٧-١٣٤

(٢) ريموند دي سان جيل Raymond of Saint Gill's (ت ١١٠٩م)، حاكم مقاطعة تولوز الفرنسية، وقائد أول قوة صليبية نحو بلاد الشام، والنبيل الوحيد الذي حضر خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت ١٠٩٥م، وهو أبرز قادة الحملة الصليبية الأولى لثرائه ومرافقة المندوب البابوي له عرض عليه حكم القدس فرفض، وتمكن من تأسيس نواة أمارة طرابلس التي دامت ما بين (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م- ٦٨٨هـ/١٢٨٩م). انظر:

Hill, Raymond IV.

ولمزيد من المعلومات انظر أيضاً:

John H. Mundy, Raymond ,E.A,vol.٢٤, p. ٣٣٢; Oldenbourg, The Crusades, p. ٩٥

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٧٢

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٧٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما المصدر الموسوعي في تاريخ الحروب الصليبية فهو كتاب:

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Se [1] ، والذي دوّن بعد مضي حوالي ستين عاما على قيام الحملة الصليبية الأولى مما مكّنه من استقصاء معلوماته من مصادر مختلفة بعضها عربي وجلها لمؤرخين لأتين عاصروا الأحداث كل ذلك بحكم للثقافة الواسعة التي تمتع بها وليم الصوري إذ كان يجيد العربية واللاتينية واليونانية والعبرية والفارسية، كما استقى بعض رواياته من شهود عيان قريبين أن لم يكن هو قد شارك بها، مكنته من دعم مؤلفه بكثير من المعلومات التي أغفلتها المصادر المعاصرة

للحدث. وهو يعد اكبر مصدر لاتيني أرّخ للحروب الصليبية نظراً لما امتازت به كتاباته من الدقة وعدم التطرف[2] وتسلسلها وضبطها إضافة إلى أنه اعتمد أسلوب التقصي والتحليل[3]، كما في معالجته لموقف القادة الصليبيين المتنازعين أمام طرسوس[4]، وأسباب رفض ريموند دي سان جيل حكم مملكة بيت المقدس[5].

وفي مجال المراجع والدراسات الحديثة فقد استعانت الدراسة بالعديد منها سواء ما كتب بالعربية أو ترجم إليها أو كتب باللغة الانجليزية كان أكثرها فائدةً للباحث كتاب Steven Runciman, A History of The Crusades، تأتي أهمية هذا الكتاب من كونه احد أهم المراجع المعتمد عليها في دراسة الحروب الصليبية بل أن بعض الدراسات العربية الحديثة تعتمد عليه بشكل كلي وواضح فيستند على رواياته وأرائه دون الرجوع إلى المراجع الأصلية العربية منها أو اللاتينية ومن أهم الجوانب التي استعانت به الدراسة من خلالها أوضاع الحجاج

---

(١) وليم الصوري: عاش في الفترة الواقعة بين (١١٣٠-١١٨٤م)، ولد في القدس لأسرة فرنسية، حصل على اكبر قدر ممكن من الثقافة في الشرق الإسلامي وفي فرنسا، عمل في خدمة الملك عموري الأول ومربيا لبلدوين الرابع وأسقفا لصور، كان كتابه في الأصل يهدف إلى تدوين أخبار الملك عموري ثم توسع ليشمل تاريخ الصليبيين في الشرق. بالمز، ج١، تاريخ الكتابة، ص١١١، بيريل سمالي، المؤرخون، ص١٧٦العريني، مؤرخو، ص١٠١، ١٠٣، ١١٠، سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج٧، ص٤-٥.

(٢) بالمز، ج١، تاريخ الكتابة، ص١١١. بيريل سمالي، المؤرخون، ص١٨٦

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.١١٤.

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٤

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢١٢

http://www.al-maktabeh.com

الأوربيين أثناء الحكم الإسلامي والتي وقف من خلالها موقفاً محايداً إذ يؤكد عدم وجود سياسة موجهة لاضطهاد الحجاج الغربيين من قبل الدولة الإسلامية، ما يحققه قدوم هؤلاء من فوائد اقتصادية ناجمة عمّا يدفعونه من ضرائب إلا أن ذلك لا يعني عدم تعرضهم لمضايقات من قطاع الطرق والقبائل القاطنة على طول طريق الحج الذين اتخذوا من قطع طرق الحجيج مهنة للتكسب، كما واستعانت به الدراسة كثيراً في بيان مصادر تموين الحملة الصليبية الأولى والطرق التي سلكها الصليبيون في عبورهم أوروبا وصولا إلى القسطنطينية، وانفرد برواية تبين دور قبرص في دعم الحملة الصليبية وخاصة في حصار أنطاكية ٤٩١هـ/١٠٩٨م، كما وتتبع رنسيمان الاستغاثات البيزنطية بالبابوية

(٤٦٣هـ/ ١٠٧١م - ٤٩٠هـ/ ١٠٩٥م)، وأوضح أن الأوروبيين لم يكونوا بعيدين عن الصراع البيزنطي - الإسلامي في آسيا الصغرى، والتي أكدتها مشاركة الأوروبيين فيها على شكل جنود مرتزقة. وافرد لموقعة

ملاذكرد(٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)[1] مساحة كبيرة لبيان دورها في إعلان الحملة الصليبية وتأثيرها السلبي على الإمبراطورية البيزنطية. كما استعانت به الدراسة في التعرف على قادة الحملة الصليبية الأولى ودوافعهم في الاشتراك بهذه الحملة وهنا يظهر تأثره بروايات فوشيه الشارتري، كما حاول رنسيمان أن يؤكد اثر الصراع السلجوقي (السني) والفاطمي (الشيعي) في نجاح الحملة الأولى إذ أشار إلى أن مدن شيزر[2] وكفرطاب وغيرها إنما ساعدت الصليبيين ابتهاجا بتراجع قوة السلاجقة، ولم يغفل المملكة اللاتينية من حيث التوسع أو التنظيمات الإدارية.

من الدراسات المترجمة ذات الأهمية كتاب ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، يعتبر هذا الكتاب مثالاً حياً للدراسات الغربية الحديثة التي تركز على الدوافع الدينية وراء الحملة الصليبية تنعت المسلمين بالتعصب الديني تجاه الحجاج المسيحيين وهو يسير على المسح التاريخي والديمغرافي للحملات الصليبية من القرن الحادي عشر وإلى الرابع عشر، وما يهم القارئ هنا يتضح من استطلاع عناوين فصول الكتاب من الأول إلى الثالث والذي جاء على النحو التالي: الشرق والغرب في أواخر القرن الحادي عشر، تضمن عرضاً لأوضاع

---

(١) انظر الفصل الثاني

(٢) شيزر: تقع على الضفة اليسرى لوادي العاصي إلى الشمال الغربي من مدينة حماة، يحميها حصن معروف باسم حصن الجسر، واغلب أهله نصارى كانت مركزا لإمارة آل منقذ الكنانيين. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٨٤، ١١٥، ولمزيد من المعلومات الجغرافية التاريخية انظر :

J. M. Mouton, "Shayzar", E. I.[٢], vol. ix., p.٤١٠-٤١١

مكتبة المهتدين الإسلامية

الإمبراطورية البيزنطية والشرق الأدنى وركز على الغرب الأوروبي من حيث النمو الاقتصادي والديمغرافي والعلاقة التي تربط بين الكنيسة والمجتمع الأرستقراطي وفكرة الحرب والأهم من ذلك توضيح فكرة التكفير وترقب الآخرة، وأوضح أيضا العلاقة التي تربط الشرق بالغرب لمعرفة مدى اطلاع أفراد الحملة الأولى المسبق على أوضاع الشرق، من خلال الحج والتجارة. وقد تم دراسة خطاب البابا وخلفيات الإصلاح الكلوني ثم تتبع رحلة البابا والرهبان لنشر الدعوة إلى الحملة الأولى ، لتوضيح الأيدلوجية الدينية وراء قيام الحملة الأولى .

لا يغفل هنا دراسة ميخائيل زابوروف **Mikhail Zaboroff**، بعنوان الصليبيون في الشرق[1]، يتناول هذا الكتاب الحملات الصليبية حتى مراحلها المتأخرة، وقد تتبع بداية فكرة الحروب الصليبية انطلاقاً من حركة دير كلوني[2] حتى خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت ١٠٩٥م، ولعل ما يميز هذه الدراسة هو تناولها للقضايا الاجتماعية وخاصة من حيث بيان التناقضات الاجتماعية في صفوف الحملة الصليبية، كما تناول النظم ال اقطاعية الصليبية في الشرق وما أضافوا عليها من خلال اتصالهم بالشرق وتناول بالتفصيل قضاياً

---

(١) ميخائيل زابوروف Mikhail Zaboroff، الصليبيون في الشرق، ترجمة اليأس شاهين، ط١، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، وسيشار إليه لاحقاً: زابوروف، الصليبيون.

(٢) حركة الإصلاح الكلوني: منذ مطلع القرن العاشر للميلاد بدأت بوادر ظهور حركات إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية، وكان المركز الرئيس لهذه الثورة الروحية دير كلوني في بورغونيا، والمرتبط مباشرة بالبابا, فهناك استيقظ المثال الرهباني ليولد حياة جديدة ، وقد انتقلت هذه الروح الجديدة – من خلال أديرة مرتبطة بدير كلوني – من فرنسا إلى ايطاليا، وغرب ألمانيا، واصطدم الإصلاح الكلوني بخصوم عديدين، فالأخلاقية عميقة الجذور صعبة الاقتلاع، فالملوك والنبلاء قلما يهتمون بالشرائع الأخلاقية أو بحقوق الرعايا، وكانت علية الأكليروس ذات غنى فاحش، ومن أقرباء الأمراء ال اقطاعيين، ومنذ أن تولى جريجوري السابع Grigors VII بدأً الصراع على السلطة الكنسية، فقد اتخذ هذا البابا ومن بعده البابا أوربان الثاني Pope Urban II، من مبادئ دير كلوني الداعية إلى تنقية رجال الأكليروس مرتكزاً لهم، وهو إصلاح يبدأ من أبعاد رجال السلطة العلمانية عن تعيين أي رجل اكليريكي سواء كان على كرسي أسقفية ورئاسة دير، وتعيين البابا نفسه. انظر:

Smith, The First Crusade, pp. ٢٤-٢٠; Oscar Browstein, "Cluny" E.A, vol. ٧, pp. ٢٧

انظر أيضاً : زابوروف، الصليبيون، ص٢١؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص٤٥-٤٦؛ والذي أكد على الدور الكبير للأفكار الكلونية من خلال الدعوة إلى الحج إلى الأراضي المقدسة في دفع العامة إلى المشاركة في الحملة الصليبية الأولى ، وهنا يتساءل المرء مع كارين ارمسترونج، إذا حض الإصلاحيون الكلونيون الناس على اعتبار الحرب عملا منافياً للمسيحية وعلى إضمار الكراهية للفرسان المقاتلين. فكيف يسع الكنيسة الآن أن تبارك حروب العدوان الجديدة ؟. كارين ارمسترونج، الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ط١، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٩٩. مترجم عن النص الإنجليزي:

Karen Armstrong: Holy War: The Crusaders and their Impact on Today's Word copyright, ٢٠٠١.

http://www.al-maktabeh.com

التنظيمات التي حفظت في سجلات اسيز دي جيروزالم (Assises de Jerusalem)[1]، ومن الأضاءات التي استعانت بها الدراسة، وضع الحجاج الغربيين في البلاد الإسلامية قبل إعلان الحملة الصليبية الأولى كما أكد أن ثروات الشرق والتي وصلت إلى مسامع القادة الغربيين كانت هدف العديد منهم، لتتضح معرفتهم المسبقة بالشرق، والتي أكدها تمسكهم بالإمبراطورية البيزنطية كحليف ومساند لهم - في بداية الحملات الصليبية. كما واستفاد الباحث بشكل كبير من كتاب[2] R. C. Smail, Crusading Warfare ١٠٩٧-١١٩٣، وخاصةً فيما يتعلق بقائمة المصادر والمرجع التي أثبتها سميل في خاتمة كتابه من حيث المواضيع وإمكانية الاستفادة منها، إضافة إلى أنه قدم في بداية كتابه فصلاً بعنوان مؤرخي الحروب الصليبية، فقام الكاتب بتحليلها ونقد منهج كتابتها كما سهل على البحث معرفة المترجم منها إلى الانجليزية. وعلى الرغم من الدراسة في أصلها دراسة عسكرية؛ إلاّ أنها دراسة أفادت الباحث كثيراً وخاصة في مجال التوزيع العددي للسكان والقوة العسكرية الصليبية، وهي دراسة أصيلة يمكن وصفها بالمحايدة، ولكن يؤخذ على الكاتب إهماله للروايات العربية المعاصرة مثل ابن القلانسي، وابن العديم واعتماده على كتب الفترة الأيوبية مثل ابن الأثير، وابن شداد(ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[3]، وأبو شامة (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)[4].

وسيشار إليه لاحقاً بـ: كارين ارمسترونج، الحرب المقدسة

(١) Assises de Jerusalem: هي أكبر مجموعة أنظمة وقوانين تعود للعصور الوسطى وتبين الأنظمة والقوانين التي كانت سائدة في مملكة بيت المقدس اللاتينية وقبرص، تم تجميعها في القرن الثالث عشر وتعود أولى نصوصها إلى قرارا مجمع نابلس ١١٢٠م.

Marsball A. R. Gibb, The Latin States Under Baldwin III and Amarlic I, ١١٤٣-١١٧٤, vol. i, p.٥٣١, IN Setton, Kenneth Meyer, A History Of the Crusades, ٦vols, University of Wisconsin Press- Madison,١٩٦٩ .

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Gibb, The Latin States.

(٢) انظر:

R. C. Smail, Crusading Warfare (١٠٩٧-١١٩٣), Cambridge University Press, ١٩٥٦

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Smail, Crusading Warfare

(٣) يوسف بن رافع بن تميم ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، د . تحقيق، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص٢١١، وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن شداد، النوادر.

(٤)عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٤ج في ٢مج، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٩٧م. وسيشار إليه لاحقاً: أبو شامة، الروضتين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الثاني: مقدمات الحملة الصليبية الأولى ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م- ٤٩٠هـ /١٠٩٧م

بواعث الحملة الصليبية الأولى :

وصفت بعض المصادر الأولى الحملة الصليبية الأولى بأنها زحف جماعي رهيب[١]، "لا يحصى عدّده كثرة "[٢]، إذ بدت الحملة لهم منظمة محددة الهدف والاتجاه، وليس مجرد مجموعة من الجند المرتزقة الأوروبيين اعتادت بيزنطة أن تستعين بهم في اعتداءاتها المتكررة على حدود الدولة الإسلامية[٣]، وليست أيضا مجرد رد فعل سريع وعاطفي على خطاب طارئ ألقاه البابا أوربان الثاني، أو حلاً سحرياً لمشكلات غرب أوروبا الاقتصادية

---

(١) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp.٢٩٦-٢٩٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٨.

(٣) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p.٢٩٦

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol.١, p.٧٦; Ross, J. S. Hoffman, Medieval History, Revised by James J. Flunny, New York Press, ١٩٦٢, p.٧٤.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Hoffman, Medieval.

http://www.al-maktabeh.com

والاجتماعية[1]، وبمعنى آخر هي ليست خروجاً جماعياً لفقراء أوروبا نحو الشرق الذهبي، فقد كانت أوروبا مشبعة بروح العداء، ومهيأة لهذا الغزو، الأمر الذي يتضح من الأحداث التاريخية التالية.

الاستغاثات البيزنطية بالغرب (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م - ٤٩٠هـ/ ١٠٩٥م): أعقب الانشقاق الكنسي الكبير ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م[1]، توتر في العلاقات بين عاصمتي العالم المسيحي: القسطنطينية وروما **Rome**، وصل إلى حد اقتتال

---

(١) أفاض المؤرخون الأوروبيون في بيان أسباب قيام الحروب الصليبية، من خلال العودة إلى دراسة الواقع الأوروبي في تلك الفترة، وأثبتوا أن العامل الديني - الذي لا يمكن تجاهله - ليس الدافع الحقيقي لتلك الحروب، فقد تداخلت العوامل الاقتصادية والاجتماعية لدى فرسان ومشاة الحملة الصليبية الأولى ، وكان الغطاء الديني ستاراً لما رافق هذه الحملة من تصرفات لا دينية ولا إنسانية. فقد كان لسوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا – وخاصة فرنسا- في أواخر القرن الحادي عشر ما جعل الحروب الصليبية بابا للهجرة أمام أولئك الجوعى في غرب أوروبا، وطريقاً للخلاص من الأوضاع الاقتصادية الصعبة. وهذا ما يفسر المشاركة الضخمة للمعدمين والجوعى في هذه الحملة. كما كانت أوروبا في ذلك الحين مرتعاً خصباً للفوضى والفساد والاضطرابات، وبؤرة للأمراض والأوبئة، فافتقرت، وعمها القحط والجوع، وشكلت طبقة الفلاحين نسبة كبيرة من أفراد المجتمع الأوروبي ال اقطاعي. وكانت هذه الطبقة تعيش حياة قاسية وتفتقر للأمن والاستقرار، يضاف إلى ذلك أن الأراضي الزراعية قد خربت وأصابها البوار، كما ضربت الجسور، وغطت المياه جانباً من هذه الأراضي، وكان النبلاء يرفضون تحويل أراضي غاباتهم إلى أراضٍ زراعية؛ لرغبتهم في الاحتفاظ بهذه الغابات خاصة بهم للصيد واللهو. وبذلك لم تعد موارد الأراضي تكفي لسد حاجات السكان في الوقت الذي زاد فيه عدد الفلاحين، يضاف إلى ذلك أن القرى لم تكن مسّورة، مما عرّضها للنهب والسطو من بعض الخارجين على القانون، أو أثناء الحروب التي كانت تنشب بين ال اقطاعيين. كما وفرت المواسم الزراعية السيئة المتعاقبة فرصة لخيال الرجال المفلسين من المزارعين والفلاحين أن يصبحوا مثل الذين سمعوا الكثير عنهم وحاربوا المسلمين في أسبانيا وغنموا مزارع جيدة فيما وراء جبال البرنيه. أما الفرسان فقد جاءت الحروب الصليبية لتروي ظمأهم وتعطشهم إلى الحرب والمغامرة، بعد أن ظن أغلبهم ببساطتهم، أنهم كانوا يزحفون إلى قدس جديدة موعودة في الأمل المسيحي، حيث لا جوع ولا عطش بعد ذلك. انظر:

Runciman, A History, vol. i, pp.٢٤-٢٦; Smith, The First Crusade, pp. ٥-٧; Oldenbourg, The Crusades, pp.١٠-١٥.

وانظر أيضاً: براور، عالم الصليبيين، ص٤-٢٢؛ أنتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسانو، دار قتيبة – دمشق، ١٩٨٥م، ص٤٠، وسيشار إليه لاحقاً بـ: بردج، تاريخ، وهو مترجم عن النص الانجليزي بعنوان:

Anthtony Bridg, , The Crusades, HarperCollins, ١٩٨٥

كارين أرمسترونج، الحرب المقدسة، ص٩٥-٩٧؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص٢٩-٣٤؛ أنتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، النبراس للنشر والتوزيع – بغداد، ١٩٦٧م، ص٣٦-٣٩، مترجم عن النص الإنجليزي بعنوان:

West Anthony, The Crusades, Random House, January ١٩٥٤.

وسيشار إليه لاحقاً بـ: ويست، الحروب.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الطـرفين[٢]، ولم يتغـير هـذا الوضـع إلاّ بعـد تعـرض بيزنطـة لهزيمـة كـبرى في ملاذكـرد (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)[٣] أمـام السلاجقة، فقد ترتب عليها خسارة بيزنطـة أجـزاء واسـعة مـن أراضـيها التقليديـة في أسـيا الصـغرى (الأناضـول) ونشوء سلطنة سلاجقة الروم[٤]، وتجرؤ النورمان أكثر وأكثر على غـزو السـواحل البيزنطيـة، وقـد وقـف الأبـاطرة البيزنطيون موقفاً حرجاً إزاء هذه التطورات التي رافقها تفكـك الجـيش البيزنطـي، واضـطراب الأوضـاع الأمنيـة، فسارعوا إلى طلب النجدة من أوروبا المسيحية ومن زعامتها الدينية التقليدية (البابوية)، على النحو التالي:

الإستغاثة (المرحلة) الأولى ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م:

---

(١) الانشقاق الكنسي الكبير٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م (Great Resonance): انشقاق كنائس الشرق والغرب الخلقيدونية عـن بعضـها بعـض، مشكلة بذلك فرعاً غربياً لاتينياً (كاثوليكياً) وفرعاً شرقياً بيزنطياً (أرثوذوكسياً)، والسبب الرئيسي للانشقاق هو الخلاف حول قـرار البابا ليو التاسع، والذي طالب بان يكون له سلطة على البطاركة اليونان الأربع في الشرق، وأيضاً رغبة الغربيين بإضافة عبارة على قانون الإيمان النيقاوي حول انبثاق الروح القدس من الابن أيضاً إضافة للأب. رأى الشرقيون بان سلطة بابا روما هي شرفية وهو يملك سلطة روحية في نطاق رعيتـه فقـط، وهـولا يملـك الحـق لتغيـير قـرارات المجـامع المسـكونية . بالاضـافة لتلـك الأسـباب الجوهرية وجدت أيضاً عوامل ومؤثرات أقل أهمية أدت لحدوث الانشقاق، كالممارسات الطقسـية وغيرهـا. انقسـمت الكنـائس الخلقيدونية عقائدياً ولغوياً وسياسياً وجغرافيا، وقامت في القرون اللاحقة لقاءات ومحـاولات للصـلح والوحـدة، كمجمـع ليـون الثاني عام١٢٧٤م، ومجمع بازل ١٤٣٩م ولكنها باءت كلها بالفشل.

انظر:

Runciman, A History, vol. ١, p.٧٦. Charles Diehl, History of The Byzantine Empire, U. P. Princeton, ١٩٢٥, p.١٠٧.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Diehl, History.

(٢) انظر:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٥٥ ; Runciman, A History, vol. i, p. ٦١; Tamara, Talbot Rise, The Seljuk's in Asia Minor, Thames and Hudson, London, ١٩٦١, pp. ٣٠-٣١

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Rise, The Seljuk's

(٣) انظر الفصل الثالث.

(٤) انظر:

Anna Comnena , The Alexiad, p. ١٨١-٢٠٠.

وانظر أيضاً:

Hoffman, Medieval History, p. ٧٧; Yewdale, Bohemond, p. ٩; Runciman, A History, vol. i, p. ٧٦; Rise, The Seljuk's, p. ٣٩.

http://www.al-maktabeh.com

لجأ الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس Michael VII[١] إلى البابا جريجوري السابعGrigors VII [٢]، عام ٤٦٥هـ /١٠٧٣م طالباً تقديم معونة عسكرية أوروبية تحارب إلى جانبه لوقف الزحف السلجوقي في الأناضول، وكان رد البابا سريعاً، إذ وضع خطة تقوم على إرسال مجموعة من الفرسان لا يتجاوز عددهم الثلاثمائة فارس يخضعون لأوامر الكنيسة، ويحاربون باسمها ولصالحها في الشرق، إلا أن مشاكله في الغرب مع الأمراء الأوربيين منعته من تنفيذ هذا المخطط، وأجبرته على التخلي عن طموحاته في الشرق[٣].

الاستغاثة (المرحلة) الثانية ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م:

تشير بعض الروايات[٤] إلى أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بادر في ١٠٨٨م إلى إرسال رسالة إلى روبرت كونت الفلاندرز Robert II Flanders[٥] يطالبه فيها بنجدة من الفرسان لا تتجاوز الخمسمائة فارس لمساعدته

---

(١) ميخائيل السابع دوقاس Michael VII: (ت ١٠٧٨م) أول إمبراطور للدولة البيزنطية (١٠٧١-١٠٧٨م) بعد هزيمة ملاذكرد وفوضى الجيش الرافضين لعودة الإمبراطور السابق رومانوس الرابع إلاّ أن فترة حكمه أتسمت بالاضطرابات وعدم الاستقرار، إلى أن اضطر إلى التخلي عن منصبه في عام٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م. انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٢١.

(٢) جريجوري السابع Grigors VII: (ت ١٠٨٥م) تولى سدة البابوية ما بين (١٠٧٣-١٠٨٥م)، أرسل إليه الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع دوقاس يدعوه لإرسال حملة لإنقاذ آسيا الصغرى من السلاجقة، فأسرع جريجوري السابع لتأليب ملوك أوروبا وأمرائها، غير أن عجلة الصراع بين المسلمين والفرنجة قد توقفت بسبب النزاع بين الكنيسة وملوك أوروبا، حتى عادت للبابوية قوتها بعد موت هنري الرابع. انظر:

Kenneth Pennington, Gregory VII, Saint (١٠٢٠-١٠٨٥), E. A, vol. ١٣, pp.٤١١; Runciman, A History, vol.i, pp.٩٧; Smith , The First Crusade, pp. ٥-٧.

(٣) انظر:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٧٥-٧٧; Kenneth pennington, Gregory VII, Saint (١٠٢٠-١٠٨٥), E. A, vol.١, pp. ٤١١.

(٤) تشكك بعض الدراسات الحديثة بهذه الرواية وتضعفها لعدة أسباب منها عدم وجود أصل لاتيني للرسالة وعدم مطابقة صيغة الرسالة مع الخطابات البيزنطية الرسمية. انظر:

Rise, The Seljuk's, p.٥٠.

(٥) روبرت كونت الفلاندرز Robert II Flanders (١١١١م): لم أعثر على توضيح حول سيرته باستثناء كونه أميراً اقطاعياً في الأراضي المنخفضة في فترة الدراسة زار والده القدس حاجاً حوالي ١٠٨٧م، لمزيد من المعلومات انظر ترجمته حاشية رقم١٣ في:

Filcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

في صد الخطر السلجوقي الذي يداهم بيزنطة، وتجدر الإشارة إلى أن الكونت كان قد حج في العام السابق(٤٨٠-١٠٨٧م) إلى بيت المقدس، وفي طريق عودته عّرج على القسطنطينية، وقدّم للإمبراطور البيزنطي وعداً بإرسال قوة في العام التالي تحارب إلى جانب الإمبراطورية، وهو الوعد الذي طالب الإمبراطور بتنفيذه[١].

الاستغاثة(المرحلة) الثالثة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م

وصل أثناء انعقاد مجمع بيكانزا في آذار١٠٩٥م، رسول من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إلى البابا أوربان الثاني يطالبه بتقديم المساعدة ضد السلاجقة الآخذين بالتوسع داخل الأناضول ليهددوا القسطنطينية نفسها[٢]،

وكانت هذه المطالبة -على الأرجح- حجة استخدمها الإمبراطور ليحصل على مجموعة من الفرسان يستخدمهم بحجة الدفاع عن المسيحية للتوسع داخل الأناضول مستغلاً حالة الفوضى والتفكك التي أصابت البيت السلجوقي[٣] بعد وفاة السلطان ملكشاه(٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٤].

---

(١) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٢٢٨-٢٢٩.

وانظر أيضاً:

Rise, The Seljuk's, p. ٥٠.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦١.

(٣) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٢٣٤-٢٣٥

وانظر أيضاً:

Rise, the Seljuk's, pp. ٤٨; Oldenbourg, The Crusades, pp. ٥٦-٥٧.

(٤) ملكشاه (٤٤٦/١٠٥٤- ٤٨٥هـ/١٠٩٢م): جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن جغري بك السلجوقي التركي ثالث السلاطين العظام في الدولة السلجوقية . وُلد سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، وتولى السلطنة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، ودبّر مملكته الوزير نظام الملك والذي كان في خدمة أبيه ألب أرسلان من قبل، وفي عهد ملكشاه اتسعت الدولة السلجوقية حتى وصلت من كاشغر شرقاً إلى القدس غربًا. وأخضع الدولة البيزنطية وأجبرها على دفع الجزية، كما أخذ جزء من الشام من الفاطميين وقد مات في ١٥ شوال سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م بعد أن بلغت دولته أقصى اتساعها وأوج قوتها، وبوفاته ذهبت سعادة البيت السلجوقي، ذلك لان أبناءه اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا على الملك، مما سهّل الطريق أمام الحملات الصليبية على الشام.

انظر:

J. M. Mouton, "Shayzar", E. I.[٢], vol. ix., p. ٤١٠-٤١١.

http://www.al-maktabeh.com

استغاثات الحجاج:

ينفرد العظيمي (ت٥٥٦هـ/١١٦١م)، بالربط بين الحروب الصليبية ومعاملة الفاطميين للحجاج وذلك في حوادث ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م" ومنع أهل السواحل حجاج الفرنج والروم من العبور إلى بيت المقدس، وانتشر الخبر ممن سَلِم إلى بلادهم بذلك فتأهبوا للغزاة... "[١]، ومما يدل على ضعف هذه الرواية أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين لم يشر إلى هذه الحادثة[٢]، وكذلك البابا أوربان الثاني الذي اكتفى بالإشارة إلى حالات النهب والسلب وقطع الطرق التي يتعرض لها الحجاج على طول خط الرحلة سواء في أوروبا أم في الشرق[٣]، وبالتالي يمكن القول أن ما أشار إليه العظيمي كان بفعل تأثير الأحداث التالية التي تزامنت مع الوجود الصليبي في بلاد الشام، وتؤكد الدراسات الحديثة[٤] أن رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة أخذت بالازدياد منذ

---

(١) العظيمي، تاريخ، ص١٤٨. ويشير رنسيمان إلى أن منع الحجاج الأوربيين من دخول الأراضي المقدسة كان في عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م وبايعاز من السلطات البيزنطية على إثر الانشقاق الكنسي الكبير١٠٥٤م. انظر:

Runciman, A History, vol. i, pp. ٤٩-٥.

في حين يؤكد زابورووف، على أن تغير طرق الحج من البحر إلى البر إنما كان بفعل التوتر العسكري في أسيا الصغرى وليس له علاقة بالمطاردات الدينية، وأستخدم في كتابه، بالسيف والصليب، عبارة " الادعاءات بالاضطهاد الديني حولت اللصوص إلى فرسان المسيح" وذلك للدلالة على الهمجية باسم الدين التي رافقت الحملات الصليبية. زابوروف، الصليبيون، ص٣٥؛ زابورووف السيف والصليب ، ترجمة هاشم حمادي، ط١، دار الرأي- دمشق، ٢٠٠٦م، ص٢٧، وسيشار إليه لاحقاً بـ: زابوروف، بالسيف والصليب

(٢) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٢٩٣-٢٩٥

(٣) انظر نص خطاب البابا الملحق رقم(١)

(٤) انظر:

Smith, The First Crusade, p. ١٩.

أما سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط٢،٤ج، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص٢٥، وسيشار إليه لاحقاً بـ: سعيد عاشور، الحركة الصليبية؛ يشير اعتماداً على مرجع غربي وهوSetton إلى أن الحجاج الاووبيين قد تعرضوا منذ معركة ملاذكرد٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، إلى الكثير من المضايقات جعلت الغرب الأوروبي يؤمن بضرورة استخدام القوة لتأمين عملية الحج إلى بلاد الشام، وهنا يؤكد عاشور الاستغلال الجيد من قبل الصليبيين لهذه الروايات، أما بالار، الحملات الصليبية، ص٣٥، وفي الوقت نفسه الذي يتحدث فيه عن الاضطهادات التي تعرض لها الحجاج في بلاد المسلمين يؤكد على استمرارية هذه الرحلات وعدم انقطاعها.

مكتبة المهتدين الإسلامية

القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ولم تتوقف حتى القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، وما لدينا من أسماء وأعداد الحجاج لم يكن في الواقع سوى ذكر لكبار الشخصيات[١]، وذلك بعد أن أقر دير كلوني ، الحج واعتبره جزءاً من رحلة التكفير عن الخطايا[٢]. ويعتبر الراهب بطرس الناسك Boutros Hermit[٣] من أشهر الحجاج الذين ذكرهم التاريخ – مع كل ما يحيط برحلة حجه إلى بيت المقدس من شكوك، فهو نفسه شخصية يحوطها الغموض والشك- إذ لعب دوراً كبيراً في نشر الأخبار والروايات عما يلاقيه الحجاج الغربيون والمسيحيون الشرقيون من اضطهاد على يد السلطات الإسلامية، وذلك ضمن أحداث ٤٨٥هـ-٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، ولقائه المزعوم مع بطريرك القدس الذي حمله رسالة إلى البابا أوربان الثاني يستنجد به لتخليص القبر المقدس من يد المسلمين الكفرة[٤]. ومما يؤكد عدم وجود سياسة موجهة لاضطهاد الحجاج

---

(١) انظر:

Rise, The Seljuk's, p. ٥٥; Ronald C. Finucan, Soldier of the Faith Crusades and Moslems at War, J. M. Dent and Sons Ltd. vol. i, ١٩٨٨, p. ١٥.

وسيشار إليه لاحقاً بـ:

Ronald, Soldier of the Faith Crusades.

(٢) للمزيد من المعلومات حول تطور فكرة الحج المسيحي انظر:

Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p.١٥-١٨; Runciman, A History, vol.i, pp. ٤٩-٥٠; Oldenbourg, The Crusades, pp. ٤١-٤٢.

(٣) بطرس الناسك Boutros Hermit: تحدثت عنه مصادر الحملة الصليبية الأولى كراهب ذي شخصية مؤثرة ومتحدث مفوه من أمينس Emnes، كان مجهولاً قبل دعوة البابا أوربان الثاني للحملة الصليبية، كان قد وعظ بنشاط لأجل الحملة في شمال فرنسا وبلاد الفلاندرز. وأدعى أنه عيّن من قبل المسيح ذاته و لديه رسالة إلهية لإثبات ذلك، ومن الجائز أن يكون بعض من أتباعه اعتقدوا أنه هو، لا البابا اوروبان، الداعي الحقيقي للحملة إلى الأرض المقدسة . وقاد جماهير الفلاحين في جيش الحملة الشعبية١٠٩٥م People's Campaign ، انظر:

Gesta Version, p.٧٠.

انظر أيضاً:

Smith, the First, p.٣٤; Oldenbourg, The Crusades, p.٧٨-٧٩.

(٤) يشير نقولا زيادة، وشحادة خوري، إلى أن الرسالة التي حملها بطرس الناسك قد استغلت فكانت الغاية الظاهرة للحملة الأولى تحرير المسيحيين، وفي الباطن كانت تهدف إلى إخضاع الكنائس الشرقية لها. نقولا زيادة، المسيحية والعرب، ط٤، دقمس- دمشق، ٢٠٠٢، ص٢١٣، وسيشار إليه لاحقاً بـ: نقولا زيادة، المسيحية والعرب؛ وشحادة خوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ط٢، مطبعة بيت المقدس- القدس، ١٩٩٢م، ص٦٩، وسيشار إليه لاحقاً بـ خوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم،

http://www.al-maktabeh.com

الغربيين من قبل الدولة الإسلامية، ما يحققه قدوم هؤلاء من فوائد اقتصادية ناجمة عمّا يدفعونه من ضرائب[١]، وما ينفقونه داخل الدولة الإسلامية، إلاّ أن ذلك لا يعني عدم تعرضهم لمضايقات من قطاع الطرق والقبائل القاطنة على طول طريق الحج الذين اتخذوا من قطع طرق الحجيج

مهنة للتكسب[٢]، وكان ازدياد مثل هذه الاعتداءات طردياً مع ازدياد أعداد الحجاج[٣]، وهو الأمر الذي تزامن مع سيطرة السلاجقة على بيت المقدس. وبالتالي يمكن الجزم بان نجاح رحلة الحج يعتمد أساسا على أمرين رئيسيين هما ١: الأوضاع الأمنية في بيت المقدس وعلى طول طريق الحج ٢: انخفاض النفقات المالية لرحلة الحج.[٤]

وقد اعتمد الحج المسيحي على ثلاث طرق أساسية وهي: طريق بحري والذي يعبر البحر المتوسط – القسطنطينية، وطريق بحري- بري، يعبر نهر الدانوب Danube[٥]- البلقان Balkan[٦] – القسطنطينية، وطريق

---

(١) انظر:

Runciman, A History, vol.i, pp.٤٩-٥٠; Rise, The Seljuk's, p.٥١.

(٢) انظر:

Runciman, A History, vol.i, p.٥٠.

(٣) انظر:

Runciman, A History, vol. i, pp. ٤٩-٥٠; Rise, The Seljuk's, p.٥٥.

(٤) بالار، الحملات الصليبية، ص٣٧-٤٠؛ انظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ٤٩-٥٠

(٥) انظر:

Richard. P. Zollo, "Danube River", E. A, vol. ٥, pp. ٤٩٢-٤٩٣.

(٦) البلقان Balkan: لم أعثر في مصادر الحملة الأولى على وصف لمنطقة البلقان بشكل عام . وبالمجمل هي منطقة تاريخية جغرافية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا تصل مساحتها لحوالي ٧٢٨٠٠٠ كم مربعا. اشتق اسم المنطقة من سلسلة جبال البلقان Balkan التي تمتد من أواسط بلغاريا حتى شرقي صربية . يطلق أحيانا على البلقان Balkan مسمى شبه جزيرة البلقان Balkan بصفتها محاطة بالماء من جهاتها الثلاث وهي البحر الأسود من الشرق وأفرع البحر المتوسط من الجنوب والغرب بما فيها البحرالادرياتيكي Adriati وبحر مرمره والبحر ألايوني وبحر ايجة. انظر:

Charles Jelavich and Barbara Jelavich, "Balkan", E. A, vol. ٣, pp. ٩١-٩٧ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

بري، يبدأ من ايطاليا Italy- البحرالادرياتيكي Adriati[(١)]-دورازو Durazzo[(٢)]-القسطنطينية.

حروب الإسترداد:

ابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) هو أول من أشار إلى العلاقة بين حروب الاسترداد والحملة الصليبية الأولى ، فقد قال "كان ابتداء ظهور دولة الإفرنج واشتداد أمرهم، وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة{ ١٠٨٥م} فملكوا طليطلة[(٣)] وغيرها من بلاد الأندلس، وقد تقدم ذكر ذلك، ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة {١٠٩١م} جزيرة صقلية وملكوها، وقد ذكرته أيضاً وتطرقوا إلى أطراف افريقية، فملكوا شيئا وأخذ منهم، ثم غيره على ما تراه"[(٤)]، وعلى الرغم من أن هذه الإشارة جاءت متأخرة[(٥)] إلاّ أن تتبع فكرة الحملة الصليبية ومشاركة قادة الحملة الأوائل فيها يؤكد صحة هذا الرأي.

البابا أوربان الثاني وخطابه التحريضي- في مجمع كليرمونت ١٨-٢٨ ذوالقعدة ٤٨٨هـ/ ١٨-٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٥م..

---

(١) البحرالادرياتيكي Adriati: أحد فروع البحر المتوسط يفصل شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان وسلسة جبال الأبينيني عن سلسلة جبال الألب. انظر:

Robert. O. Reiad, "driatic Sea", E. A, vol.١, pp. ٦٧-٦٨.

(٢) دروازو Durazzo: إحدى المدن البيزنطية الواقعة إلى الجنوب من اسكودارو،. ذكرها الشارتري كمدينة بلغارية وهي مدينة مزدهرة بالسكان غنية بالحبوب والنبيذ. انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٤٠; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦٧ ؛Gesta Version, p. ٥.

(٣) سقوط طليطلة ١ صفر ٤٧٨هـ / ٣ حزيران ١٠٨٥م: هاجم ألفونسو السادس ملك قشتالة طليطلة واستولى عليها في ١ صفر سنة ٤٧٨هـ/٣ حزيران ١٠٨٥م، ولم يحرك ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية ساكنًا وكان لهذا السقوط آثار خطيرة، فلقد كان فاتحة لحركة الاسترداد، ولأول مرة منذ الفتح الإسلامي تعبر الجيوش الصليبية حاجز نهر التاجه، وكان هذا السقوط الشرارة الحقيقية التي أطلقت الحروب الصليبية على بيت المقدس، علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق٤ مج١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨-١٩٧٩م،، ص١٦٢-ص١٦٦، وسيشار إليه لاحقاً بـ ابن بسام، الذخيرة؛ عبد الملك بن الكر دبوس (ت بعد ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص٨٣-٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٢. انظر أيضاً:

E. Levi- Brovencal, "Tulaytula", E. I.[٢], vol. viii, pp. ٦٠٤- ٦٠٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٧.

(٥) توفي ابن الأثير في ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، ولم يشر إلى هذا الحدث أي من المصادر العربية الأولى ولا حتى اللاتينية المرافقة لجيوش الحملة الصليبية الأولى ، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٧

http://www.al-maktabeh.com

تنسب الحملة الصليبية برمتها وباختلاف دوافعها وبواعثها إلى اوتولاجري، Orodo Lagery المعروف بالبابا أوربان الثاني الذي ولد حوالي ١٠٤٢م لأسرة نبيلة، في جنوب فرنسا. وتدّرج في التعليم والسلك الكنسي، وبدأت شهرته مع اتصاله بالبابا جريجوري السابع، وأصبح من أشد أتباعه إخلاصا، وتبنى أفكاره، فما أن وصل سدّة البابوية في روما عام ١٠٩٥م حتى أعلن برنامج عمله، وهو استكمال خطة البابا جريجوري
السابع قائلاً: الذي رفض أرفض والذي أدان أدين، الذي أحب أنا أعتنق، وما أعتبره كاثوليكياً أنا أوكد وأصدق[١]، بما في ذلك فكرة إرسال حملة إلى الشرق تحارب باسم البابوية وتنقل الفرسان المستاءين من هدنة الرب (Truce of God)[٢] إلى الشرق[٣]. وقد عقد منذ وصوله إلى سدّة البابوية مجمعين كنسيين الأول في بيكانزا في آذار ١٠٩٥، والثاني مجمع كليرمونت تشرين الثاني ١٠٩٥م، بعد أقل من ثمانية أشهر على المجمع الأول مع عدم وجود مستجدات كنسية تستدعي عقد مجمعين في العام نفسه، وربما يشير ذلك إلى أن البابا فضل الدعوة إلى الحملة الصليبية في بيئة مشبعة بروح العداء للإسلام، فمدينة كليرمونت واقعة إلى الجنوب من فرنسا على الحدود الإسبانية، وقد شارك معظم أهلها في حروب الاسترداد ومن ضمنهم أفراد أسرة البابا نفسه، وكذلك أسرة ريموند دي سان جيل أشهر قادة الحملة الأولى - فيما بعد- ف اقطاعيته سان جيل التي تنحدر إليها أسرته

(١) بالار، الحملات الصليبية، ص٤٧. انظر أيضاً:

Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p. ١٨; Oldenbourg, The Crusades, p.٤٣-٤٥; Smith , The First Crusade, p.١٦.

(٢) هدنة الرب Truce of God: حركة أوروبية كاثوليكية في العصور الوسطى، تقوم الكنيسة بموجبها بفرض العقوبات الروحية على منتهكي الأيام المقدسة، من اجل حد العنف والقتل في المجتمع ال اقطاعي، وهي أول حركة سلمية تهدف لحماية كيان المجتمع المدني، بدأت فكرتها محدودة في القرن العاشر الميلادي وازدهرت في القرن الحادي عشر، واستمرت حتى القرن الثالث عشر. يوشع براور، عالم الصليبيين، ص١٥.

(٣) انظر نص الخطاب في الملحق رقم (١)

مكتبة المهتدين الإسلامية

واقعة في الجنوب الفرنسي[١]. وكان أكثر المشاركين في الحملة عدداً هم من الفرنسيين[٢] حتى أن المصادر اللاتينية أسمتها (الحروب الإفرنجية) نسبة لهم [٣].

ركزّ خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت ٢٨ تشرين الثاني١٠٩٥م، على النقاط الرئيسية التالية:

* أوضاع المسيحيين الشرقيين وضرورة مساعدتهم بعد أن أخذ "السلاجقة " بالتوسع في الأناضول المسيحي، وأخذوا يسيئون معاملة السكان، بالاضافة إلى عجز بيزنطة عن مقاومتهم.

* أكد ما لبيت المقدس من قداسة خاصة، فهو أرض مولد وصلب السيد المسيح، ولا يجوز بقاؤها في يد من أسماهم بـ "الكفرة ". وأكد أيضاً ما يلحق الحجاج الأوربيين من أذى من هؤلاء "المتوحشين".

* أكد البابا أن التوجه إلى الشرق هو تنفيذ لأمر الله — إرادة الرب **The will of God** — كما هو مصلحة دنيوية ودينية لكل من يلبي النداء. فدينياً سيحصل الجميع بلا استثناء على الغفران من الرب وستعمل الكنيسة على حفظ أموالهم وما تركوه وراءهم في الغرب. ودنيوياً سيتخلص الفقراء من العوز والفقر والتبعية للنبلاء وال اقطاعيين ليصبحوا أحراراً بتخلصهم من النظم ال اقطاعية. وسيجد الفرسان في الشرق المكان الحقيقي الذي يمارسون فيه بطولاتهم ليس ضد بعضهم بعضاً وإنما ضد أعدائهم. وسيجد النبلاء وال اقطاعيون في الشرق متسعاً لتكوين إمارات خاصة بهم بعد أن عجزت أراضي الغرب عن استيعابهم[٤].

وهكذا حرص البابا أوربان الثاني على إرضاء جميع فئات المجتمع وإعطائها الدوافع للاشتراك في هذه الحملة، كل ذلك يؤكد أن الدعوة للحملة الصليبية لم تكن ارتجالية، عجّل بظهورها رسالة الإمبراطور البيزنطي، وسهل تنفيذها البيئة الفرنسية المشحونة بالعداء ليس نحو الإسلام فقط وإنما نحو كل ما هو ليس كاثوليكي، فما أن

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٦-٧

(٢) يؤكد بعض الباحثين المحدثين أن الفرنسيين قد سمعوا عن ثروات البلدان الشرقية وعن الخلافات بين حكامها وكونوا فكرة عن حجم الثراء الذي يمكن ان ينالوه في الشرق.... انظر:

Smail, Crusading Warfare, pp. ١٨-٢٠; Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p.٢١, Smith, The First Crusade, p.١٦-١٧.

(٣) انظر المقدمة هامش رقم (١)

(٤) انظر نص خطاب البابا ملحق رقم (١)

http://www.al-maktabeh.com

انتهى البابا من إلقاء خطابه حتى هتف الحاضرون "أنها إرادة الرب"[1]. وتم الاتفاق على أن ينطلق المحاربون في السنة التالية بعد جمع المحصول، وتكون القسطنطينية نقطة الالتقاء.[2] وحرصا من البابا على أن لا تخرج الحملة عن نفوذه، تمّ تعيين الأسقف أدهيمار دي مونتيل أسقف لي بويه قائداً عاما للحملة[3].

خط سير الحملة الصليبية الأولى ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦-٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م من كليرمونت وحتى القسطنطينية

كان تأثير خطبة البابا كبيراً على الفلاحين الذين كونوا غالبية الحضور. أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبه دعاة البابا من رهبان وأساقفة أمثال بطرس الناسك، مما أدى إلى اندفاع العامة في حملة رعاع غير منظمة عرفت باسم "الحملة الشعبية " وأنطلقت في مطلع ١٠٩٦م[4]. وقد سلك أفراد هذه الحملة سياسة اعتمدت على السلب والنهب وتخريب الأراضي الزراعية التي يمرون بها، حتى أصبحوا جماعة غير مرحب بها حتى ضمن المناطق الأوربية التي عانت منهم وصولا إلى القسطنطينية، ورغم كل المحاولات التي بذلها الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين لضبط النفس، واستيعاب هذه المجموعة من الرعاع[5]، إلا أن استمرارهم في حرق وسلب المدينة دفعه إلى الإسراع إلى نقلهم إلى الجانب الآخر من البسفور حيث لاقوا حتفهم بين قتيل

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦٧ ؛Gesta Version, p. ٥.

(٢) انظر:

Gesta Version, p.٥.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦٧.

وانظر أيضاً:

Oldenbourg, The Crusades, p.٩٥.

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.٦١-٧١; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٩٢-٩٣.

وانظر أيضاً:

Oldenbourg, The Crusades, pp.٧٨-٨٦.

(٥) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٢٩٥-٣٠٦; William of Tyre, A History of Deeds, p.٩٢-٩٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وجريح وأسير ومشرد[١] بكل يسر وسهولة على أيدي السلاجقة بالقرب من مدينـة نيقيـة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[٢]. كـان تنظيم الحملة الصليبية الأولى (حملة الفرسان) يقوم على أساس تقسيمها إلى أربع مجموعـات تتخـذ كـل منهـا المسار الخاص بها حسب نقطة الانطلاق، على أن تكون القسطنطينية نقطة الالتقاء[٣]:

١: مجموعة غودفروي دي بويون دوق اللـــورين السفلي، الذي غادر اللـورين[٤] في نهايـة آب متخـذا طريـق – الراين (Rhine)[٥] – الـدانوب Danube[٦] – عـلى امتـداد الحـد المجـري وصـولاً إلى القسـطنطينية في٢٣ كـانون الثاني١٠٩٦م[٧]. وقد واجهه في رحلته عـدد مـن الصـعوبات والمتاعـب تمثلـت بقيـام ملـك المجـر بحجـز سـفارة غودفروي التي طلبت عبور أراضيه احتجاجاً على أعمال الشـغب التـي أثارهـا في بـلاده أفـراد الحملـة الشـعبية، وبعد مفاوضات تمكن غودفروي من دخول المجر، وأمد جيشه بالزاد والمؤن. وبالقرب من القسـطنطينية أمضى الجيش ثمانية أيام في نهب القرى بعد أن فقد قادته السيطرة عليه.[٨]

---

(١) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, pp. ٣٠٦-٣٠٩; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧١, ٧٣.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٨.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٣.

(٤) اللورين Lorraine: إقليم تاريخي في الجزء الشمالي الشرقي من فرنسا وهو يعد جزء من الأراضي الألمانية فترة الدراسة. انظر:

Malcolm Sylvers, "Lorraine", E. A, vol.١٧, p. ٧٤٧.

(٥) الراين: نهر الراين Rhine: يعتبر الراين أحد أهم وأطول الأنهار في القارة الأوروبية . اسم النهر مشـتق مـن الكلمـة السـيلتية Renos التي تعني الجاري. كان يشكل على مدى ٤٠٠ عام الحدود الرئيسية بين بلاد الرومان والقبائل الجرمانية، كما نشـأت عـلى الجانب الغربي منه العديد من المدن الألمانية , والعديد من المدن الفرنسية على ضفافه. انظر:

Ferdinand C. Lane," Rhein", E. A., vol. ٢٣, pp. ٤٦٢-٤٦٣.

(٦) الدانوب Danube: يشكل جزءا كبيراً من حدود رومانيا الجنوبية مع كل من صربيا وبلغاريا. يلتقي الدانوب مـع نهـر بـروت، ويصب في البحر الأسود مشكلا دلتا الدانوب. انظر:

Richard, P. Zollo, "Danube"", E. A , vol. ٨, pp.٤٩٢-٤٩٣.

(٧) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٣٦-٤٠.

(٨) انظر:

Runciman, A History,vol. I, pp. ١٥٤-١٥٨; Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p.٢١.

http://www.al-maktabeh.com

٢: مجموعة بوهيمند وقد ضمت النورمانديين الإيطاليين[١]، وكانوا قليلي العدد مقارنة مع غيرهم نظراً لعدم امتلاك بوهيمند الأموال اللازمة للتجهيز والإنفاق[٢]، واتخذوا خط سير بحري بدءا من أمالفي(Amalf)[٣]. وصولاً إلى باري(Bari)[٤]- بحر الأدرياتيك وصولاً إلى القسطنطينية ١٠٩٧م[٥]. وتمثلت أبرز الصعوبات التي واجهت بوهيمند في صعوبة عبور الجبال في اليونان إذ رفض الأهالي تزويده بالمؤن- نظراً للعداء التاريخي بينهم وبين النورمان[٦]- ولذلك أقدم جنود بوهيمند على نهب مدن اليونان التي عبروها وما حولها من قرى،

---

(١) النورمان: جاء الاسم من Northmen: بمعنى رجال الشمال، خليط من شعوب اسكندنافيا، استقروا في الدانمرك والسويد والنرويج. غزوا سواحل فرنسا وانجلترا وشبه الجزيرة الايبيرية وايطاليا وجزر غرب المتوسط، واستوطنوا بها. كانوا في البداية وثنيين متخصصين بالسلب والنهب, ولكن في أعقاب استقرارهم بفرنسا أصبحوا نصارى ومزارعين. وكانوا مقاتلين أشداء، خصوصاً في القتال على ظهور الخيل بأسلحة ثقيلة وبمعطف طويل في قميص حديدي مع درع لوزي. كانوا مطلوبين جداً كمرتزقة، حتى للإمبراطورية البيزنطية ومع ذلك ظل أغلب الفرسان فقراء ودون أرض، لهذا السبب امتهن كثير منهم القتال وصاروا صليبيين، للاستحواذ على الثروات والأراضي.

انظر:

Birgitt L. Wallace,"Normands", E. A, vol. ٢٠, pp. ٤١٠-٤١١

(٢) انظر:

Yewdale, Bohemond I, pp. ٣٦

(٣) أمالفي Amalfy : تقع جنوب مدينة نابولي وعلى الطرف الغربي من القدم الايطالية، في المنطقة المعروفة بخليج ساليرنوعلى ٤١ درجة على خط الطول و١٢ درجة على خط العرض. ورد اسمها عند الشارتري كمبانيا ووصفها بأنها مدينة وافرة الثراء. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٤٢.

وانظر أيضاً:

Carl A. Keyser, "Amalfy", E. A. vol. ١, p. ٥٥١

(٤) باري (Bari): مدينة ايطالية، عاصمة إقليم بوليا ومقاطعة باري جنوب البلاد، على ٤١ درجة على خط الطول و١٦ درجة على خط العرض. تصفها مصادر الحملة الأولى بأنها مدينة واسعة الثراء، واقعة على الشاطئ وهي ميناء هام. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٤٢.

وانظر أيضاً:

D. Vincent Manson, "Bari", E. A, vol. ٣, p.٢٣٦.

(٥) انظر:

Yewdale, Bohemond I, pp. ٣٤-٣٩; Runciman, A History, vol. i, p. ١٥٦.

(٦) انظر:

مكتبة المهتدين الإسلامية

مما جعلهم يقضون سبعة أسابيع في عبور مساحة لا تتجاوز مائة ميل[١]. ٣: مجموعة ريموند دي سان جيل- وهو أول نبيل أعلن تلبية نداء البابا، وانطلقت مجموعته في تشرين الأول ١٠٩٦ م بجيش كبير من فرنسا الجنوبية، وسار تحت رايته المئات وربما الآلاف من ال اقطاعيين المتوسطين والصغار بالاضافة إلى الأساقفة الذين كان أبرزهم الأسقف أدهيمار دي مونتيل أسقف لي بويه نائب البابا والقاصد الرسولي الرئيس الروحي للحملة الأولى [٢]. وقد تحركت قوات فرنسا الجنوبية عبر جبال الألب -شمال ايطالياً - شمال الحد البيزنطي وذلك في شباط وصولاً إلى القسطنطينية في ٢١ نيسان ١٠٩٧م[٣]. وقد تمثلت الصعوبات التي واجهت هذه القوة بسوء حالة الطرق في دالماشياDalmatia[٤] وخشونة سكانها، فاستغرقت أربعين يوماً لعبورها في البرد

Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p. ١٧; Yewdale, Bohemond I, pp. ٣٥-٣٨; Runciman, A History, vol. i, p.١٥٨.

(١) انظر:

Yewdale, Bohemond I, pp. ٣٤-٣; Runciman, A History, vol. i, p. ١٥٦.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٦٧; Hill, Raymond IV, p. ٦-٧

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٣٦-٤٠.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٠-١٦٢.

(٤) دالماشيا Dalmatia: منطقة في كرواتيا على ساحل البحر الأدرياتيك على ٣٩ درجة على خط الطول و١٤ درجة على خط العرض .وصفتها مصادر الحملة الصليبية الأولى بأنها أرض مهجورة جبلية، سكانها سلاف همجيون، قاوموا جنود الحملة الأولى ولم يبدوا أي تعاون معهم؛ ويعود ذلك إلى سوء العلاقة التي ربطت الأهالي مع جنود الحملة الشعبية ١٠٩٥م. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٣٦-٣٧.

وانظر أيضاً:

Brain, Vesey-Fitzgerland, "Dalmatia", E. A. vol.٨, p.٤٤٣.

http://www.al-maktabeh.com

القارص واعتداءات القبائل الصقلبية(الصربية) على مؤخرة الجيش، وفي اسكوردا Shkoder[١] نفذت المؤن وبقوا في حالة جوع وبؤس حتى الحدود البيزنطية حيث استقبلهم وفد من القسطنطينية[٢]، إلا أنهم مالوا إلى الفوضى[٣].

٤: مجموعة روبرت دوق نورمنديا Robert of Normandy[٤]، أنطلق من شمال فرنسا في تشرين الأول ١٠٩٦م[٥]، إلى الأراضي الإيطالية حيث التقى البابا أوربان الثاني في روما ومنها إلى كالابريا أو قلورية Calabria[١]، وانقسمت قواته إلى مجموعتين قررت الأولى قضاء فصل الشتاء في كالابريا، وسارت البقية

---

(١) اسكودار Shkoder: مدينة في شمال ألبانيا إلى الجنوب من بحيرة اسكودار، كانت مدينة مزدهرة في العصور الوسطى سيطر عليها الصقالبة، ثم التجار الايطاليون من مدينة جنوه. كان سكانها من السلاف وهي عبارة عن مملكة كما تصفها مصادر الحملة كان ينظر أهلها إلى الصليبيين نظرة عداء وهي أرض جبلية. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٤٠.

وانظر أيضاً:

E. A. Stead , Jr. , M. D, "Shkodar", E. A,vol. ٢٤, p.٧٤٣.

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٣٧.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٣٦-٤٠.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٣-١٦٤.

(٤) روبرت دوق نورمنديا Robert of Normandy: عاش ما بين (١٠٥٤- ١١٣٤م) وهو أبن غير شرعي لوليم ملك انجلترا قام برهن أملاكه لدى أخيه ملك انجلترا William the Conqueror. انظر بالتفاصيل عنه وعن رحلته:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٣-٧٨.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٥-١٦٩.

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٥.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol.i, pp. ١٦٧-١٦٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

بقيادة روبرت إلى القسطنطينية التي وصلها في أوائل كانون الأول دون أي عوائق[٢]، وفي الربيع ١٠٩٧م غادرت المجموعة المتبقية كالابريا إلى أن وصلت القسطنطينية في آيار١٠٩٧م[٣]. وقد تمثلت الصعوبات التي واجهت هذه القوة في الكارثة البحرية التي تعرضت لها أمام شواطئ القسطنطينية حيث انقلبت مجموعه من مراكبه التي بلغ تقديرها في بعض الروايات أربعمائة مركب، وفي سلسلة جبال طوروس[٤] اجتاح فيضان مفاجئ جماعة منهم فغرقوا[٥]، وكان أغلب الواصلين إلى القسطنطينية من المجموعة التي رافقت روبرت كونت نورماندية طوال الرحلة[١].

---

(١) كالابريا أو قلورية Calabria: إقليم في إيطاليا، يقع أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية و تبلغ مساحته ١٥. ٠٨٢ كيلومتر مربع، وهو على شكل شبه جزيرة يفصله عن صقلية مضيق ميسينا، ولعل المقصود هنا هو مدينة Reggio Calabria ريدجو كالابريا هي أكبر وأقدم مدينة في إقليم كالابريا تشكل الضفة الثانية لمضيق ميسينا، قبالة جزيرة صقلية. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٥.

وانظر أيضاً:

A. Paul Levack, "Reggio Calabria", E. A, vol. ٢٣.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٥.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٧-١٦٨.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٥-٧٦.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٨-١٦٩.

(٤) جبال طوروس: تؤلف شريط الجبال الهامشية الجنوبية في تركية، تساير سواحل البحر المتوسط وحدود تركية مع سورية والعراق، وأعلى قمة فيها ٤١٦٨م، تستمر جبال طوروس باتجاه الغرب مقتربة من البحر المتوسط، فترسم قوساً مقعرة باتجاه الشمال تحتضن حوضي قونية وبحيرة الملح، لتنتهي في الغرب بمرتفعات إلمه لي ٣٠٨٦م، غرب خليج أنطالية. وتصفها مصادر الحملة الصليبية الأولى أنها بأنها وعرة مخيفة فأطلقت عليها اسم جبال الشيطان. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٥٠.

وانظر أيضاً:

F. Taschner, "Anadolu", E. I.[٢], vol. i, p.٤٦٣-٤٨٠.

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٧٦-٧٧.

http://www.al-maktabeh.com

وقد اعتمدت مجموعات الحملة الأولى في تموينها على ثلاثة مصادر أساسية:

١: التموين الذاتي، بمعنى أن كل من يملك شيئاً في بلاده كان يمكنه رهنه أو بيعه أقدم على ذلك وخاصة كبار القادة الذين كان يقع على عاتقهم إعداد وتجهيز الفرسان[٢]، ضمن المفهوم ال اقطاعي الذي يقضي- بان يقوم السادة بتجهيز الفرسان والمشاة والمدنيين بما في ذلك النساء ما داموا ضمن اقطاعياتهم[٣]. ٢: السلب والنهب وهو المصدر الرئيس للتموين[٤]، إذ سرعان ما نفذت المؤن التي تزودوا بها في بلادهم للرحلة، فهاجموا الأراضي

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, p.١٦٩.

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٧.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol.i, pp. ١٦٩.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧١-٧٨.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٦-٧.

(٤) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٢٠٠; Hill, Raymond IV, p.٦-٧.

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. i, pp. ١٦٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الزراعية الخصبة في أوروبا وخاصة المجر[1]، واستهدفوا أيضا اليهود[2] وخاصة على حوض الراين. ولم تسلم من أعمال النهب والسلب الأراضي البيزنطية حتى القسطنطينية نفسها[3]. ٣: الدعم البيزنطي: لقد أمر الإمبراطور الكسيوس موظفي بلاطه الذين أرسلهم لاستقبال الصليبيين على البحرالأدرياتيكي بحسن معاملتهم، وأكد كتّاب الحملة الصليبية الأولى ذلك حتى بعد وصولهم إلى القسطنطينية وإقامتهم على أبوابها وما تبع هذه الإقامة من أعمال تخريب[4].

---

(١) المجر Magyor: تعرف أيضاً بهنغاريا في وسط أوروبا كانت فترة الدراسة مناطق صعبة مهجورة لصعوبة الجبال والأودية والأنهار فيها. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٤٤.

وانظر أيضاً:

Reaumer S. Donnally, "Hungary", E. A, vol.١٤, p. ٥٧١.

(٢) انظر:

Anna Comnena , The Alexiad, p.٢٠٠

وانظر أيضاً:

Runciman, A History, vol. ١, p.١٣٦; Smith, The First Crusade, p. ٣٣.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٩; Anna Comnena; The Alexiad, p. ٢٠١; Gesta Version, p.١١٥

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٩; Anna Comnena The Alexiad, p٢٠٢; Gesta Version, p.١١٥

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثالث: الخارطة السياسية والعسكرية والبشرية للواجهة الإسلامية من الحدود البيزنطية - مصر الفاطمية

"راح الإمبراطور يقدّم نصائحه وهوينظر إلى الشمس التي تغيب فوق القسطنطينية وتصبغ البحر بلون ذهبي: إحذر السلاجقة بشكل خاص، فهم مرعبون. لم يتمكن أي ملك اوامبراطور من ايقافهم خلال زحفهم انطلاقاً من أعماق اسيا ... لايزال محاربوهم يتقدمون نحوالغرب. أن فترة حكمي ليست سوى سلسلة من الانحدارات والهزائم أمام السلاجقة . أن برابرة الشرق هم على ابوابي..."[1]، واكد أن " لايعبروا مضيق البسفور حتى يصل الجزء الأكبر من الجيش المسيحي لانكم لستم بالقوة التي تمكنكم من ايقاع الهزيمة بالسلاجقة"[2] هذه نصيحة الإمبراطور الكسيوس كومنين لريموند دي سان جيل عشية عبوره مضيق البسفور (ذراع القديس جورج)[3]، وهي نصيحة عامة لم تجب عن أسئلة لابد وان دارت في فكر كل قائد أن لم يكن كل جندي في الجيش الصليبي، ما هي البلاد التي نوشك على عبورها؟ من هو العدو القادم وأين سنجده؟ هل من حليف فيها؟ والأهم هل سنجد ما نحتاجه من ماء ومؤن؟. ولعل الإجابة تكمن في تتبع الخط الذي يوشك الصليبيون على عبوره على النحو التالي:-

أولا:- الأناضول(اسيا الصغرى):-

تقع الأناضول على خط ٣٩ شمالا و٣٥ شرقاً وهي عبارة عن شبه جزيرة فسيحة مترامية الأطراف، تمتد حدودها من بحر ايجة غرباً إلى الفرات شرقا، وتتجه شمالا إلى أن تصل البحر الأسود، وتقف جنوباً عند حدود بلاد الشام التي يفصلها عنها سلسلة جبال طوروس، وتمتاز الأناضول بمناخ حار جاف صيفاً رطب مطير

---

(١) دومينيك بوديس، الصليبيون في الشرق، ترجمة زياد انطوان هاشم، ط١، المكتبة الشرقية - بيروت، ٢٠٠١م، ص٨٢-٨٣، مترجم عن النص الفرنسي بعنوان:

Dominique Baudis, Raimond, D Orient, Paru en,١٩٩٩

وسيشار إليه لاحقاً بـ: بوديس، الصليبيون في الشرق.

(٢) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية جون هيوج، ولوريتا هيل، نقله إلى العربية حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية -الاسكندرية ١٤١٩هـ /١٩٩٩م، ص ٦٢. سيشار إليه لاحقاً بـ توديبود، تاريخ الرحلة. مترجم عن النص الانجليزي وهو بعنوان:

btrs-twdebwd-tarekh-alrhlh, Trans, by John Hill, , P. P. T. S., vol. i, London, ١٩٨٥

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of Expedition, p. ٤٥; Hill, Raymond IV, p. ٧٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

شتاءاً -وهو مناخ يختلف بشكل جذري عما عهده الصليبيون في بلادهم الباردة وعلى طول طريق رحلتهم وصولاً إلى القسطنطينية -، كما تمتاز الأناضول أيضا بكثرة الأودية فيها وفي الوقت نفسه ندرة الماء إذ إن معظم الأودية فيها موسمية تفيض في الربيع وتجف في الصيف، وإذا نظرنا إلى الخريطة نجد أن جيوش الحملة الصليبية عبرت الأناضول من المنتصف مما يجبرها على مواجهة الصحراء الملحية الداخلية[١]، ويبعدها عن الشواطئ، ويقربها من السلاسل الجبلية الوعرة المتمثلة بسلسلة جبال اللّكام[٢] وطوروس، ويبعد هذه الجيوش أيضا عن المناطق الساحلية السهلة، فلو كان لدى الصليبين علم بجغرافية المنطقة لفضّلوا المسير عبر خط الساحل بعيدين عن مدن النفوذ السلجوقي، وبمعنى آخر لقد وجِّه الصليبيون إلى عبور منطقة صعبة جغرافياً تعتبر متاهة حقيقية لأي كان في حال لم تتوافر المساعدة الجغرافية الكافية وخاصة المساعدة البيزنطية[٣] وذلك لتحقيق هدف بيزنطي بحت يتمثل في استرداد الأناضول مجبرين الصليبيين على تشتيت قوتهم في مواجهة السلاجقة والدويلات المحلية التالية:-

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٩

(٢) جبال اللكام أو الأمانوس : سلسلة جبال تمتد جنوباً إلى ساحل البحر المتوسط من جبال طوروس وتمتد بذلك عبر الطرق من سوريا إلى كليكية، وقد اشتهرت بأشجار الأرز فيها. وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الصليبية الأولى المرافقة للحملة لاتذكر هذه السلسلة الجبلية بالاسم وبالوصف وتكتفي بالاشارة إلى عبورها.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of Expedition, p. ٥٠

المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٩، المعجم الجغرافي، مج١، ص٤٦٥.

وانظر أيضا:

M. Streck, "al-Lukkam, djabal", E. I.٢,vol. v, p. ٨١٠-٨١١

(٣) حافظت الإمبراطورية البيزنطية على سيادتها على منطقة الأناضول طوال تاريخها حتى تأسيس سلطنة سلاجقة الروم عام٤٧٠هـ/١٠٧٧م؛ أي أقل من عشرين عاماً قبل قدوم الحملة الصليبية الأولى ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م.

C. E. Bosworth, " Seljuks", E.I.٢,vol.vii, pp. ٢٤-٣٧

http://www.al-maktabeh.com

سلطنة سلاجقة الروم [1](٤٧٠هـ/١٠٧٧م-٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م).

تعود المحاولات الإسلامية للاستيلاء على الأناضول إلى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي إلاّ أن جميعها باءت بالفشل، واقتصر الوجود الإسلامي فيها على بعض الجاليات هنا وهناك التي بقيت على اثر إحدى الغارات أو هربت من الدولة الإسلامية لتحتمي بالدولة البيزنطية، وتغير هذا الوضع مع قدوم الغزوات السلجوقيةفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك كتوسع طبيعي لحركات القبائل السلجوقيةالآخذة في الاتجاه نحو المشرق[2]، ولا يخفى أن غزوات السلاجقة هذه كانت عبارة عن تحركات قبلية يصحبها دائماً الكثير من القتل والتدمير والاستيطان في أحيان أخرى، وقد أخذت هذه الغزوات بالازدياد عندما لجأ السلاطين السلاجقة ,وخاصة في عهد الب أرسلان (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢)[3] ملكشاه (ت٤٨٥ هـ/١٠٩٢م)، إلى إرسال القادة والزعماء المناوئين لهم للقتال في الأناضول مانحيهم ما يستولون عليه من أراضٍ[4]، وأهم هذه الأحداث هو قيام السلطان الب أرسلان، في سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م بإرسال أبناء قطلمش بن إسرائيل (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)[5]، إلى الأناضول مع منحهم صلاحيات واسعة للتوسع وإنشاء دولة خاصة بهم تحت مظلة

---

(١) انظر:

C. E. Bosworth, " Seljuks", E.I.٢,vol.vii, pp. ٢٤-٣٧

(٢) انظر:

C. E. Bosworth, " Seljuks", E.I.٢,vol.vii, pp. ٢٤-٣٧

(٣) الب أرسلان: عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق(٤٦٥هـ/ ١٠٧٢ م) كان ثاني حكام السلاجقة ، استطاع في عهده أن يفتح أجزاء كبيرة من اسيا الصغرى وأرمينيا وجورجيا. ووسع حدودها على حساب الأقاليم المسيحية للأرمن وبلاد الروم، وتوَّج جهوده في هذه الجبهة بانتصاره على الإمبراطور رومانوس الرابع في معركة ملاذكرد في ذي القعدة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١ م قُتل بعدها في ١٠ ربيع الأول ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢ على يد أحد الثائرين عليه، وهو في الرابعة والأربعين من عمره.

انظر:

CL. Cahen "Alp- Arslaan", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٢٠-٤٢١

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ط١، ١٨ج، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وسيشار إليه لاحقاً بـ: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٨٦؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٢١٦-٢١٧

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٦؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٢١٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الدولة السلجوقية الواحدة[1]، وقد تزامن هذا النمو السلجوقي مع تزايد الضعف في الجانب البيزنطي[2]، مما سهل مهمة أبناء قطلمش الذين تمكنوا من مهاجمة المدن الرئيسية في وسط وغرب

الأناضول وخاصة مدينة ملطية[3]، واتجهوا إلى بحر مرمره، وهددوا مدينة مقدونيا، وما أن تولى الإمبراطور رومانوس Romans IV Diogenes (ت١٠٧١م)[4] عرش الإمبراطورية البيزنطية حتى بدأ ١٠٦٨-١٠٧١م بحركة تستهدف القضاء على القوات السلجوقية، وقد حسم الصراع في داخل

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢١٧.

(٢) انظر الفصل الأول ص٦-٧.

(٣) ملطية Malatya: مدينة تاريخية عريقة في وسط تركيا جنوب هضبة الأناضول، تقع شمال غرب مدينة ديار بكر وعلى بعد حوالي ٢٠٠ كم منها، كانت مدينة مزدهرة وقت السلم تتراوح أعداد السكان فيها فعندما يستولي عليها الروم يتم تهجير السكان، وعندما يستعيدها المسلمون يتم إعادة شحنها بالأهالي من مختلف الأصول والمذاهب، وسقطت ملطية نهائياً بيد الروم عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م، وعندما بدأت الدولة البيزنطية بالضعف استطاع الأرمن في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد تكوين إمارة ارمنية مستقلة فيها مستغلين مناعتها الطبيعية. توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٠٩

انظر:

CL. Cahen "Alp- Arslaan", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٢٠-٤٢١

(٤) الإمبراطور رومانوس Romans IV Diogenes (ت١٠٧١م)، حكم في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٠٦٨-١٠٧١م، وارتبط اسمه بمعركة ملاذكرد، كان هدفه الأساسي، إعادة أرمينيا إلى الدولة البيزنطية، تم الانقلاب العسكري عليه على أعقاب الفوضى السياسية والعسكرية لدى الأوساط الحاكمة في القسطنطينية التي أحدثتها هزيمة ملاذكرد ووقوع الإمبراطور رومانوس في اسر السلطان الب أرسلان الذي طلب فدية قدرها٣٦٠،٠٠٠ صولدي(دينار بيزنطي) يدفعها الإمبراطور بعد وصوله القسطنطينية ولكن الإمبراطور لم يتمكن من دفع كامل المبلغ بسبب الأوضاع المضطربة في بيزنطة

انظر:

CL. Cahen, "Alp- Arslaan", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٢٠-٤٢١

http://www.al-maktabeh.com

الأناضول لصالح السلاجقة على اثر معركة ملاذكرد عام٤٦٣هـ/ ١٠٧١م[١]التي مثلت الخطوة الأولى في صبغ الأناضول صبغة إسلامية تركية، خاصة بعد أن اتخذ السلطان ملكشاه(ت٤٨٥ هـ/١٠٩٢م) سياسة تعتمد على توجيه ليس المناوئين لحكمه فقط وإنما

الحشود السلاجقةمانية المهاجرة من مواطنها الأصلية إلى الأناضول، وهي التي أحسن استغلالها أمراء مثل سليمان بن قطلمش (ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)[٢]، فتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على معظم الأناضول من كليكية Cilicia[٣] إلى مضيق الدردنيل، ومدنها الرئيسية(نيقيا -العاصمة - نيقوميدياNiğde [٤]، قونية)[٥] وبذلك أصبح الأناضول من الفرات شرقاً، حتى بحر مرمره غرباً تحت السيطرة السلجوقية[١]، وبعد مقتل

---

(١) ولعل من الاسباب التي دفعت سلطان السلاجقة الب أرسلان إلى التدخل لأول مرة في شؤون الأناضول بدء احد المعارضين لسلطانه بالتوسع على حساب البيزنطيين دون الاعتراف بالتبعية لألب أرسلان الذي تزامن مع استيلاء ارمانوس على أخلاط وملاذكرد، وقد حأول السلطان السلجوقي تجنب الدخول في مواجهة عسكرية مع الإمبراطور البيزنطي الذي اعتبر هذا التصرف ضعفاً في الجانب السلجوقي الذي أبدى في المواجهة الحقيقية بين الطرفين في ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م قوة فائقة أنهت السيادة البيزنطية على الأناضول

انظر:

CL. Cahen, "Alp- Arslaan", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٢٠-٤٢١

(٢) سليمان بن قطلمش (ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م): أحد ابرز القادة السلاجقة في الأناضول ومؤسس دولة سلاجقة الروم، دخل في حرب مع تاج الدولة تتش أدى إلى مقتله عام(٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م). ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٣٠٧.

(٣) كليكية Cilicia: منطقة في بلاد الأناضول تحيط بها جبال طوروس من الشمال والبحر المتوسط من الجنوب قسمت في العصور الوسطى إلى السهل الساحلي والجزء الجبلي الشمالي. وصفتها مصادر الحملة الأولى بالخصبة وافرة الاغذية في جهتها الشمالية مجدبة بالاتجاه نحو الجنوب، توديبود تاريخ الرحلة، ص١١٦

انظر:

M. Canard,"Cilicia", E.I.٢, vol. ii,pp.٣٤-٣٩

(٤) نيقوميديا: مدينة أشنكنيد الحالية، مدينة صغيرة ضمن مقاطعة نيقوميديا في وسط الأناضول ، إحدى المدن الرئيسية في دولة سلاجقة الروم منذ عام٤٧٠هـ/١٠٧٨م.وصفتها مصادر الحملة الأولى بالخصبةووفرة الاغذية وبسيطرة الارمن عليها، توديبود تاريخ الرحلة، ص١١٦

انظر:

P. Wittek, " Niğde", E.I.٢,vol. vi, pp.١٥-١٦

(٥) تزامنت هذه الأحداث مع قيام ثورة داخلية في الإمبراطورية البيزنطية عام٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م، بقيادة نقفور بوتانيتوس Nicephorus Botaneiates، حاكم إقليم عمورية على الإمبراطور ميخائيل السابع Michel VII Docas، وقد استعان نقفور بالسلاجقة

مكتبة المهتدين الإسلامية

سليمان بن قطلمش(٤٧٩هـ/ ١٠٨٦ م) تولى الحكم قلج أرسلان الأول ابن سليمان بن قطلمش(ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م)[٢]، و يلاحظ المتتبع لأوضاع سلاجقة الروم السياسية عشية الغزو الصليبي أنها كانت مفككة والسلطان وصل للتو إلى السلطة ليستلم دولة حديثة العهد بالمدنية والأهم حديثة العهد بالمنطقة، لم تشهد إلى فترات كافية من السلم والهدوء لتثبيت أواصر الترابط ما بين السكان الجدد والقدامى، أو حتى لم يكن هناك فرصة كافية لإعادة بناء المنطقة المدمرة زراعياً، وغير الآمنة للطرق التجارية، حتى السلاجقة أنفسهم ومن تبعهم لم تكن قد اتضحت ولاءاتهم السياسية خاصة مع بدء انهيار قادة دولة السلاجقة العظام على اثر وفاة ملكشاه (ت٤٨٥ هـ/١٠٩٢م) فكل يتصيد الفرص حتى يكوِّن دولته الخاصة، وهو الأمر الذي نتج عنه العديد من الدويلات المحلية وهي:-

١:- الدولة الدانشمندية[٣](٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م/ ٥٧٢هـ- ١١٧٧م):-

أسس هذه الدولة ملك غازي دانشمند(ت٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)[١] منتهزاً خلو عرش نيقية على اثر وفاة سليمان بن قطلمش(ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، وضعف البيزنطيين على اثر هزيمتهم في معركة ملاذكرد(٤٦٣هـ /١٠٧١م)

الذين احتلوا لأول مرة نيقية ونيفوميديا، وخلقدونيا والبسفور باسمه، وفي نهاية ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م، ثار السلاجقة في نيقية على حليفهم السابق الإمبراطور نقفور الثالث Nicephorus III، دعماً لميخائيل السابع Michel VII Docas، على أن يساعدوه في الوصول إلى عرش القسطنطينية مقابل منح السلاجقة نصف المناطق السابقة خالصة لهم.

انظر:

C. E. Bosworth, " Seljuks", E.I.٢,vol.vii, pp. ٢٤-٣٧

(١) انظر:

Runciman, A History, vol.i, pp٢-٥١

(٢) قلج أرسلان(ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م): داود بن سليمان المعروف بالمصادر العربية بـ قليج تولى سلطنة سلاجقة الروم في عام(٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) واستمر في الحكم حتى عام (ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م) وانشغل في أيام حكمه بضم الدولة الدانشمندية ومركزها ملطية إلى دولته ولم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب الظهور الصليبي بدءا من عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٦٧

وانظر أيضا:

CL. Cahen, "Kilidj Arslan I", E .I.٢,voI.v, pp.١٠٣-١٠٤

(٣) الدانشمند كلمة فارسية الاصل بمعنى العالم، أوالذكي اوالماهر، وتطلق على الدولة التركمانية لابناء دانشمند ومركزها ملطية، غزاها جدهم دانشمند احمد غازي مع قلج أرسلان وأسس فيها مملكة مستقلة.

انظر:

I. melikoff," Danishmandiya",E.I.٢,vol, ii, pp.١١٠-١١١

http://www.al-maktabeh.com

ونجح في أن يكون دولة خاصة بهم- في ظل السيادة الاسمية لسلطنة سلاجقة الروم والأناضول في نيقية -(٢) في مناطق شمال وغرب الأناضول(٣) قاعدتها سيواس ,Siwas(٤)، وضمت مدن قبذل أرماك kizil Irmak(٥)،

يشيل أرماك Yesilirmak[٦]، واماسيا Amasya[٧]، وكومانComana[٨]، وتوقات Tokat[١]، ونيكسار(قيصرية الجديدة) Niksar[٢]، وأنقرةAnkara[٣]، وملطية، وسينوب[٤].

---

(١)غازي دانشمند (ت٤٩٧هـ/ ١١٠٤م): أحمد غازي شمس الدين اومحمد الأول بن كمشتكيق بن تلوداشمند، مؤسس الدولة الدانشمندية في ملطية.

انظر:

I. melikoff," Danishmandiya",E.I.٢,vol, ii, pp.١١٠-١١١

(٢) متى الرهاوي(ت حوالي ق٦هـ/ ١٢م)، تاريخ متى الرهاوي، سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج٥، ص٢٣-٢٧، وسيشار إليه لاحقاً بـ متى الرهاوي، تاريخ.

انظر:

I. melikoff," Danishmandiya",E.I.٢,vol, ii, pp.١١١-١١٠

(٣) مناطق شمال وغرب الأناضول الآتي ذكرها واقعة على خط ْ٣٢َ،٣٠ شمالاً وْ٣٧َ،٥٢ شرقاً

(٤) سيواس: الاسم العربي الذي اطلق على المنطقة الواقعة شمال شرق الأناضول في القرن٦هـ/١٢م، ودخلت تحت الحكم السلجوقي منذ عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م- ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م.

انظر:

Suraje Faroghi,"Siwas", E.I.٢,vol. ix, p.٦٨٩-٦٩١

(٥) قبذل إرماك: اكبر نهر في اسيا الصغرى ويعرف بالنهر الاحمر، ينبع من الجبال المحيطة بسيواس وينطلق من ارزن الروم معتمدا على مياه الامطار في زيادة تدفقه، ويبلغ طوله حوالي ٦٠٠ميل.

انظر:

Cl. Hurat,"kizil irmak",E.I.٢,vol. v, p. ٢٤٦

(٦) يشيل ارماك: نهر في شمال الأناضول اسمه الكلاسيكي توزان صو يمر في مدن سيواس وتوقات.

انظر:

Cl. Hurat,"Yashil irmak",E.I.٢,vol. ix, p.٢٤٤

(٧) امأسيا: قصبة ولاية سيواس يمر بها نهر يشيل ارماك سكانها أرمن.

انظر:

FR. Taeschner,"Amasya",E.I.٢,vol .i, p.٤٣٢

(٨) كومان: مدينة صغيرة في شرق الأناضول .

انظر:

Fr. Taeschner,"Colemerik",E.I.٢,vol.ii, p.٥٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢:- الدويلات الأرمنية:-

هاجر الأرمن من بلادهم الخاصة في أعماق الأناضول في الجزء المعروف بهضبة الأناضول الشرقي(٥)، خلال أواسط القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي هروبا من الصراع البيزنطي - السلجوقي، فاستغلوا عدم توجه السلاجقة إلى الأقاليم الجنوبية والشرقية من اسيا الصغرى التي تقع حول طوروس وملطية ثم الرها وأنطاكية مؤسسين دولتهم الجديدة في الهضبة الأناضولية، منعزلين عن بقية الإمبراطورية البيزنطية، فأصبحت مركزًا لحركة إحياء ارمنية على جانب كبير من الأهمية(٦). و لم يتمكنوا من تأسيس دولة أرمنية واحدة وإنما عدداً من الإمارات الأرمنية(٧)، كانت تزداد عددا أو تتقلص حسب الأوضاع السياسية الداخلية للأرمن أو السياسة الخارجية ممثلة بالتوسع السلجوقي أو البيزنطي وكانت أهم الإمارات الأرمنية عند بدء

---

(١) توقات: تقع في الجهة الشمالية من الاناضول بين الجبال ويمر بها نهر توزلو صو.

انظر:

M. Bazin,"Tokat", E.I.٢,vol.x, p. ٥٥٨-٥٦٠

(٢) نيكسار: قلعة مرتفعة سكانها أرمن وبها حامية سلجوقية هامة.

انظر:

F. Baringer, "Niksar",E.I.٢,vol.viii, p. ٣٦

(٣) انقرة : كانت وقت الدراسة مدينة صغيرة في شرق الأناضول .

انظر:

F. Taeschner,"Ankara",E. I.٢,vol.i, p.٥٠٩-٥١١

(٤) سنوب: تقع في الجزء الشمال من الأناضول عرفها المسلمون باسم سانوب تشرف على نهر يشيل أرماك.

انظر:

Suraje Faroghi, "Sinub", E.I.٢,vol. ix, pp. ٦٥٣-٦٥٦

(٥) الهضبة الإرمينية: هضبة الأناضول الشرقية وهي عبارة مجموعة من الهضاب التي تعلو لأكثر من ١٥٠٠-١٨٠٠م، حتى أكثر من ٢٠٠٠م فوق سطح البحر، تغطي شرقي الأناضول .

انظر:

F. Taschner , " Anadolu", E. I.٢, vol. i, pp. ٤٦٣-٤٨٠

(٦) متى الرهاوي، تاريخ، ج٥، ص٣٠

(٧) متى الرهاوي، تاريخ، ج٥، ص٢٣. وانظر أيضا: أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي، ط١، (د. ن)، ١٩٧٢، ص٢١٦-٢١٧. وسيشار إليه لاحقاً بـ اديب السيد، ارمينية

http://www.al-maktabeh.com

الحملة إمارتي الرها[١]، وملطية[٢]. ويلاحظ القارئ هنا أن القوى المحلية في الأناضول لم تكن سوى دويلات حديثة النشأة لا تدين بولاء لقوة كبرى، وإنما نشأت بفعل التوتر السياسي والأمني في الأناضول. ولم يكن لها تأثير فعّال، ولذلك لم يبق أمام الصليبين سوى السكان المحليين. والأناضول التي لم تشهد مؤخراً فترات سلمية كانت غير واضحة المعالم، إذ شكل السكان والأراضي الزراعية ضحية الصراع السلجوقي - البيزنطي، فالاستيلاء على أي بقعة لا يعني إلاّ تدميرها انتقاماً من صاحب السيادة السابق عليها، وحتى لا يتمكن من الاستفادة منها في المرات اللاحقة بغض النظر عن الولاءات والانتماءات الدينية والسياسية للأفراد، فقد شهدت أعداد السكان في الأناضول تناقصاً مستمراً نتيجة للصراع السلجوقي - البيزنطي، ومثّل الأرمن الأرثوذكس غالبية السكان في الأناضول، مع احتفاظهم بالولاء للإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، وبقي هناك وجود للعنصر اليوناني(البيزنطي) بعد أن كان يشكل معظم السكان قبيل التوسع السلجوقي وخصوصاً بعد معركة ملاذكرد ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ووجد العنصر السرياني بشكل واضح في الأناضول خصوصاً في مدينة ملطية[٣]، بالاضافة إلى وجود نسبة متواضعة من العرب وهم بقاياً القوة التي تمكنت في صدر الإسلامي ولفترة زمنية قصيرة من الاستيلاء على الجزء الشرقي من الأناضول[٤]، بالاضافة إلى العناصر التي خلفتها التوغلات العسكرية والقبلية عبر الثغور الشامية طوال العهدين الأموي والعباسي، وعلى الرغم من إشارة

---

(١) امارة الرها: وصفت مصادر الحملة الأولى مدينة الرها بانها مدينة ذائعة الصيت في تقع في اخصب مناطق الهضبة الارمنية بالقرب من نهر الفرات.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٢

وانظر ايضا:

Runciman, A History, vol. i, p.١١٣

(٢) امارة ملطية: اسسها جبرائيل صهر ثوروس و الذي كان واليا عليها من قبل السلاجقة فانقلب عليهم واعلن استقلاله ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

انظر:

Runciman, A History, vol. i, p. ١١٣

(٣) انظر:

S. Faroqhi, "Malatya", E. I.٢, vol. vi, pp. ٢٣٠-٢٣٢

(٤) محمد بن حوقل البغدادي (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)، صورة الأرض, ط١، (د.ت)، ط١، مطابع بريل-ليدن، ١٩٦٧، ص ١٦٨ وسيشار إليه لاحقاً بـ ابن حوقل، صورة الأرض.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المصادر إلى رحلات جماعية للسلاجقة والسلاجقةمان طوال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إلاّ أنها لا تحدد عدداً لها باستثناء إشارة ابيالفداء إلى تعداد السلاجقةمان في شمال غرب أنطاليا[١]، والذين قدرهم بألف خيمة[٢]، وهي رواية لا يعتد بها إذ لا تشير تحركات الحملة الصليبية إلى وجود سلجوقي ذي ثقل خارج المدن والحاميات.

ويمكن الاستنتاج من كل ماتقدم أن الصليبين أجبروا على عبور منطقة هي متاهة طبيعية كانت اسلامية السيادة والنفوذ، مسيحية الديانة، بيزنطية الولاء..

ثانياً- الثغور الشامية:-

يكون المرء بخروجه من الأناضول قد انتقل إلى المنطقة المعروفة تاريخياً باسم الثغور الشامية، وتقع هذه الثغور بين دائرتي العرض ٥٥: ٣٦ و٣٥:٣٦، وخطي الطول٣٤:٥٥ْ و٩:٣٦، وقد تمتعت المنطقة بحصانة طبيعية، إذ تحدّها من الشمال سلسلة جبال طوروس التي عرفت تاريخياً بأنها " الحاجز بين المسلمين والروم"[٣]، وهذه السلسلة صعبة ضيقة المسالك نادرة الماء[٤]، حتى عرفت في المصادر الصليبية باسم جبل الشيطان[٥]، ويعرف الجزء الجبلي الذي يعبرها ويمتد من الشمال إلى الجنوب بجبال اللكام[٦]. وبين هذه الجبال والساحل تكونت منطقة سهلية خصبة توافرت فيها مختلف أنواع المحصولات وخاصة الحبوب وكثرت فيها القرى التي كانت بأكملها تقريبا ارمنية[٧]، ويمر في المنطقة سلسلة من الأنهار أبرزها نهرا سيحان[١] وجيحان[٢].

---

(١) أنطاليا: مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، جنوب تركيا تابعة لقونية وهي ميناء وكانت في عهد السلاجقة مصنع تصنع فيه الأسلحة، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٣٨١.

وانظر أيضا:

F. Taeschner, "Antalya", E. I.٢,vol.i, p. ٥١٧-٥١٨

(٢) ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٣٨١

(٣) الإصطخري، مسالك الممالك، ص٦٤.

وانظر أيضا:

G.E. Bosworth ,"Tarsus" , E.I.٢,vol. x, pp.٣٠٦-٣٠٧

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٩

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١١

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٩

(٧) انظر:

http://www.al-maktabeh.com

وقد تراجعت السيطرة الإسلامية على هذه المنطقة منذ مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وخاصة بعد أن ركّز السلاجقة جهودهم على التوسع داخل الاناضول مما سهل تكوين إمارات ارمنية مستقلة بعيدة عن الصراع السلجوقي-الفاطمي من جهة، والصراع السلجوقي - البيزنطي من جهة أخرى، حيث، تمّ إحياء ما كان يعرف ببلادسيس(٣) مستغلة الحصانة الطبيعية لمنطقة الثغور الشامية وخاصة في مدنها الرئيسية: طرسوس(٤)، وأذنة(٥)، والمصيصة(١)، والأسكندرونة(٢).

G.E. Bosworth ,"Tarsus" , E.I.٢,vol. x, pp. ٣٠٦-٣٠٧

(١) سيحان: نهر من أكبر الأنهار الجبلية في الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى ينبع من جبل قورمازداغ ويعبر سهل كليكية ويمر على مندن اذنة وطرسوس ليصب قبالتها في البحر المتوسط.

انظر:

C. P. Haase, "Sayhan", E. I. ٢, vol. ix. Pp.١١١-١١٢

(٢) جيحان: يخترق سهول كليكية من الشرق ينبع من نبع بالقرب من البستان وسرعان ما تتصل به روافد أخرى تزيد من تدفقه ويلتقي بنهر آق صو من الشرق بالقرب من مرعش ثم يسير بمجرى جنوب شرقي يعبرها خلالها سهول كليكية في جوار المصيصة إلى ان يصب الغرب من مدينة إياس.

انظر:

M. Cander" Djayhan", E. I. ٢, vol. ii, pp. ٥٠٢٥٠٣

(٣) متى الرهاوي، تاريخ، ج٥، ص٢٥

وانظر أيضا:

V. F. Bucher,"Sis", E. I. ٢, vol. ix, pp. ٦٧٨-٦٧٩

(٤) طرسوسTarsus : مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط في منطقة مرسين حيث تبعد حوالي ١٥كم عن مدينة مرسين و٤٠ كم عن مدينة أضنة، أهم الثغور الشامية لإشرافها على المدخل الجنوبي لجبال طوروس، وشكلت في فترة الدراسة قاعدة بلاد سيس(بلاد الأرمن). وصفتها مصادر الحملة الأولى بأنها مدينة في غاية المناعة والحصانة. المقدسي. أحسن التقاسيم، ص ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٨٣، ص٢٩٧؛ ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٥.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٢

وانظر أيضا:

G.E. Bosworth ,"Tarsus" , E.I.٢,vol. x, pp. ٣٠٦-٣٠٧

(٥) أذنة أو أضنة Adana: تقع في جنوب تركياعلى جبال طوروس، تبعد ٥٠ كم عن البحر الأبيض المتوسط و١٢ كم. على خط عرض٣٧ْ شمالا و٣٥ْ:١٨َ شرقا. ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص١٥٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٣، ج٢، ص١٤٠، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولم تشهد هذه المنطقة حالة من الاستقرار السكاني، نتيجة للحروب المتكررة ما بين المسلمين والبيزنطيين، فعانت منذ البدء من حالات تهجير مستمر مما غيّر من السلاجقةيبة السكانية فيها باستثناء الأرمن الذين شكلّوا غالبية السكان، وهم ارثوذكس يدينون بالولاء للإمبراطورية البيزنطية بحكم القرب الجغرافي[٣] ويشير ابن حوقل(٣٦٧هـ/٩٧٨م) منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى هجرة اوتهجير السكان المستقرين على ضفاف نهر جيحان حيث قال: " وكانت عليه من القرى والضياع الكثيرة الماشية الكراع ما لم يبق منهم نافخ ناره"[٤]، ولابد من أنه كان يشير هنا إلى المثاغرين المسلمين الذين، تمّ نقلهم إليها واغلبهم من الشيعة[٥]الذين يدينون بالولاء للفاطميين، ولعل هذا احد الاسباب التي اضعفت محاولات السلاجقة للتوسع في هذه المنطقة. وهنا يمكن التكهن بان العبور الصليبي لهذه المنطقة عبر مدن طرسوس وأذنة والمصيصة، والأسكندرونة سيكون

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٢

وانظر أيضا:

F. Taeschner, "Adana", E. I. [٢],vol. i, p. ١٨٢-١٨٤

(١) المصيصة : تقع المصيصة على نهر سليمان، إلى الجنوب من أذنة . يفصلها عن البحر المتوسط حوالي اثنا عشر ميلاً. ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص١٥٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١، ج٢، ص٦٨، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥١.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٨

وانظر أيضا:

F. Taeschner, "Adana", E. I. [٢],vol. i, p. ١٨٢-١٨٤

(٢) الاسكندرونة : مدينة تقع في القسم الجنوبي لخليج الاسكندرونة، ولها سهل ساحلي يحيط بالمدينة ومحاذياً للساحل الجنوبي للخليج. توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥، الأصطخري، مسالك الممالك، ص٤٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٢، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٥. بورشارد، وصف، ص ٤١. وانظر: المعجم الجغرافي، مج١، ص٨٩-٩٩.

انظر ايضا:

ED. , 'Iskandaruna", E. I. [٢],vol. iv, p. ١٣٨

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥، بورشارد، وصف، ص١٨٩؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٨

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٦٨.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٠.

http://www.al-maktabeh.com

سهلاً بسبب المساعدة الأرمنية المتوقعة، اوعلى اقل تقدير عدم مقاومة التوغل الصليبي، يساعدهم حصانة المنطقة التي تؤمنهم من أي هجوم سلجوقي محتمل، أضافة إلى أنها تشكل مركزاً للتزود بالمؤن وأخذ فترة كافية من الراحة يعيدون فيها بناء قوتهم واستعادة ترتيب قواتهم خاصة قبل المواجهة المباشرة والحقيقية على الارض الإسلامية في بلاد الشام، بعد أن تنتهي المناطق ذات الولاء البيزنطي وعندها ستنهتي المساعدة البيزنطية بمختلف اشكالها.

ثالثاً: بلاد الشام

وجب على الصليبين هنا إتخاذ الخط الساحلي لمسيرهم وفق التقسيم التالي:-

المنطقة الشمالية:- ويقصد هنا الامتداد الساحلي الواقع بين دائرتي العرض ١٣: ٣٦ و٥٥:٣٤ وخطي الطول: ١٢:٣٦ و٣٦، والذي يمتد من أنطاكية شمالا وتنتهي هذه المنطقة بطرطوس جنوبا، مشرفة على سلسلة جبلية مهمة تبدأ بأمتداد سلسة جبال اللكام، وتلتقي مع سلسلة جبال النصيرية المعروفة ب بهراء وتنوخ نسبة إلى القبائل التي استوطنتها[1]، ويعبر هذه المنطقة سلسلة أنهار أهمها على الإطلاق نهر العاصي[2] الذي أسهب الجغرافيون العرب في وصفه، نظراً لأهميته في ري مجموعة من المدن المحيطة بضفافه، بالاضافة إلى قربه من منطقة الثغور الشامية التي وقعت تتابعاً في قبضة البيزنطيين والأرمن والإفرنج.

---

(١) جبال بهراء وتنوخ (النصيرية): سميت هذه السلسلة بهذا الاسم نسبة إلى القبائل التي استوطنتها، وهي عبارة عن كتلتين تعرف الممتدة من عين زربة شمالا إلى أن تجاوز اللاذقية بـ بهراء، ومنها إلى حمص تدعى تنوخ، مختلفة أما الكتلة الشمالية فتدعى جبل النصيرية الذي يظهر قائما كأنه حائط على جبلة واللاذقية . الأصطخري، مسالك الممالك، ص٤٣؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص١٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤.

انظر أيضا:

H. Halm," Nusayriyya", E . I.٢, vol.viii, pp. ١٤٥-١٤٨

(٢) نهر العاصي: أهم أنهار بلاد الشام التي تنبع وتصب فيها، عرف قديماً باسم الارنط أي المقلوب لجريأنه من الشمال إلى الجنوب، ويخترق مجموعة من السهول الخصبة منها سهل الغاب ويبلغ طوله ٥٧١كم. وتركز مصادر الحملة الأولى على الاشارة إلى القيمة الاقتصادية لنهر العاصي اذ يستخدم وسيلةنقل البضائع والناس من وإلى داخل انطاكية. ابن جبير، رسالة اعتبار، ص ٢٣٠-٢٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٦٧-٦٨؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص١٥١؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٤٩- ٥٠. وانظر المعجم الجغرافي، مج٤، ص٢٤٢-٢٤٣.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٤

وانظر ايضا:

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما المنطقة السهلية الساحلية فليست على مستوى واحد من الأرض، إذ ترتفع كلما اتجهنا شمالا، وتأخذ بالاتساع بالقرب من جبلة[1]، وتضيق كلما اقتربت الجبال من الساحل بالقرب من طرطوس، إلاّ أن المساحة الضيقة سرعان ما تأخذ بالاتساع جنوب طرطوس، وهي منطقة غنية في مساحتها وإمكانياتها الإقتصادية سواء السهل أم الجبال الساحلية، ونهر العاصي هوالنهر المغذي الرئيسي لهذه المنطقة السهلية حتى تتصل بسهل عكّار[2] على شكل اودية نهرية طولية متقطعة. أما الموانئ فواقعة على المنحدرات الصخرية -وهي موانئ غير طبيعية - كالسويدية[3] واللاذقية[1] وطرسوس. وإذا استثنينا قلعة أم حوش[2] في اللاذقية وقلاع

R. Hartmann, "al-Asi", E . I.٢, vol. i, p. ٧٠٦

(١) جبلة : تمتد عل السفح الغربي لجبال اللاذقية وفي السهل الساحلي، يتبعها العديد من المزارع والقرى. تصفها مصدر الحملة الأولى بالمدينة الحصينة. اليعقوبي، البلدان، ص١٦٢. ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٠٥، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٥. وانظر المعجم الجغرافي، مج١، ص٦٣١.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٨

انظر ايضا:

N. Elisseeff, "Djabala , E . I. ٢,vol.ii, p. ٣٥٣

(٢) عكار: منطقة شاسعة. يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٥٠٠ و ١٨٠٠ م. يمتد من مجرى نهر البارد في الجنوب، حتى مجرى النهر الكبير في الشمال، بمساحة تزيد على ال ٧٧٦ كيلومترا مربعا اعتمدت في فترة الدراسة في حمايتها على عرقة وكان هذا السهل يعتبر المورد الغذائي الرئيسي لطرابلس لذا حرص حكام طرابلس من آل عمار، ومن بعدهم الصليبيون، إحكام السيطرة على عرقة لضمان استمرار الغذاء إلى طرابلس. وفي سهل عكار حصن لم يكن له اهمية في فترة الدراسة وهو الذي اشتهر لاحقاً في العهد الايوبي .

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٨

وانظر أيضاً:

M. Laveragne,"Tarabulus, al- Sham", E. I.٢, vol. x. p.٢١٤-٢١٦

(٣) السويدية : ثغر انطاكية على مسافة ١٢ ميل من البحر المتوسط، كانت مدينة مهملة في العصر الاسلامي وبلغت أوج ازدهارها مع نشوء إمارة أنطاكية (٤٩٢هـ/١٠٩٨م)، واسماها الصليبيون ميناء سمعان المقدس.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٨٠

وانظر ايضا:

E. Honigmann,"al-Suwayddiyya", E . I. ٢, vol. ix, p.٩١٠

http://www.al-maktabeh.com

الإسماعيلية[٣] في جبل السمّاق، فكل ما تبقى موجود قبل الدخول الصليبي للمنطقة. وبعبور مدن أنطاكية واللاذقية وجبلة وشيزر ومعرّة النعمان وافامية[٤] وبانياس[٥] وانطرطوس(طرطوس)، يكون المرء قد انتقل إلى

---

(١) اللاذقية : تركز مصادر الحملة الأولى على اهميتها ميناء بحري، تقع على مجموعة من مصاطب البحر الابيض المتوسط، ملاصقة للشاطئ الصخري المتعرج في الغرب، وتطل شمالا على سهل النهر الكبير الشمالي الفيضي. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٨، ج٢، ص٤٣، أبوشامة، الروضتين، مج٤، ج٤، ص ١٤. وانظر المعجم الجغرافي، مج٥، ص١٠٩-١١٥

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨٠

وانظر ايضا:

N. Elisseeff, "al-Ladhikiyya", E . I. ٢,vol. v, p. ٥٨٩- ٥٩٣

(٢) قلعة ام حوش: تقع في المنطقة الجنوبية لجبال اللاذقية، بناها فرسان القديس يوحنا أفراد الإسبتارية. المعجم الجغرافي، مج١، ص١٤٤.

(٣) قلاع الإسماعيلية: بدأ الإسماعيلية بالظهور السياسي في بلاد الشام منذ منتصف القرن الخامس وتركزوا في قلاع خاصة بهم شابهت المراكز الحربية مثل قلعة الكاف، والخوابي، وبانياس. المعجم الجغرافي، مج٥، ص٥.

وانظر ايضا:

W. Madelung, "Isma –iliya", E. I. ٢, vol. i, pp.١٩٨-٢٠٦

(٤) أفامية : تقع عند اسفل السفح الغربي لجبل الزاوية على نهر العاصي، تطل من الشرق على سهل الغاب المعجم الجغرافي، مج١، ص١١٨.

وانظر ايضا:

H. A. R. Gibb,"Afamiya", E. I. ٢, vol.i , p. ٢١٥

(٥) بانياس: تقع على السفح الغربي لجبال اللاذقية، على خليج صغير على ساحل المتوسط، تبعد عن اللاذقية حوال ٥٢كم، يعبرها نهر يعرف باسمها استردها نور الدين من الفرنج ٥٦٠هـ/١١٦٥م. وتبدو مدينة قليلة الاهمية فترة الدراسةحسب اشارة مصادر الحملة الأولى. المعجم الجغرافي، مج١، ص٢٢٥-٢٢٦

وانظر ايضا:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨١, Le Strange"gey", Palestien under The Moslem, Beirut, ١٩٦٥, p. ٤١٨

وسيشار إليه لاحقاً بـ :

Le Strange, Palestien.

وانظر ايضا:

J. Sourdel. Thomine, "Baniyas", E. I. ٢,vol. i, p. ١٠١٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

المنطقة الوسطى من الساحل الشامي – لبنان حالياً – ذات النفوذ الفاطمي، ويعبر هذه المنطقة سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية، وقد اقتصرت الكتب الجغرافية المبكرة على مجرد ذكر جبل لبنان، في حين أخذت الكتب بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بالإسهاب في ذكره " فجبل لبنان المذكور هوحد بين بلاد المسلمين والإفرنج"[١]، كما يمر في المنطقة جبل عامل، وهو ممتد في شرقي الساحل وجنوبيه حتى يقرب من صور..[٢]

تتميز المنطقة السلهية ما بين هذه الجبال والساحل بأنها ساحل صخري يضيق فجأة ويختفي أحيانا، ومؤانئ المنطقة غير طبيعية نظراً لكون خلجان الساحل قوسية الشكل ضحلة[٣]، وباستثناء البترون(شقيف تيرون)[٤]، وقلعة جبيل[٥] كانت جميع حصون المنطقة موجودة قبل القدوم الصليبي. ويختلف اتساع الساحل من موقع لآخر، فهومتسع نسبياً في الشمال بالقرب من طرابلس، ضيق في الوسط بالقرب من

---

(١) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٩.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص، ١٦٢؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص١٥١؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٨.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر ايضا:

M. Lavergne, "Sur", E. I.[٢], vol. ix, pp.٨٨٨١-٨٨٥.

(٣) جوده حسين جودة، جغرافية لبنان الإقليمية، ط١، المعارف الاسكندرية، ١٩٨٥، ص ٣٩، وسيشار إليه لاحقاً بـ : جودة حسين، جغرافية جودة حسين، جغرافية، ص ٣٩

(٤) قلعة الشقيف(البترون): حصن وثيق بين جبيل وطرابلس عمرها الصليبيون بقيادة شقيف أرنون ، وتأتي أهميتها من سيطرتها على منابع نهر الليطاني. . وبلغت ذروتها في عهد المماليك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦.

وانظر ايضا:

N. Elisseeff, " kal at al- Shakif", E. I. [٢], vol. iv, pp.٤٨٢-٤٨٤; Le Strange, Palestien, p. ٥٣٤

(٥) قلعة جبيل: كانت منذ الفتح الاسلامي مركزا لحامية عسكرية صغيرة ، عمرها الملك بلدوين الأول عام٤٩٦هـ/١١٠٣م.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر ايضا:

D. Sourdel, "Djubayl" , E. I. [٢], vol. ii , p. ٥٦٨

http://www.al-maktabeh.com

بيروت، واسع في الجنوب بالقرب من صيدا، وهذا يرجع إلى امتداد سلسلة جبال لبنان التي تمثل التواءً جبلياً محدباً، فحيثما تقدمت هذه الجبال نحوالبحر ضاق السهل، وحيثما تراجعت نحوالداخل اتسع السهل، ويعتبر سهل عكّار أهم سهول المنطقة إذ يتكون من رواسب طينية رملية خصبة تصلح لإنتاج محاصيل متنوعة[1]، وقد شقت المجاري المائية في تكوينات سلسلة جبال لبنان الغربية اودية عميقة ذات جوانب شاهقة تعتبر من مصادر الري الأساسية في المنطقة بالاضافة إلى مجموعة من الأنهار منها العاصي والليطاني،

وبردى[2] الذي يشق سلسلة جبال لبنان الشرقية إلى نصفين. وبعبور مدن طرابلس، وجبيل[3]، وبيروت، وصيدا، وصور يكون المرء قد انتقل إلى المنطقة الجنوبية من الساحل الشامي، وهنا يضطر إلى الامتداد داخلياً حتى يصل إلى القدس، وتعتبر السلسلة الجبلية فيها امتداداً طبيعياً لسلسة جبال لبنان وتعرف باسم جبال الجليل[4]، ويقل ارتفاع الجبال في هذا القسم عن ارتفاعها في الأقسام الشمالية والوسطى للساحل الشامي. ويمر في هذا القسم سلسلة من الأنهار الرئيسية أبرزها نهر أبي فطرس(العوجا)[1]، ونهر الأردن[2].

---

(١) جودة حسين، جغرافية، ص ٣٩

(٢) نهر بردى: نهر في دمشق يبدأ مجراه من سهل الزبداني لايزيد عمقه عن ٢،٥ م لذلك تفيض مياهه في أيام الشتاء والربيع وتحيط بالنهر اثناء سيره العديد من القرى. . . . المعجم الجغرافي، مج١، ص٢٧٦.

وانظر ايضا:

N. Elisseeff, "Barada", E. I. ٢, vol. i , p. ١٠٣٠

(٣) جبيل: علي ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال بيروت بلبنان وواقعة على خط ٢٧° شمالا و٤٩': ٣٩ شرقا. أخذها الصليبيون عام٤٩٦هـ/١١٠٣م، واستردها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧، وتركز مصادر الحملة الأولى على الإشارة اليها وإلى وفرة الحقول حولها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٩، بطرس تودبيود، تاريخ، ص ٢٩٤، بورشاد، وصف، ص ٦٦.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر أيضا:

D. Sourdel, "Djubayl" , E. I. ٢, vol. ii , p. ٥٦٨

(٤) الجليل : تعتبر السلسلة الجبلية في الساحل الشامي امتداداً طبيعياً لسلسة جبال لبنان، وتعرف باسم جبال الجليل، ويقل ارتفاع الجبال في هذا القسم عن ارتفاعه في الأقسام الشمالية والجنوبية للساحل الشامي. ويمر في هذا القسم سلسلة من الأنهار الرئيسة أبرزها نهر العوجا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٠٢ ؛ وهونفسه جبل عامل انظر اليعقوبي، البلدان، ص١٦٤؛ وانظر الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص٤٧- ٤٩.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٢١١

مكتبة المهتدين الإسلامية

تبدأ المنطقة الساحلية بسهل عكا الذي يعتبر امتداداً لسهل الأردن مابين غور الأردن والبحر المتوسط عند خليج عكا[٣]، ويعتمد في ريه على عدد من الاودية السيليّة، ويعد حلقة وصل بين السهل الفلسطيني والسهل اللبناني، وتربة السهل تصلح لري جميع أنواع المحاصيل الزراعية من محاصيل حقليّة وخضار وأشجار مثمرة مما يعطيه أهمية اقتصادية، ويغلب على السهل الانبساط عموما[٤]. ويتفاوت اتساع السهل الفلسطيني بعد عكا فهويبدأ ضيقاً عند حيفاً حيث يقل اتساعه بفعل اقتراب السلسلة الجبلية من البحر، ثم يزداد اتساعه بفعل تراجع

وانظر ايضا:

Fr. Buhl,"al-Ghalil", E. I. ٢,vol. ii, p. ١٢٣

(١) نهر ابي فطرس أو العوجا: من أنهار فلسطين التي لا تتجاوز مساحتها ١٠٠٠كم٢، ويعرف ايضاً بنهر يافاً لأنه يصب في البحر شمالها تماماً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣١٥؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٤٨. وانظر الموسوعة الفلسطينية ، ج٣، ص٣٥٧.

وانظر ايضا:

M. Sharon ,"Nahr AbI -Futrus", E. I. ٢, vol. vii, p. ٩١٠- ٩١١

(٢) نهر الأردن: - يمتد من جنوب بحيرة طبريا إلى البحر الميت بطول ١٠٥كم وينبع من السفوح الجنوبية لجبل الشيخ، وله ثلاثة روافد رئيسية هي بانياس من سوريا، والحاصباني من لبنان، والدان من فلسطين، سماه العرب في العصور الوسطى الغور بمعنى الوادي الهابط بين الجبال وسموه ايضاً بحر الشريعة أي مورد الشرب، وعلى الرغم من صغر نهر الأردن الا أن مساحة حوضه ٤٣، ٥٣٥كم٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٤٧-١٤٨؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص ١٥١؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٤٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٨١. وانظر الموسوعة الفلسطينية ، ج١، ص١٦٣-١٦٨.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨١

وانظر ايضا:

Mary C. Wilson, "al- Urdunn", E. I. ٢ ,vol. x , pp. ٨٨١-٨٨٧

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٩

(٤) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص ٢٨٣؛ محمود بن أحمد بن موسى العيني(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ط١، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص ٤٢٥، وسيشار إليه لاحقاً بـ العيني، عقد الجمان.

http://www.al-maktabeh.com

المرتفعات الجبلية وابتعادها عن البحر، ويمتد الساحل على طول السهل الساحلي في خط مقوس قليلا ويخلوخط الساحل من التعرجات والخلجان مما لم يمكن من تكّون مؤانئ طبيعية صالحة لرسوالسفن[1] ومدنه الساحلية هي عكا، وحيفا[2]، وقيسارية[3]، وأرسوف[4]، ويافا[5]، وعسقلان، وغزّة[1]،وتقابلها مجموعة من المدن الداخلية

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٢؛ يعقوب الفيتري(ق٦هـ/١٢م)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط١ دار الشروق -عمان١٩٩٨م/١٤١٩هـ وسيشار إليه لاحقاً بـ الفيتري، تاريخ، ص ٣٢.

(٢) حيفا: مدينة ساحلية في الطرف الشمالي للسهل الساحلي الفلسطيني وميناء على البحر المتوسط تكثر فيها المياه والينابيع والآبار الجوفية، وهي منطقة زراعية منتجة لجميع محاصيل البحر المتوسط ويعتبر الصليبيين أول من لفت الانتباه إلى أهمية المدينة الإستراتيجية . دانيال الراهب، وصف، ص ٨٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٢، ج٤، ص٣٥٧و٤٥٦؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص ٢٨.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر أيضا:

AL Fredbel. "Haifa" . EI ٢ .vol. iii, p.٢٢٠

(٣) قيسارية تقع على بعد ٤٢ كم إلى الجنوب الغربي من حيفا على السهل الساحلي الفلسطيني للبحر الأبيض المتوسط وتغطي الكثبان الرملية قسما كبيراً من سهولها الداخلية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢١.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر أيضا:

M, Streck, "kaysariyya", E. I. ٢,vol. iv, pp. ٨٤٠-٨٤١

(٤) أرسوف: تقع إلى الجنوب من قيسارية ، سقطت بيد الفرنجة عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م واصبحت إمارة اقطاعية دمرها الظاهر بيبرس عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر أيضا:

H. A. R. Gibb,"Arsuf", E. I. ٢,vol. i , p. ٦٦٢

(٥) يافا: تقع على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط إلى الجنوب الغربي من مصب نهر العوجا بنحو٧كم وإلى الشمال الغربي من مدينة القدس بنحو٦٠ كم. دانيال الراهب، وصف، ص٤٧؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص٢٨؛ ثيودوريش، وصف، ص١٢٦؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص١٠٧؛ الرحالة الروسي سايولوف، (ت ق ١٢م)

مكتبة المهتدين الإسلامية

أهمها طبرية، وبيسان[٢]، ونابلس[٣]، والرملة[١]، وبيت المقدس، والخليل، ووادي عربة[٢]..

رحلة الحاج إلى بيت المقدس والاراضي المقدسة ١١٠٢-١١٠٣م، تحقيق سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق -١٩٩٧م، ص٢٣، مترجم عن النص الانجليزي بعنوان:

Saewulf, Piligrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton,London,١٩٨٦

وسيشار إليه لاحقاً بـ سايولوف، رحلة الحاج

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١١٥،١٢٢

وانظر ايضا:

A. W, Nieuenenhuis "yafa,", E. I. ٢, vol . x, p. ١٠٧٦

(١) غزة : مدينة ذات ذات مناخ صحراوي وموقع مميز كانت تقع على واحد من أهم الطرق التجارية القديمة وهي حلقة الوصل الرئيسية بين مصر والشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩.

انظر ايضا:

D. Sourdel "Ghazza", E. I. ٢,vol. ii, pp. ١٠٥٦-١٠٥٧

(٢) بيسان: تقع وسط سهل بيسان الذي يصل بين وادي الأردن شرقاً ومرج ابن عامر غربا، وتشرف على ممر ووادي جالود، وعلى الأجزاء الشمالية من وادي الأردن، ولهذا أرتبطت بشبكة واسعة من المواصلات فكانت محطة تجمع للقوافل التجارية بين مصر والشام. المقدسي، أحسن التقاسيم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٧، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٣. ص ١٦٢

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨٠

انظر أيضا:

J. Sourdel -Thomine, "Baysan", E. I. ٢, vol. i, pp. ١١٣٨-١١٣٩

(٣) نابلس أو السامرة : تتوسط أقاليم المرتفعات الجبلية الفلسطينية بصفة عامة وجبال نابلس بصفة خاصة وتعد حلقة في سلسلة المدن الجبلية التي ترصّع خط تقسيم المياه على طول أمتداد القمم الجبلية من الشمال إلى الجنوب، وتكثر فيها الاودية والينابيع وتقل الآبار الجوفية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٨، دانيال الراهب، وصف، ص٩١، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص١٣٩، ثيودوريش، وصف، ص١١٦، بورشارد، وصف، ص١٠٨، ص١١٥

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٢١١

انظر أيضا:

F. Buhl, "Nabulus" , E. I. ٢, vol.i, pp. ٨٤٤-٨٤٥

http://www.al-maktabeh.com

أما من حيث القوى السياسية المتوقع الاصطدام معها فهي القوة الفاطمية بشكل خاص، إذ خضعت بلاد الشام للحكم الفاطمي منذ منتصف القرن الربع الهجري/العاشر الميلادي، وهوحكم اتصف بعدم الاستقرار، فقد شهدت مناطق بلاد الشام فترات خروج عن السيادة الفاطمية إلى غيرها سواء كانت سلجوقية أم بيزنطية، وفي أحيان أخرى كانت تتمتع بعض المناطق مثل صور وطرابلس بالاستقلال الذاتي، ويمكن الجزم أن وضع السيادة

---

(١) مدينة الرملة : ذات موقع جغرافي مهم تقع في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني جنوب شرق يافاً وجنوب غرب اللد وتمر بها الطرق التي تربط مصر ببلاد الشام، وتعد الرملة ظهيراً غنياً وقريبا لميناء يافا، والمدينة فقيرة بالمياه السطحية غنية بالمياه الجوفية. اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٦٦، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢١

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩

وانظر ايضا:

E. Honigmann , " Ramla", E. I. ٢, pp. ٤٢٣-٤٢٤

(٢) وادي عربة : الصحراء الممتدة جنوبي البحر الميت حتى خليج العقبة ويشكل جزءاً من وادي الصدع العظيم، يبلغ طوله ١٥٠كم، وتأتي أهمية هذه المنطقة لكونها حلقة وصل بين مصر والعراق والحجاز، تسكنها القبائل العربية المسلمة. اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٦٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥١٩؛ ثيودوريش، وصف، ص١٤٥.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٨٩, ٢١١

وانظر ايضا:

N. Glueck, "Araba", E. I. ٢, vol.i, p. ٥٥٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفاطمية في المناطق ذات الغالبية السنية مثل دمشق كان أكثرها توتراً[(١)]، بسبب السياسة الفاطمية المعادية للسنة[(٢)]. وقد ازداد إضطراب الخلافة الفاطمية مع الشطر الثاني من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بعد أن اخذت القوة السلجوقية تتوسع باسم الخلافة العباسية وبالدعوة للمذهب السني، وشكلت منطقة بلاد الشام منطقة الصراع الرئيسة لإثبات تفوق أحداهما على الأخرى وزيادة نفوذها على العالم الإسلامي، وبدأ المد السلجوقي في بلاد الشام بالتصاعد حتى وصلوا سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م إلى حلب[(٣)]، التي كانت تمثل المركز الشيعي في بلاد الشام. ومن هنا بدأ السلاجقة بتصفية النفوذ الفاطمي في شمالي الشام وتمّ الانتهاء منه تقريبا عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. ولم يحدث ذلك تغيراً نوعياً بالنسبة للشاميين، ويتبين من متابعة روايات ابن القلانسي وابن الأثير أن معاناة الشاميين استمرت حتى بعد نجاح السلاجقة في تصفية الجيوب الرسمية للعرب الشيعة في شمال الشام، وذلك نتيجة لصراعهم على السلطة. ونتيجة لعدم اهتمام أي من السلطتين باوضاع العامة نلاحظ فتوراً في ردة الفعل الشامية إزاء تغير شكل السلطة. وقد اعتمد السلاجقة سياسة محاصرة المدن وقت إدراك الغلات وذلك ليتقووا هم بها ويضعف أهلها وجندها[(]. وهذه السياسة هي التي أجبرت مدناً مثل دمشق على التسليم للسلاجقة وطرد الفاطميين وقطع الخطبة للخليفة المستنصر بالله عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، حتى قرر السلاجقة التوجه لحصار القاهرة وذلك في عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، إلاّ أن شدة الهزيمة التي ألحقتها بهم قوات أمير الجيوش بدر الجمالي(ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م)، دفع بعض المدن الرئيسة مثل دمشق إلى إعلان ولائها من جديد

---

(١) يمكن إجمال القول بان الوجود الفاطمي كان ضعيفاً غير مستقر في بلاد الشام لأسباب هي:

١: الموقف العدائي لأهل دمشق السنة إزاء الفاطميين الشيعة والذي عبرت عنه اشتباكات مسلحة مابين الطرفين منها ما حدث في عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م. ٢: اتصف جنود الخلافة الفاطمية الذي كانوا في أغلبيتهم من عناصر بربرية من شمال أفريقياً تنزع دائما إلى الفساد وقطع الطرق، مما لم يولد علاقة طيبة مع الشاميين الذين كانوا في أغلبيتهم أما تجاراً اومزارعين يعتمد استقرار وضعهم الاجتماعي والمادي على مدى الاستقرار والأمن الداخلي، وظهر عدم التوافق هذا في اشتباكات مسلحة كما في عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م. ٣: كثرة تعاقب الولاة على بلاد الشام حيث لم يتح هذا فرصة لتوطيد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام إذ لم يكد الوالي يعين حتى يعزل. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٩٩-١٢٧

(٢) وقد بلغت السياسة الفاطمية أقصى حدود معاداتها للمشاعر الشعبية السنية في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي " ٣٨٦-٩٩٦ م /٤١١هـ-١٠٢٠م)، الذي اجمل ابن تغري بردي سياسته قائلاً " أمر بسب الصحابة -رضوان الله عنهم - على حيطان الجوامع والقياسير والشوارع والطرقات. وكتب السجلات إلى سائر الأعمال بالسب ثم أمر بقلع ذلك. ابن القلانسي ذيل تاريخ، ص٩٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص١٧٨.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٩٣

http://www.al-maktabeh.com

للخلافة الفاطمية، إلاّ أن ذلك لم يستمر طويلاً إذ تمكن السلاجقة من إعادة السيطرة عليها عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م[١]. وبلغ التوسع السلجوقي اوجه باستيلاء سليمان بن قتلمش(ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) على أنطاكية في عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤م[٢]، فامتدت السيطرة السلجوقية في بلاد الشام من نيقية باسيا الصغرى إلى طرابلس، فضلا عن أنطاكية والثغور الشامية، وتوالت الغارات السلجوقية على حلب"[٣]، إلى أن وصل ملكشاه سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وأعاد ترتيب إدارة السلاجقة لبلاد الشام[٤]. إلاّ أن هذا الامتداد السلجوقي لم يوقف المحاولات الفاطمية لاسترداد المدن الشامية، فاستولوا في عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م على صور وصيداً[٥]، واستولى السلاجقة بالمقابل على حمص وقلعتي عرقة[٦] وافامية [٧]. وعلى اثر وفاة السلطان ملكشاه وقع الخلاف بين أفراد البيت السلجوقي ودخل الولاة السلاجقة في حروب مع بعضهم بعضا[٨]،

---

(١)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٩٩- ١٢٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٢٩٩.

(٢)ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٢٩٩؛ اسماعيل بن علي ابوالفداء(٧٣٢ هـ/١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، ط١، ٢ج، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ج٢، ص٨، وسيشار إليه لاحقاً بـ أبو الفداء، المختصر.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٩٥

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٢٨٢؛ ابوالفداء، المختصر، ص١١

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٩٧

(٦) عرقة: تقع على بعد ثمانية كيلومترات من الشاطئ وتشغل موقعاً استراتيجياً لأنها تتحكم بالطريق بين طرطوس وطرابلس كما كانت عرقة تشكل كما تصفها مصادر الحملة الأولى خط دفاع أولي عن طرابلس: التي تبعد عرقة عنها خمساً وعشرين كيلومتراً إلى الشمال، وثلاثة كيلومترات عن حلب غرباً.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٨

انظر ايضاً:

M. Laveragne,"Tarabulus,al-Sham", E. I.٢, vol. x. p.٢١٤ -٢١٦

ولمزيد من المعلومات عن تاريخ طرابلس انظر عمر عبد السلام التدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ٢ج، ط٢,مؤسسة الرسالة -بيروت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ، ج١، ص٨٢-٨٤، وسيشار إليه لاحقاً بـ عمر التدمري ، تاريخ طرابلس.

(٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٩٨؛ ابوالفداء، المختصر، ص٢٣

(٨) وهم تاج الدولة تتش من جهة وبركياروق بن ملكشاه من جهة أخرى، وانقسم ولاة بلاد الشام بين طرفي النزاع، الذي انتهى بمقتل تاج الدولة تتش اوائل ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وهنا وقعت بلاد الشام في ظل انقسام ونزاع جديدين بين ولدي تاج الدولة وهما رضوان ودقاق، فانفرد الأول بإمارة حلب والثاني بإمارة دمشق، وكان تاج الدولة قد أمر أصحابه بإطاعة ابنه رضوان. وبقيت بيت المقدس تحت ولاية ايلغازي وسقمان أبناء الأمير ارتق بن اكسب حتى الاستيلاء الفاطمي عليها ٤٨٩هـ/١٠٩٥م. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٩٨-١٩٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد استغلّ الفاطميون النزاعات السلجوقية فأعادوا سيطرتهم على صور عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٥م[١]، واستولوا على بيت المقدس في العام نفسه[٢]، وظلت بايديهم حتى الاستيلاء الصليبي على المدينة. وبلغ ضعف السلاجقة وخلافاتهم الشخصية اوجه في عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م حين أقيمت الخطبة للخليفة الفاطمي في حلب لمدة أربع جمع متتالية[٣]. ومما يشير إلى السيادة الفاطمية على مصر والشام، توحيد العملة، وجعل ميزانيتهما واحدة، وتوحيد القضاء، وغيره من نظم الدولة. وأكثر من ذلك، نشر الفاطميون دعوتهم في الشام على نطاق واسع.

أما الازمات المالية والإقتصادية التي شهدتها الخلافة الفاطمية فقد تمثلت فيما عرف تاريخياً بأسم الشدة العظمى(الشدة المستنصرية) التي ظهرت مع نقصان منسوب مياه النيل ليضيف إلى البلاد أزمة عاتية، وتكرر هذا النقصان ليصيب البلاد بكارثة كبرى ومجاعة داهية امتدت لسبع سنوات متصلة من(٤٥٧هـ / ١٠٦٥م-١٠٧١/٤٦٤م)[٤]. وكان من نتيجة هذه الأزمة العاتية أن أخذت دولة المستنصر بالله(ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤) في التداعي والسقوط، وخرجت كثير من البلاد عن سلطانه، فقُتل البساسيري في العراق سنة(٤٥١هـ / ١٠٥٩م) وعادت بغداد إلى الخلافة العباسية، وقُطعت الخطبة للمستنصر في مكة والمدينة، وخُطب للخليفة العباسي في سنة (٤٦٢هـ / ١٠٧٠م)، ودخل النورمان صقلية واستولوا عليها، فخرجت عن حكم الفاطميين سنة(٤٦٣هـ / ١٠٧١م) بعد أن ظلت جزءًا من أملاكهم منذ أن قامت دولتهم. وتداعى حكم المستنصر في بلاد الشام، فاستقل قاضي صور ابن عقيل بمدينته سنة(٤٦٢هـ / ١٠٧٠م)[٥] وخرجت طرابلس من سلطان الفاطميين، وتتابع ضياع المدن والقلاع من ايديهم، فاستقلت حلب وبيت المقدس والرملة عن سلطانهم في سنة(٤٦٣هـ / ١٠٧١م) [٦].

أما القدس بشكل خاص فقد كانت فاطمية معظم الوقت وشهدت نزاعاً فاطمياً بيزنطياً عندما أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦- ١٠٢٠م) بهدم كنيسة القيامة في ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، حتى لا تُتخذ حجة يتحرك

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٤٣؛ ابوالفداء، المختصر، ص٢٦.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٧

(٤) ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٢٣٧

(٥) للتعرف على امارة ابن عقيل انظر لاحقا

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٧٥

http://www.al-maktabeh.com

الروم بسببها إلى بيت المقدس بقصد حمايته وحماية ذكرياته المسيحية الأخرى؛ إذ أصبحت أمنية الروم الأولى الوصول إليه.[1].. ولكن بيزنطة تراجعت عن أطماعها، وجددت الهدنة، وأرسلت مهندسيها لإصلاح كنيسة القيامة، وعادت الزيارات التي توقفت إلى بيت المقدس فتعاظم عدد الحجاج إلى فلسطين، بدءا من النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك حين توصل الأباطرة البيزنطيون إلى تفأهم مع الخلفاء الفاطميين، حكام الشام، أسفر عن تسهيل هؤلاء حركة انتقال الحجاج المسيحيين إلى القدس، وساعد على ذلك تنامي النشاط البحري للمدن الايطالية الثلاث، جنوا والبندقية وبيزا، بين ضفتي المتوسط بعد أن سمحت لها السلطات الإسلامية في الشام ممثلة بالدولة الفاطمية إقامة مراكز لايواء الحجاج ورعاية اوضاعهم الاجتماعية والصحية في فلسطين[2]. ويلاحظ المتتبع أن السيادة الفاطمية على الساحل الشامي قبيل القدوم الصليبي كانت متذبذبة خاصة اذا لاحظنا تكون العديد من الإمارات المحلية مستغلة ضعف السيادة الفاطمية واضطراب اوضاعها الامنية والإقتصادية مثل:-

إمارة بني عمار في طرابلس(٤٥٧هـ/١٠٦٦م - ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م):

ينحدر بنوعمار في الأصل من قبيلة كتامة المغربية الأفريقية. وقد اعتنقت هذه القبيلة المذهب الشيعي الذي انتشر في بلاد المغرب العربي، وعندما قامت الدولة الفاطمية تولى شيوخ هذه القبيلة مناصب قيادية في مصر والشام. ويرجّح الباحثون أن أمين الدولة أبا طالب[3] اول من تولى حكم طرابلس التي " كان يتولاها مختار الدولة بن نزال، ولما انحاز ابن نزال إلى الدولة البيزنطية وقام أهل طرابلس بإخراجه منها وطردوه حوالي ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م. أصبح ابن عمار حاكم المدينة "[4]. وبدأ بنوعمار في حكم طرابلس حوالي ٤٥٧هـ/١٠٦٦م بشيء من

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/. ١٥٠٤م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر المعروف ب تاريخ ابن خلدون، ج٧، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار احياء التراث العربي- بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٨٢؛ وسيشار إليه لاحقاً بـ ابن خلدون، كتاب العبر، وتشير دراسات مسيحية حديثة إلى عكس ذلك " وكانت جميع الاماكن المقدسة عند دخول الصليبيين في البلاد متقنة البناء ومجملة من كل الوجوه فلم يجدد الصليبيون شيئا فيها " شحادة خوري، خلاصة تاريخ، ص٧٤.

(٢) انظر:

William of Tyre, AHistory of Deeds, p. ٨٨٦

(٣) أمين الدولة ابوطالب بن عمار: لم احصل على تعريف محدد له

(٤) يوسف بن قراوغلي سبط ابن الجوزي(ت٦٥٤ هـ/١٢٥٧م)، مرآة الزمان، د. تحقيق، أحمد الثالث- تركيا (د. ت) ، ص١٤٢ وسيشار إليه لاحقاً بـ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان

مكتبة المهتدين الإسلامية

الاستقلال[1]. أي في فترة انحسار النفوذ الفاطمي عن معظم بلاد الشام وأسقاط الخطبة للخليفة الفاطمي من منابر دمشق وصور وطرابلس والرملة وغيرها واستبد أمين الدولة بأمر طرابلس، وتغلب على مدينة جبيل وضمها إلى نفوذه، واخذ بالتقرب من السلاجقة السلاجقة لدعم موقفه في طرابلس[2] وخلع طاعة أمير الجيوش بدر الجمالي(ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م) والي عكا الذي استعان به الخليفة الفاطمي المستنصر-(ت٤٨٧ه/ ١٠٩٤) لإسترداد بلاد الشام، ورغم استقلاله عن الخليفة الفاطمي إلاّ أن استمر أمين الدولة في إصدار النقود باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[3].

وخلال الفترة ٤٦٤ ه /١٠٧٢م-٤٩٢ه/١٠٩٨م خضعت طرابلس لحكم جلال الملك بن عمار(ت٤٩٢ه/١٠٩٨ م) بعد صراع طويل على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، وسار جلال الدولة على الخطة نفسها التي انتهجها عمه أمين الدولة في حكم طرابلس حيث حافظ على الحياد بين الفاطميين والسلاجقة، إلاّ أن المدينة بدأت تتعرض لهجمات سلجوقية منذ عام ٤٦٨ه/١٠٧٥م، في إطار خطة لمهاجمة القاهرة نفسها[4]، إلاّ أن جلال الملك عمل على صدها، وكانت اخطر هذه الهجمات هي التي قام بها السلاجقة عام ٤٧١ه/١٠٧٨م إذ دخل المدينة وقتل من أهلها و اقام فيها عشرة ايام، ولم تلبث طرابلس أن تعرضت لحملة فاطمية تستهدف إعادتها إلى حظيرة الخلافة الفاطمية، ونظراً لميول أهل طرابلس الشيعية عمل جلال الملك على استرضاء السلاجقة بالهداياً دون الخضوع السياسي" وكان ثغراً صور وطرابلس في ايدي قضاتها قد تغلبا عليهما ولاطاعة عندهما لامير الجيوش بل يصانعان السلاجقة بالهداياً والملاطفات"[5].

وفي المقابل حاول الفاطميون توجيه حملة لاسترداد طرابلس تمكنت من الاستيلاء على جبيل وانتزاعها من بني عمارعام٤٨٢ه/١٠٨٩م، " وفيها خرج عسكر مصر مع مقدميه، وقصد الساحل، وفتح ثغري صور وصيدا... ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما"[6].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٤٢

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٥٣

(٣) انظر النقوش المصورة في كتاب عمر التدمري، تاريخ طرابلس، ج١، ص٣٣٧ .

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٧٥

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٨٢

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١٩٧

http://www.al-maktabeh.com

إلاّ أن أصعب حصار استهدف استقلال طرابلس كان حصار السلاجقة لها عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م الذي لم يستطع جلال الملك(ت٤٩٢هـ/١٠٩٨ م) التخلص منه إلاّ عن طريق رشوة بعض قادة الجيش السلجوقي[١]. وبذلك صمدت طرابلس مستقلة في مواجهة السلاجقة والفاطميين إلى ما بعد وفاة جلال الملك عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨ م..

إمارة بني منقذ في شيزر(٤٧٤هـ/ ١٠٨١م- ٥٥٢ هـ/١١٥٧م)[٢]:

ينتسب بنومنقذ إلى قبيلة كنانة من كلب، وهي القبيلة التي عمّرت وسط الشام كما يتضح في تقسيمات ابن حوقل للقبائل العربية في بلاد الشام[٣]، واكدها فيما بعد تأسيس الإمارة الشيزرية وغيرها من الإمارات الكلبية في المنطقة. وإذا كانت شهرة بني منقذ قد بدأت مع استيلائهم على قلعة شيزر ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م، إلاّ أنهم مثّلوا إحدى الأسر المهمة التي لعبت دوراً بارزا في أحداث الشام وحلب خاصة منذ مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر[٤]، وكانت شيزر في عام ٤٧٤هـ /١٠٨١م تابعة للإمبراطورية البيزنطية[٥]، لذلك لجأ ابن منقذ إلى الاستيلاء على حصن الجراص، وهوحصن بين تل الجسر وشيزر، اغلب أهله من النصارى، وأحسن إلى أهله، مما

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٤٤

(٢) انظر:

R. Stephen Humphreys, "Munkidh", E. I. ٢, vol, vii, pp. ٥٧٧-٥٨٠

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٠

(٤) الشخصية المعروفة البارزة من بني منقذ هو أبو المتّوج مقلد بن نصر والد سديد الملك أبوالحسن مؤسس الإمارة في شيزر اثر استيلائه على كفر طاب ٤٣٣هـ/١٠٤١م. وقد تولى الحكم من بعده ابنه سديد الملك الذي سار على سياسة والده في بسط نفوذه على نواحي كفر طاب وشيرز، منذ عام ٤٧٠هـ/١٠٧٨م ببناء حصن على القرب من شيزر عرف باسم حصن الجسر، وقد مضى سديد الملك بن منقذ في المشاركة في أحداث عصره، فخدم في طرابلس لدى جلال الملك بن عمار(ت٤٩٢هـ/١٠٩٨ م)، وعاد ليصّرف شؤون الحكم في حلب في فترة حرجة، وظل على ولائه وصداقته لهذا الأمير حتى ظهرت قوى أخرى رأى مسايرتها ومال إلى مصادقتها فسالم في البداية مسلم بن قريش العقيلي، وبهذه الطريقة اتيح لسديد الملك أن يلعب دوره في الأحداث وان يبلور سياسته ويحدد معالمها تجاه القوى الأخرى في الوقت الذي استبدت به الرغبة لإقامة إمارة مستقلة لم يجد انسب من شيزر لتكون مركزا لها ومقراً لحكومته، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٢١.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١١٣، وتجدر الاشارة هنا إلى أن الباحث قد تجنب الاشارة إلى روايات اسامة بن منقذ في هذا المجال لما غلب عليها من صيغة التفخيم والمبالغة في اظهار أهمية الدولة الشيزرية . . .

مكتبة المهتدين الإسلامية

دفع أهل شيزر إلى الهرب إليه: "إلى أن حصل عندي نحونصفهم فأجريت عليهم الجرايات ومزجتهم بأهلي وحريمهم بحريمي واولادهم باولادي"[1] حتى بادر أهل شيزر إلى تسليم المدينة إلى سديد الملك[2]. بعد وفاة سديد الملك تولى الحكم ولده عزالدين أبوالمرهف نصر بن علي بن منقذ"٤٧٥هـ/١٠٨٢-٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وقد شهدت فترة حكمه التوسع السلجوقي في بلاد الشام، وقد عمل ابن منقذ على ضمان امن إمارته عن طريق مصالحة سليمان بن قطلمش (ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) بمال[3]. اثر استيلاء الأخير على كفر طاب التي تمكن ابن منقذ من استردادها في ٤٧٩هـ/١٠٨٧م. وفي العام نفسه ودخل ابن منقذ في تبعية الدولة السلجوقية مع وصول ملكشاه إلى بلاد الشام[4] واستمر الحال على ذلك لمدة عامين، أي حتى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م حين قام السلاجقة بحصار شيزر لأسباب غيرواضحة[5]. وبقي الوضع في شيزر كذلك تحت نفوذ بني منقذ الذين عملوا على الحفاظ على وجودهم عن طريق التوسع حينا ومصانعة عمال السلاجقة حين أخر.

أمارة القاضي ابن عقيل في صور(٤٦٢هـ / ١٠٧٠م):-

وقعت صور تحت حكم قاضيها محمد بن عبد الله بن علي بن عياض بن احمد بن ابي عقيل عام(٤٦٢ هـ / ١٠٧٠م)، ولم يشهد معارضة من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر(ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤) الذي أغدق عليه الالقاب وتمتع باستقلال داخلي، حتى بدأت حملة بدر الجمالي لإعادة النفوذ الفاطمي على الساحل الشامي، فحاصر صور عام ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩م، مما دفع ابن ابي عقيل إلى الإستعانة بالسلاجقة، ليضطر بدر الجمالي إلى رفع الحصار، بعد أن كان قد نجح في تأليب أهلها الشيعة ضد واليها، وتكررت محاولة بدر الجمالي في عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م وحاصرها لعام كامل دون أن يحقق غرضه منها. بعد وفاة ابن ابي عقيل في ٤٦٤هـ /١٠٧١م تولى الإمارة ابنه نفيس، وفي عهده هاجم السلاجقة صور وأخربوا سوادها، إلى جانب صيداً وطبرية مما سأهم بازدياد أعداد السكان في جبل عامل الذي كان اشبه بالارض القفر، قبل أن يهاجر اليه الشيعة من صيداً وطبرية وصور، وبقيت صور ما بين عامي ٤٦٩- ٤٨٢/١٠٧٦م- ١٠٨٩م تحت حكم نفيس بن ابي عقيل يحكمها باسم السلاجقة إلى أن

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، طبعة علي سويلم ،ج١٤،ص٢٤٠

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص١١٥

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٨

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٨

(٥)ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٣٢٣

http://www.al-maktabeh.com

هاجمها العسكر الفاطمي وأنهى بذلك امارة ابن عقيل، وتم تعيين والٍ على صور عرف باسم الامير منير الدولة الجيوشي، الذي سارع إلى إعلان العصيان عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣م، فتوجه لتاديبه بدر الجمالي ومع أن أهلها الشيعة كانوا مؤيدين للخلافة الفاطمية إلاّ أن دخول قوات بدر الجمالي للمدينة دمر كل شيء فيها " فضرب بدر الجمالي رقاب الجميع، وقطع على أهل صور ستين الفاً عقوبة لهم"[(١)]، وهوالحادث الذي تكرر عشية الغزوالصليبي في عصيان صور عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م[(٢)]، مما يشير إلى عدم وجود أي مشاعر ولاء لدى الصوريين تجاه الفاطميين

الإمارة التنوخية:-

التنوخيون في لبنان هم أحفاد أبيإسحاق إبراهيم بن أبي عبيد الله أمير البيرة[(٣)] (٤١٨هـ/١٠٢٧م)[(٤)]، قد استقروا في القسم المشرف من الشوف على البحر وأطلق عليه اسم الغرب من باب التغليب - وقيل للتنوخيين(أمراء الغرب) منذ اتخذوه دون غيره مقراً لهم منذ مطلع القرن الثاني للهجرة/ النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد[(٥)]،

---

(١) ابن القلانسي. ذيل تاريخ، ص٢٠٥؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٢٤٥؛ ويتناول جعفر المهاجر، جبل عامل تحت الإحتلال الصليبي، ط١، دار الحق- بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٣٦، وسيشار إليه لاحقاً بـ جعفر المهاجر، جبل عامل، مراحل النزوح البشري إلى جبل عامل وهو الذي سأهم في التطور العمراني في هذه المنطقة فترة الوجود الصليبي. .

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٧-٢١٨؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص٢٤٥

(٣) البيرة: اسم لعدة اماكن بمعنى الحصن في اللغة الارامية، لم أعثر لها على تعريف حديث. ولعلها البيرة الواقعة اليوم في جنوب البقاع اللبناني. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص٥٢٦. وانظر عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية في الاسماء الجغرافية السورية، ط١، دار بيسان - بيروت، ١٩٩٩م ، ص١٤٢، وسيشار إليه لاحقاً بـ عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية.

(٤) صالح بن يحيى (ت ٩٣٨هـ/١٥٣١م)، أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت المعروف ب تاريخ بيروت، ط١، تح. فرنسيس هورس اليسوعي، كمال سليمان الصليبي، دار المشرق- المطبعة الكاثوليكية - بيروت، ١٩٨٦ م، وسيشار إليه لاحقاً بـ صالح بن يحيى، أخبار السلف، ص٤٥-٤٧، ولمعرفة المزيد عن مصادر دراسة الإمارة التنوخية وأهم الدراسات الحديثة حولهم انظر عباس أبو صالح، تاريخ الموحدين الدروز السياسي، المجلس الدرزي - دمشق ، ١٩٨٠، وسيشار إليه لاحقاً بـ عباس أبو صالح، تاريخ الموحدين؛ يحيى حسين عمّار، تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة، ط١، ينطا، ١٩٨٥م، ص١٩٦ وسيشار إليه لاحقاً بـ يحيى حسين عمّار، تاريخ وادي التيم.

وانظر أيضا:

N. Elissseeff "Bayrut", E. I.٢, vol. i, pp. ١١٣٧-١١٣٨

(٥) انظر:

N. Elissseeff "Bayrut", E. I.٢, vol. i, pp. ١١٣٧-١١٣٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

وجاورهم في الشوف الجنادلة البقاعيون الذين ينتمون إلى جدّهم جندل بن قيس البقاعي، وكان له حظوة كبيرة عند الخلفاء الفاطميين، فولّوه على وادي التّيم وجبل بني عاملة وقلعة الشقيف وذلك في حدود ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، وكان حد الجنادلة غرباً باتجاه صيدا، وحد الأمراء التنوخيين باتجاه بيروت[١].

الموارنة:-استوطن الموارنة المنطقة المعروفة من جبال لبنان الغربية باسم جبال كسروان الممتدة حتى حدود سهل عكار، وكان الموطن الماروني مطوقاً بإمارة التنوخيين جنوباً والبحر الأبيض المتوسط والمدن الساحلية مثل بيروت وجبيل وطرابلس التابعة للسلطة الفاطمية غرباً، وشرقاً دمشق التابعة للأتراك السلاجقة[٢]. وقد كان لحصانة الموقع وتوافر المياه دورٌ كبيرٌ في منح الموارنة استقلالهم في قلاعهم وجبالهم.

ولعل الاختلاف في العقيدة المسيحية بين الموارنة وغيرهم من الطوائف المسيحية وخاصة تلك الموالية للدولة البيزنطية، كان له دورٌ كبيرٌ في الترحيب بالصليبيين[٣]، ليس عداءً للمسلمين، إذْ لا تشير المصادر العربية ولا حتى الكتابات المارونية، إلى أي تدخل من السلطة الإسلامية في الشؤون المارونية. أما من حيث عددهم فيشير وليم الصوري إلى أن الموارنة قد قدموا حوالي ثلاثين ألف نبّال(جمع نبل) لمساعدة الصليبيين، وهي رواية ضعيفة لان مجموع الموارنة لم يتجاوز ٦٠. ٠٠٠ ألف شخص[٤]. وقد وفرت البيئة الجغرافية للموارنة فرصة التحكم، بحيث تحدد العلاقات بالصليبين، فهم يعيشون على قمم جبال لبنان الغربية، خاصة جبل كسروان، وهي مناطق تمتاز بخصوبة عالية ووفرة في المياه، بالاضافة إلى المناعة الطبيعية[٥].

---

(١) صالح بن يحيى، أخبار السلف ، ص٤٥-٤٧؛ وانظر: عباس أبو صالح، تاريخ الموحدين، ص٤؛ يحيى حسين عمّار، تاريخ وادي التيم، ص١٩٦

(٢) يشير كمال الصليبي (١٩٦٢)، تعريف تاريخي بلبنان، مجلة أبحاث، (ع١٥)، ج٣، ص٣٧٩، وسيشار إليه لاحقاً بـ كمال الصليبي، تعريف تاريخي، إلى أن المسيحيين الملكيين كانوا يقيمون بين الموارنة والدروز ولكن اختفت ملامحهم بسبب اندماجهم مع جيرأنهم في طرق المعيشة .

(٣) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٨٧؛ وانظر:

William of Tyre, A History of Deeds , p. ٥٢٥

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds , p. ٥٢٥

ويؤكد بطرس ضو، صحة عدد الموارنة المشاركين إلى جانب الصليبيين اعتماداً على رواية لوليم الصوري تعود إلى عام ١١٨٠م وتقدر الموارنة باربعين الفا. بطرس ضو، تاريخ الموارنة الديني والسياسي، ط٢، ٣ج، (د. ن)، ١٩٧٧م، ص٤٦٩ ؛ وسيشار إليه لاحقاً بـ بطرس ضو، تاريخ الموارنة.

(٥) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٥. وانظر

William of Tyre, A History of Deeds , p. ٥٢٥

http://www.al-maktabeh.com

وهذه الظروف هي التي ستجعل الصليبيين، في هذه المرحلة، بحاجة للموازنة، وليس العكس.

وينقسم سكان الساحل الشامي إلى فلاحين- وهم الاكثرية - وسكان مدن، في حين تتركز القبائل العربية في المناطق الداخلية[١]، ويشكل المسيحيون غالبية السكان وخاصة السريان بالاضافة إلى الأرمن واليعاقبة وغيرهم[٢]، ويتركز المسلمون واغلبهم شيعة[٣] في المدن وفي بعض القرى ذات الكثافة المسيحية[٤]. ومن الناحية السياسية كانت المنطقة تحت النفوذ الفاطمي عند قدوم الصليبيين بالاضافة إلى بعض السلطات شبه المستقلة مثل امارة بني عمّار، والإمارة التنوخية. أما المنطقة الوسطى فهي متنوعة سكانياً، ففيها الفلاحون والبدو، وسكان المدن، بالاضافة إلى التنوع الطائفي فعلى الرغم من وجود أغلبية شيعية إلاّ أنه يوجد فيها أكبر نسبة للمسلمين السنّة في الساحل[٥]، ويشكل الموارنة أغلبية المسيحيين في هذه المنطقة لكونها موطنهم الرئيس، بالاضافة طبعاً إلى السريان والأرمن واليعاقبة وغيرهم[٦]، كما يرد ذكر لقلة من اليهود[٧].. وللشيعة في هذه البلاد امور عجيبة وهم اكثر من السنيين بها"[٨]، ويشكل السريان أغلبية المسيحيين في هذه المنطقة لكونها موطنهم الرئيس، بالاضافة طبعاً إلى النساطرة والأرمن واليعاقبة وغيرهم[٩]، وقلة من اليهود[١٠].

يمكن القول من كل ما تقدم أن بلاد الشام كانت مهيأة للسقوط بايدي الصليبين وهوالأمر الذي يتضح مما يلي:

١:- بلاد الشام مقسمة بين السيادة الفاطمية والسلجوقية، والصراع بينهما محتدم لفرض نفوذه[١١]، كما أن الجانبين قد أنهكا من الصراع والحروب، وخاصة الدولة الفاطمية التي كانت تعاني من أزمات سياسية واقتصادية

---

(١) انظر الإمارة التنوخية، اليعقوبي، البلدان، ص٦٢

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣.

(٣) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٥٢.

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣.

(٥) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٢

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣.

(٧) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣؛ بنيامين التطيلي، رحلة، ص٤١.

(٨) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٢

(٩) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص ٢٨٣؛ يعقوب الفيتري، تاريخ، ص ٣٣؛ ثيودوريش، وصف، ص١٣٥

(١٠) الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣، وانظر:

William of Tyre, A History of Deeds , p. ٤٣٦

(١١) تركز معظم الدراسات العربية الحديثة على هذا الجانب مشبعة اياه بالبحث خاصة من الجوانب السياسة والعقائدية، معتبرة أن الحملة الصليبية الأولى قد خرجت من بلادها " متكئة على اوضاعها المتردية الضعيفة " انظر سعيد عاشور، الحركة

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبدأت علامات ضعفها بالظهور مع تكون العديد من الإمارات المحلية كما شاهدنا في صور وطرابلس وشيزر، ويمكن قول الشيء نفسه عن السلاجقة في الاناضول حيث قامت امارات محلية أهمها الدانشمندية والدويلات الأرمنية...

٢:- عانت بلاد الشام من اختلال في اعداد السكان، وعلى الرغم من أن المصادر لا تشير بوضوح إلى هذا التناقص الكبير في عدد السكان، إلاّ أنه يمكن استقراء هذا الواقع من خلال تتبع سلسلة الحروب المستمرة سواء بين السلاجقة والبيزنطيين، اوبين السلاجقة والفاطميين، أضافة إلى الإشارات المتكررة إلى مجموعة من الكوارث الطبيعية التي اربكت المنطقة قبيل الحملة الصليبية الأولى وخاصة الزلازل[١] مثل ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م: "زلزلت الشام زلزلة شديدة أهدمت ثلث الرملة وقلبت قرية من نابلس، وسقطت منارة عسقلان، وحائط بيت المقدس، وخسف بنصف عكا"[٢]. وفي عام ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م" عم الوباء بلاد الشام"[٣]، وكذلك "تكرر الوباء وكثر الموت حتى دفن الموتى من غير كفن وكان يموت في اليوم آلاف الأنفس[٤]، وفي عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م "كانت زلزلة لمنطقة الرملة "ولم يسلم فيها إلاّ داران فقط، وهلك فيها خمسة عشرألف نفس"[٥]، وفي عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ م "ضربت الزلازل عموم الشام مرة أخرى فخربت كثير من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء"[٦]. وفي عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م كان الوباء العظيم بحلب[٧]، وفي عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م، اشتد غلاء الأسعار في دمشق وعدمت

الصليبية، ج١، ص١٢؛ احسان عباس، اوراق في التاريخ والادب، ط١، دار هزار- بيروت، ١٩٩٢م، ص٧٠ ، وسيشار إليه لاحقاً بـ احسان عباس، اوراق في التاريخ والادب .

(١) لتتبع الزلازل في الوطن العربي ومناطق انتشارها واثارها وحجم الخسائر الناتجة عنها انظر عبدالله الغنيم، سجل الزلازل العربي، ط١، الجمعية الجغرافية الكويتية- االكويت، ٢٠٠٢م، ص١٢-١٣، ١١٣-١٢٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٨.

(٣) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ،١٧ج، ط٢، مكتبة المعارف -بيروت، ١٩٧٧، ج١٢، ص٥٦ وسيشار إليه لاحقاً بـ ابن كثير، البداية

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٩٥

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٩٦

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣١

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠٨

http://www.al-maktabeh.com

الأقوات، ونفذت الأقوات ونفذت الغلاّت منها، واضطر الناس إلى أكل الميتات وأكل بعضهم بعضاً[1] وفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م، كثرت الأمراض بالحمى في بلاد الشام[2]، وفي عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، "كان بالشام زلازل كثيرة "[3].

٣:- بلاد الشام فقيرة اقتصادياً نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية المستمرة، والناس تشعر بالعداء لكل الأنظمة السياسية التي لايهمها إلاّ مقدار ما تحصل عليه من مال، كما فعل الفاطميون في عام ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٥م بأهل صور الموالين للخلافة الفاطمية ولاءً مذهبياً وسياسيا.

٤: توزيع السكان في بلاد الشام لم يعتمد الدمج بين السكان وإنما تقسيمهم على أساس مذهبي؛ فالشيعة مسيطرون على أغلب مدن الساحل وعلى المناطق الجبلية[4]، والسنة موجودون في بعض المدن الساحلية مثل بيروت، أما المسيحيون فيسيطرون على الريف ويشكلون الأغلبية العددية بين السكان، ويسيطر الموالون منهم للدولة الإسلامية أو الإمبراطورية البيزنطية على المدن الرئيسة والقرى في حين يتجمع المعارضون(الموارنة) في الجبال..

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١١٢

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٢٢

(٣) ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص٣٤٥

(٤) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٥٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الرابع: الزحف الصليبي من نيقية - القدس(٤٩٠هـ/١٠٩٧م- ٤٩٢ هـ/١٠٩٩م)

التوسع الصليبي في الأناضول وسهول كليكية (ربيع الآخر – ذي القعدة ٤٩٠هـ/نيسان – تشرين أول ١٠٩٧م.

بدأ التحرك الصليبي نحو بلاد الشام في ربيع الآخر ٤٩٠هـ/ نيسان ١٠٩٧م[١]، وذلك بعد أن حلف أمراؤهم ايمان الولاء والطاعة[٢] للإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، وتعهدوا برد كل أراضي الأناضول السلجوقي من نيقية إلى أنطاكية[٣]، - أراضي الإمبراطورية البيزنطية سابقا- إليه، ليس خوفا من الإمبراطور اوايمانا بحقه في هذه الاماكن، وانما لحاجتهم لمساعدته ومشورته[٤]، فهم أي الصليبيون يجهلون الأناضول وبلاد الشام جهلا جغرافيا وتاريخيا تاما، وتفتقر جيوشهم إلى المؤن اللازمة لاستمرار الرحلة، وهذه المؤن لم يكن بالإمكان الحصول عليها الإ بإذن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، بعد أن باءت محاولاتهم لتأمين حاجاتهم عن طريق عمليات السلب والنهب في القسطنطينية وما حولها بالفشل، والأهم أن العبور إلى الاناضول ومنها إلى بلاد الشام لا يمكن الإ من خلال اجتياز مضيق البسفور وباستخدام السفن البيزنطية. أما الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين فقد تعهد بتوفير المؤن والأدلاء ونقل الصليبيين بالسفن البيزنطية عبر مضيق البسفور إلى الجانب السلجوقي من

---

(١) لا تشير الروايات العربية لأحداث تحرك الصليبيين في الاناضول، ولا تتعرض لأحداث حصارهم لنيقية، بإستثناء اشارة عابرة لابن القلانسي حيث يقول " وقد كان الإفرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بان يسلما إليه اول بلد يفتتحونه، ففتحوا نيقية، وهي اول مكان فتحوا، فلم يفوا له بذلك، ولا سلموها على الشرط، وافتتحوا في طريقهم بعض الثغور والدروب". ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩.

(٢) حلف الأمراء الصليبيون أمثال بوهميند وغود فروي وبلدوين يمين الولاء والطاعة للامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بعد أن الحق بهم خسائر كبيرة أثناء محاولتهم نهب القسطنطينية، كما أنه تمكن من كسب ولائهم بإغداق الأموال والهدايا عليهم باستثناء ريموند دي سان جيل الذي اكتفى بالتعهد بالمحافظة على حياة وممتلكات الإمبراطور البيزنطي. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٢; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٤٥; Gesta Version, p.٨٩.

ويلخص زابوروف، الصليبيون، ص٧٣، الاسباب التي دفعت الصليبيين إلى حلف يمين الولاء والطاعة بقوله " كان واضحا لإبعدقادتهم نظرا أن نجاح الحرب ضد السلجوقيين يتوقف بقدر لايستهان به على العلاقات بين الصليبيين وبين بيزنطة الباقية في مؤخرتهم".

(٣) انظر الفصل الثاني ص٤-٦

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥.

http://www.al-maktabeh.com

الأناضول، ووفر لهم ايضا كتيبة بيزنطية رافقت الحملة الصليبية بهدف تقديم المشورة والخبرة البيزنطية في المنطقة للصليبيين وقت الحاجة والاقتصار على ذلك(١). وتفسر أنا كومنين عدم مشاركة البيزنطيين بشكل مباشر في الحملة الصليبية الأولى ، بخوف الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين من الأعداد الهائلة للصليبيين، وعدم ثقته بهم(٢)، فهولم يرغب في الدخول بصراع مباشر مع السلاجقة، وخاصة أن أعمال الصليبيين العدائية والتدميرية في القسطنطينية جعلتهم أعداء لا يقلون خطورة عن السلاجقة، فعمل البيزنطيون على الإسراع بدخول السلاجقة والصليبيين في حرب تؤدي في نهايتها إلى القضاء على احد أعداء الإمبراطورية البيزنطية. وقد، تمّ نقل الصليبيين إلى الجانب السلجوقي من الأناضول، ومنها إلى نيقية حسب الخطة البيزنطية(٣) التي تركز على الاستيلاء على نيقية كشرط ضروري لتقدم الصليبيين بنجاح عبر الأناضول، وحماية القسطنطينية من جهة الجنوب، والتحكم بطرق المواصلات التي تجتاز الأناضول. وكان وصول القوات الصليبية على مراحل بدءا من قوات جود فروي Godefroy(٤) في ٢١جمادى الأولى ٤٩٠هـ/٦ ايار١٠٩٧، ثم وصول قوات بوهيمند(٥) في ٢٩ جمادى الأولى ٤٩٠هـ، ١٤ ايار ١٠٩٧ وتلتها قوات ريموند دي سان جيل(٦) في١جمادى الثاني ٤٩٠هـ/ ١٦ ايار ١٠٩٧م، وفي

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥; Anna Comnena, The Alexiad, p.٣٤.

(٢) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٥; Hill, Raymond IV, p. ٧١.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV,p٧٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥-٢٤٧.

(٤) انظر:

Gesta Version, p. ٩٠; Hill, Raymond IV, p. ٧٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥.

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥.

(٦) انظر:

مكتبة المهتدين الإسلامية

منتصف رجب٤٩٠هـ، الأسبوع الأول من تموز ١٠٩٧م، وصلت آخر القوات الصليبية إلى نيقية بقيادة تانكريد Tancread[١]. ويعطي الشارتري رواية مفردة عن تعداد الصليبيين المحاصرين لنيقية بـ٦٠٠,٠٠٠ رجل قادر على حمل السلاح، عدا عن النساء والأطفال ورجال الدين[٢]ولا تشير الروايات الصليبية إلى أي مشكلات في الإمدادات والمؤن، وذلك بسبب المساعدات البيزنطية والشعبية، إذ إن جميع سكان القرى على طول الطريق المؤدية إلى نيقية هم من الأرمن الذين نظروا إلى الصليبيين على أنهم مسيحيون مثلهم، وحاصلون على دعم وتاييد الإمبراطورية البيزنطية التي يدين لها الأرمن بالولاء والتبعية، أضف إلى ذلك أن المنطقة التي تقع فيها نيقية هي منطقة سهلية خصبة، وصلها الصليبيون في ذروة الموسم الزراعي، وهوموسم الحصاد. ومن الجدير بالتساؤل: لماذا لم تعترض الحاميات السلجوقية، المنتشرة على طول الطريق المؤدية إلى نيقية مثل حصن كزرايفورديون[٣] مسير القوات الصليبية؟؟ وهي حصون عبرتها الحملة الشعبية سابقا[٤]. مع العلم بأن أفراد هذه الحاميات هم الذين نقلوا إلى قلج رسلان أخبار مسير الحملة الصليبية وخط سيرها.

وصل الصليبيون إلى اسوار نيقية في ١٤ ايار ١٠٩٧م، أثناء انشغال السلطان السلجوقي وجيشه بحصار مدينة ملطية، والصراع مع الدانشمنديين. ومع أن السلطان قلج أرسلان، لم

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٦.

(٣) حصن كزرايفورديون: لم اعثر على تحديد حديث لموقعها الذي وصفه المؤرخ المجهول بأنها قلعة خاوية أمامها بئر، ونبع جار. انظر:

Gesta Version, p. ٧٧.

(٤) انظر:

Fulcher Of Charter, A History Of The Expedition, p. ٤٦; William of Tyre, History of Deeds, p. ٢٣٢.

http://www.al-maktabeh.com

يتوقع أن تتعدى الحملة الصليبية الأولى ، سابقتها – الحملة الشعبية - التي أبادها بسهولة في عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦. فقد سارع بفك الحصار عن ملطية،

وعقد معاهدة صلح مع الدانشمنديين، ووجه قواته مسرعا نحو نيقية ليصلها من الجهة الجنوبية بعد رحلة استغرقت حوالي أربعة ايام[١]، أما الصليبيون فوجئوا بحصانة المدينة، وكانت المفأجاة فوق كل توقعاتهم فقد أذهلتهم حصانتها الطبيعية ممثلة بإحاطة المياه بالجانب الجنوبي الغربي والمتمثل ببحيرة اسكانيوس Ascanius[٢] التي يصل ارتفاعها إلى أسوار المدينة، إضافة إلى خندق مليء بالماء المتدفق من الجداول في الجانب الغربي للمدينة[٣]، ودفاعاتها المتينة[٤]، المتمثلة بأسوار عالية جدا، فنيقية مدينة مخّمسة الأسوار، وعليها ما يزيد على ثلاثمائة برج[٥].

---

(١) إذا أخذنا برواية

Hill, Raymond IV, p. ٧٧.

والتي أكدها

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٢.

التي تشير إلى أن قلج أرسلان وصل نيقية في نفس اليوم الذي بدا به ريموند دي سان جيل المدينة وهو١٦ ايار ١٠٩٧م، فان قلج أرسلان يكون قد غادر ملطية في حوالي ٤٩٠هـ/١٢ او١٣ أيار ١٠٩٧م. وعليه فان أخبار توجه الصليبيين نحو نيقية قد وصلت إليه ما بين ٤٩٠هـ/١١، ١٢ أيار١٠٩٧م دون أن توضح المصادر الطريق التي صلت بها الأخبار إلى قلج أرسلان.

(٢) بحيرة اسكانيوس: المعروفة اليوم باسم بحيره ازنك قطرها ١٥ كم مساحتها ٤٠ كم٢، وصفتها مصادر الحملة الأولى بأنها بحيرة كبيرة تصل إلى أسوار نيقية .. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧

وانظر أيضا:

J. H. Mortdmann, "Iznik", E. I.[٢], vol.v, p. ٣٠

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧

(٥) أبوالفداء، تقويم البلدان، ص ٣٨٥. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٧-٢٤٨

وانظر أيضا:

J. H. Mortdmann, "Iznik", E. I.[٢], vol. v, p. ٣٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

توزع الصليبيون طيلة حصار المدينة في الفترة الواقعة ما بين ١ جمادى الثانية[١] - ٧ رجب ٤٩٠هـ/ ١٦ ايار – ٢٠ حزيران ١٠٩٧م، حول أسوار المدينة على النحوالتالي:

الشمال: قوات بوهيمند، الشرق: قوات جود فروي، الجنوب: قوات ريموند دي سان جيل، وبقي القسم الجنوبي الغربي للمدينة(بحيرة اسكانيوس) حرا[٢]، ومن هذا القسم كانت الإمدادات تصل لحامية نيقية السلجوقية.

أما الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين فقد اتخذ من مدينة بيليكان (Bailacan)[٣] مركزا له لمتابعة الأحداث في نيقية، ومكّنه ذلك من الحصول على معلومات متتابعة بلا انقطاع حول مسيرة زحف الفرنجة، وفي الوقت نفسه حول نشاط السلاجقة خارج نيقية، وحول اوضاع السكان وأحوالهم في الداخل[٤].

وقد حدث الاشتباك الأول بين السلاجقة بقيادة قلج ارسلان والصليبيين بقيادة ريموند دي سان جيل في ١رجب٤٩٠هـ /١٦ايار ١٠٩٧، في الجهة الجنوبية من المدينة[٥]، وقد سارت المعركة لصالح قوات ريموند دي سان جيل وخاصة بعد أن حصلت على مساندة قوات بوهيمند[٦]. وبعد معركة دامت يوما بأكمله أنهزمت قوات قلج أرسلان وتراجعت إلى داخل الأناضول محتمية بالجبال[٧]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أنّا كومنين لا تشير نهائيا إلى

---

(١) لا تشير الروايات فيما إذا كان اختيار توقيت محاصرة المدينة مقصودا أم لا، بمعنى هل كان البيزنطيون ومن ثم الصليبيون على علم بانشغال قلج أرسلان وقواته بصراع خارج أنطاكية ولذلك توجهوا إلى نيقية. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٧-٢٤٨

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٧-٢٤٨

(٣) بيليكان (Bailacan) : مدينة في ارمينية الكبرى كانت في فترة الدراسة تحت حكم مملكة الرها التي تدين بالتبعية الاسمية للامبرطورية البيزنطية. انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٣٨

(٤) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٣٨

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٧

(٦) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p. ٤٥

ويجدر بالذكر أن Hill, Raymond IV, p. ٧٧ لا يشير إلى حصول ريموند دي سان جيل على أي مساعدة .

(٧) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٦-٤٧; Hill, Raymond IV, p. ٧٧

http://www.al-maktabeh.com

هذه المعركة، بل تؤكد أن السلطان قلج أرسلان لم يتجه أساسًا لنجدة نيقية وربما كان ذلك محاولة منها إلى تقليل الدورالصليبيي في سقوط المدينة النهائي[1]. وبعد انتهاء المعركة سارع الصليبيون إلى مهاجمة أسوار المدينة ومحاولة اختراقها مستخدمين آلات مثل الأكباش، والأبراج الخشبية والمجانيق، وكل ذلك بتصاميم قدّمها المهندسون البيزنطيون، وقد باءت هذه المحاولات جميعها بالفشل[2] ولم تتمكن من اختراق أسوار المدينة وزعزعتها[3]، وقد سأهم سكان المدينة وحاميتها بجعلها مدينة لا يمكن اقتحامها وذلك بإعادة ترميم ما يثقب خلال ساعات الليل[4]، وقد سأهمت هذه المناعة - إضافة إلى تدفق المساعدات على حامية المدينة عبر بحيرة اسكانيوس - في تعزيز صمود المدينة[5]، وتثبيط عزيمة القوة الصليبية وخاصة أن المدة قد طالت ونيقية هي المحطة الأولى فكيف ستكون المحطات التالية؟...

كانت الحامية السلجوقية داخل أسوار المدينة تعاني من نقص كبير في عددها فكثيرون من أفرادها رافقوا السلطان قلج أرسلان، في حصاره لمدينة ملطية[6]، ولكن هذا النقص في عدد أفراد الحامية لم يكن يشكل أهمية بالنسبة للسلاجقة إذ توافرت لديهم عدة عوامل كافية لإفشال أي هجوم ضد المدينة:

---

(١) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٣٦

(٢) يقصد هنا هزيمة قوات ريموند أجيل لقوات قلج ارسلان في ١٦ ايار ١٠٩٧م.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٨

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٥. انظر أيضاً:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٧; Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٨

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٥.

انظر أيضا:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٧; Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٣

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٦

هذا على الرغم من إشارة وليم االصوري: إلى كثرة أفراد الحامية دون أن يعطي رقما محددا.

انظر ايضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

١-حصانة ومناعة أسوار المدينة، التي وقف الصليبيون أمامها في دهشة عارمة، فقد كانت هذه الاسوار بنظرهم عبارة عن كتل من التحصينات العملاقة[١]، واستغل أفراد الحامية السلجوقية أبراج وأسوار المدينة برشق القوات الصليبية المحاصرة للمدينة بوابل من السهام، مما أفقد الصليبيين القدرة على الاقتراب من الاسوار فلجاوا إلى استخدام الأبراج الخشبية والاحتماء بها لاعتلاء الأسوار، وحتى هذه الوسيلة – التي استغرقت منهم مالا وجهدا كبيرا، كان سهلا على الحامية السلجوقية تدميرها[٢].

٢-بحيرة أسكانيوس: شكلت هذه البحيرة منفذا جيدا للحامية السلجوقية، فلم يستطع الصليبيون فرض سيطرتهم عليها لعدم توافر قوة بحرية لديهم، فعلى الرغم من محاصرة الصليبيين المدينة من ثلاث جهات، إلا أن سكأنها مارسوا حياتهم بشكل طبيعي عبر البحيرة[٣].

٣-توافر المؤن والمياه، إذ تتمتع مدينة نيقية بخصوبة التربة، وجودة إنتاج حقولها[٤]، مما وفر مخزونا داخل المدينة لفترة طويلة، وقد ساعد على توافره ايضا وقوع نيقيه في منطقة شهدت على أقل تقدير حوالي عشرين عاما من الحروب المستمرة(١٠٧٧-١٠٩٧م)، ما بين السلاجقة والبيزنطيين، وما يتبع ذلك من نزوح الفلاحين عن أراضيهم وبالتالي تناقص أعداد السكان مع إجبار المتبقي منهم على زراعة الأراضي، أضف إلى ذلك أن جميع الروايات التي تشير إلى حصانة المدينة طبيعيا تشير إلى وجود خندق يحيط بأسوار المدينة، يمتلئ بالمياه بفضل تدفق مياه الينابيع والجداول.

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٠

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٦

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٢٩

http://www.al-maktabeh.com

٤- لجأ أفراد الحامية السلجوقية إلى استخدام أساليب سأهمت في تثبيط الروح المعنوية للقـوة الصـليبية، فعـلى سبيل المثال قاموا بالقاء الزيت والشحم على مواقع القوات الصليبية مما يسـاعد في زيـادة السـنة النـيران داخـل الجيش الصليبي وذلك بعد قذفهم بقذائف مشتعلة[١]. كما قاموا بترك الصليبيين يبذلون كل ما لـديهم مـن جهـد وطاقة أثناء النهار بالسلاجقةيز على محاولة إحداث ثقب في أسوار المدينـة وكـانوا يقومـون لـيلا بملـئ الثقـب[٢] وترتب على ذلك أن بدا الصليبيون - وخاصة في جانب قوات ريموند دي سان جيـل الـذين لاحظـوا أن عملهـم لم يلاقِ أي نجاح، وكانوا على وشك التخلي عن حصار المدينة[٣]، وعليـه يمكـن القـول أن وضـع الحاميـة السـلجوقية وسكان المدينة داخل الأسوار، كان أفضل من وضع الصليبيين خارجها، وهنا يمكن ترجيح روايـة أنا كـومنين التـي تشير إلى أن والدها الإمبراطور الكسيوس، هوالذي بادر إلى التفاوض مع أفراد الحامية منذ بدء حصـار المدينـة[٤]. لكن ثقة أفراد الحامية السلجوقية بقوة موقفهم هي التي أخرت استسلام المدينـة، إذ لم تضـعف هـذه الثقـة إلا باستيلاء الصليبيين على البحيرة، بعد أن تمكنوا من الحصول عـلى عـدد مـن القـوارب مـن الأسـطول البيزنطـي[٥]، ونقلها إلى البحيرة، ومن ثم سد منافذها عن أفراد الحامية وسكان المدينـة[٦]، الذين فقدوا الأمل في الحصول على

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٩

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٨

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٩

(٤) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٠

(٥) تشير:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٠

إلى أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، هو الذي بادر بإرسال السفن إلى البحيرة في صباح ٥ رجب /٤٩٠هـ/ ١٨/حزيـران /١٠٩٧م.

(٦) انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٢-٤٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٣٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

أي مساعدة اودعم من السلاجقة خارج أسورها، بعد أن تم إحكام حصارها من جهاتها الأربع. وإزاء هذه التطورات التي حدثت بعد خمسة أسابيع من الحصار(١)، تمّ استئناف المفاوضات سرا مع البيزنطيين حول كيفية استسلام المدينة. وقد فضل السلاجقة تسليم المدينة للإمبراطور البيزنطي بدلا من الصليبيين لإن الصليبيين " الفرنجة " في نظرهم شعوب بربرية مجهولة وبالتالي لا توجد ثقة حول مدى التزامهم بالمعاهدات ووفائهم بعهودهم. وكان أفراد الحامية على علم بان حصار الصليبيين المدينة إنما هوأمر طارئ نتج عن عبورهم في هذه المنطقة(٢)، ولا علاقة لذلك بهدفهم الرئيس فحصار المدينة هدف بيزنطي بحت، وبالتالي فأنهم سيغادرون المدينة والمنطقة كلها حال إنهاءالحصار، في حين أن الإمبراطور البيزنطي سوف يبقى دائما بالقرب منهم(٣). وقد تم توقيع اتفاقية تسليم المدينة بين البيزنطيين والسلاجقة سرا في رجب ٤٩٠هـ/١٩ حزيران ١٠٩٧م، وتضنمت معاهدة التسليم شروطا يمكن إجمالها -كما وردت عند أنّاكومنين(٤)- بما يلي: حصول جميع سكان المدينة دون استثناء على وعد بالحفاظ على أرواحهم. ووعد قادة الحامية السلجوقية بالحصول على أعطيات وجوائز مجزية من خزينة الإمبراطور البيزنطي بعد انتقالهم إلى القسطنطينية. كما تعهد الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بتوفير أحسن المعاملة لكل من أخت وزوجة وولدي السلطان قلج ارسلان أثناء إقامتهم في القسطنطينية، وتأمين التحاقهم بالسلطان قلج ارسلان. وأعطي كل فرد من أفراد الحامية السلجوقية الحق بالاختيار بين البقاء في القسطنطينية والعمل تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي، اوالالتحاق ببلدأنهم.

كل ذلك حدث في الوقت الذي كان فيه الصليبيون قد كثفوا حصار المدينة، ونجحوا في إحداث ثقب في أحد أسوارها من الجهة الجنوبية – جانب قوات ريموند دي سان جيل - وعندما اعتلى الصليبيون سور المدينة في صباح يوم رجب ٤٩٠هـ ٢٠ حزيران ١٠٩٧م، تفاجاوا بالأعلام البيزنطية ترفرف من فوق أبراج المدينة، وعلى الرغم من موقف عامة الصليبيين الإ أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين حرص على أن يحصل على

---

(١) يشير توديبود إلى أن مدة الحصار بلغت سبعة أسابيع. انظر توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١١١.

(٢) حصل أفراد الحامية على معلومات حول مخطط الجيش الصليبي، من البيزنطيين أثناء المباحثات السرية بين الطرفين. انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٤٢

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٢-٢٤٣

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١١١. وانظر أيضا:

Anna Comnena, The Alexiad, p.٤٠, ٤٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٢-٢٤٣

http://www.al-maktabeh.com

تعهدات والتزامات جديدة من قادة الجيش الصليبي بإعادة أنطاكية إلى سلطة الإمبراطورية البيزنطية قبل حصولهم على الإذن بمغادرة نيقية، التي بدأت في١٦رجب٤٩٠هـ/ ٢٩ حزيران ١٠٩٧[١].

وتحركت الجيوش الصليبية بداية كتلة واحدة، وقد علم الصليبيون بتجهيزات قوات قلج ارسلان في١٨رجب٤٩٠هـ / تموز، ١٠٩٧ وفي تموز عبروا أحد الجسور المقامة على نهر سيحان، وهنا انقسم الجيش الصليبي قسمين تفصل بينهما مسيرة يومين - ولا تشير الروايات الصليبية إلى سبب الانقسام، وإنما يلمح الشارتري إلى أن الانقسام كان لغايات شخصية عند القادة[٢]، وكان الانقسام على النحو التالي:-

القسم الاول: ويضم بوهيمند وتانكريد وغيرهما من قادة الجيش الصليبي[٣]، انعطفوا يسارا نحووادي دوريليوم[٤]، الذي يتميز بخصوبته[٥]، وقد فقد بوهيمند خلال هذه الرحلة عددا كبيرا من جنوده، الذين تأخروا خلفه وضلوا الطريق[٦].

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٤) يراد وادي دوريليوم باسم غورغون Gogon: تذكره مصادر الحملة الأولى مركزة على وصف مناخه الحار خاصة وان عبور الصليبيين له كان في شهر تموز الحار؛ اما في الوقت الحاضر فيعرف بأنه وادي يمر فيه نهر إرغنة Ergene سهل وادي نهر إرغنة Ergene رافد نهر مريتش (مارتيسا) في تراقية من أوسع سهول غربي الاناضول، وكانت تقع فيه مدينة دوريليوم Dorylaeum القديمة التي عرفها العرب باسم دورليه Dorylee، التي هدمت وبنيت مكانها مدينة حديثة تعرف اليوم باسم اسكي شهر. انظر:

Anna Comnena, The Alexiad, p. ٣٤; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٩

وانظر أيضا:

J. H . Mortdmann, "Eskishihir", E. I.[٢], vol. ii, p. ٧٣٣

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٩

وانظر أيضا:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٩٠-٩٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

القسم الثاني: ويضم ريموند دي سان جيل، وقد بقي في الجهة اليمنى على مسافة من القوة السابقة تقدر بمسير يومين[١].

وقد سارت قوات قلج ارسلان بالاتجاه والسرعة نفسيهما لخط سير القوة الصليبية المتجهة يسارا بقيادة بوهيمند وتانكرد لعلمه بان هذه القوة هي الأكثر ضعفا، والأدنى قوة، والاقل عددا[٢]. ولذلك بادر قلج ارسلان بالهجوم على القوة الصليبية بجميع قواته[٣] واستطاع بوهيمند أن ينظم قواته ويستعد لرد الهجوم بفضل الكشافة المنتشرين، وكان غريبا على الصليبين اعتماد الجيش السلجوقي على اطلاق السهام كأسلوب للقتال وجها لوجه، وكانت المعركة تسير لصالح قلج ارسلان وقواته[٤].

في هذه الأثناء كانت القوة الصليبية الثانية بقيادة جودفري وريموند دي سان جيل في طريقها للهجوم والذي مثل مفاجأة كبيرة لقوات قلج ارسلان التي سرعان ما بدأت بالتراجع[٥]. وبغض النظر عن حجم الغنائم التي حصل عليها الصليبيون من معسكر قلج ارسلان إلا أن الأهم هوحصولهم على عدد كبير من الجمال[٦]، وهوالحيوان الذي لم يكن الصليبيون قد عرفوه من قبل، ولم يقدروا أهميته إلا فيما بعد. وقد ساهم بإحراز التفوق الصليبي تفوقهم العددي، وفي الوقت الذي كانت فيه القوات السلجوقية مستعدة للهجوم لا للدفاع،

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٥

(٣) واختلفت الروايات الصليبية في تقدير تعداد جيش قلج ارسلان فأشار الشارتري أنه بلغ ٣٦٠,٠٠٠ واشار وليم الصوري إلى أن رقم ٢٠٠,٠٠٠ جندي رقم مبالغ فيه، في حين لم يتجاوز عدد قوات بوهيمند ١٠,٠٠٠ عند الصوري ٢٤٩ وهم ١٥٠,٠٠٠ عند ريمند اجيل

انظر:

Fulcher of Charter, A History of, p. ٤٨; Hill, Raymond IV, p. ٧٩; William of Tyre, A History of Deeds, p٢٤٦

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٦

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٩; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٨

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٤٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٠

http://www.al-maktabeh.com

وعدم علمهم بمسير الصليبيين على شكل مجموعتين متتابعتين. وتأجج المشاعر الدينية لدى الصليبيين اثر مشاركة المندوب البابوي ادهيمار في المعركة. وتنبع أهمية معركة دوريليوم من أنها حددت خط سير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى، بعد أن أصبحت الطريق إلى بلاد الشام مفتوحة. كما بدأت الأخبار والشائعات عن قوة الصليبيين ووحشيتهم تسبقهم إلى الأماكن التي يقصدونها[١].

انتهت المعركة مع غروب شمس ١٨رجب٤٩٠هـ/الأول من تموز ١٠٩٧، وبلغ عدد خسائر الجيش الصليبي حوالي ٦٠٠٠مقاتل[٢]، وبلغت خسائر الجيش السلجوقي حوالي ٣٠٠٠ رجل[٣] مع عدم الأخذ بدقة هذه الارقام، الإ أن الارجح هو وقوع خسائر اكبر بين أفراد الجيش الصليبي لتفوقهم العددي ولإعتماد السلاجقة على الرمي بالسهام، وتجدر الإشارة إلى أن ريموند جيل ينفرد برواية تتحدث عن ارتداد في الجيش السلجوقي[٤] وتبدو هذه الرواية ضعيفة، فلو ارتد مسلمون- وهم جند – إلى القوة الصليبية - كما تشير رواية ريموند أجيل- لقدّموا معلومات مهمة ومفيدة أغنت الصليبيين-بعد دوريليوم- عن الدخول في منطقة جافة كادت أن تقضي عليهم. وقد اجتمعت القوة الصليبية من جديد، وأقامت حوالي ثلاثة ايام في سهول دوريليوم الخصبة يعيشون حالة من الرخاء والاستقرار بسبب وفرة المؤن وكثرتها، مع كميات الأطعمة التي كان العدو قد أرغم على التخلي عنها عندما هرب[٥]. وفي ٢١ رجب٤٩٠هـ/ ٤ تموز١٠٩٧م غادر الجيش الصليبي دوريليوم متجها إلى أنطاكية بيسيديا[٦]،

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٧٩; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٥٠

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٠

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٨

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٧٩; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٥٠

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٨;

وانظر أيضا:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٩٥

(٦) انطاكية بيسيديا: تعرف في مصادر الحملة الأولى بانها انطاكية الصغرى عاصمة مقاطعة بيسيديا والتي كانت مدينة خصبة وافرة الخيرات؛ وتعرف اليوم باسم إسكي شهر، وقد قامت مكان مدينة دوريليوم القديمة، وفي فترة الدراسة كانت اول مدينة

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأثناء محاولتهم اختصار الطريق دخلوا في منطقة جافة خاليـة من الماء تماما، مع درجات الحرارة الشديدة كما هومألوف في شهر تموز الحار[1]، فقد قامت فلول جيش قلج أرسلان بتخريب وحرق الريف، وتلويث الآبار في المناطق التي سيمر بها الصليبيون، كما بدأت الطبيعة تتغير من حولهم، فقد كانت جبال طوروس على أحد جانبي طريقهم، وكانت الصحراء الملحية في الجانب الآخر، ولم يكن ثمة نباتات تشاهد غير الشجيرات الشوكية التي مضغها الصليبيون على أمل الحصول على بعض الرطوبة[2]، كما أخذت حرارة الصيف تشتد، وأخذت خيولهم ودوابهم بالنفوق[3]، ومما زاد معاناتهم أن المنطقة كانت شبه خالية من السكان، ولم تتوافر لهم المساعدة الجغرافية البيزنطية اللازمة، وأستمرت رحلتهم في الأناضول حوالي أربعين يوما[4]، أي من ٢١رجب٤٩٠هـ /٤ تموز -٢٩شعبان٤٩٠هـ -١١ آب ١٠٩٧م، وهنا يطرح السؤال التالي " ما هو دور الأدلاء البيزنطيين؟، هل من المعقول أنهم هم ايضا تفأجاوا بجفاف المنطقة – وهم الخبراء بها -؟ أم أنهم تعمدوا دخول الصليبيين في هذه المنطقة؟؟ ويبدوان البيزنطيين قد تعمدوا أن يضل الصليبيون طريقهم في الأناضول حتى يشعروا بحاجتهم المستمرة للبيزنطيين. وقد ترتب على هذه المتاهة أن أخذت نسبة الوفيات الجماعية بالإرتفاع نتيجة للأمراض ونقص الأغذية والعطش المفرط[5]....

تواجه الخارج من دوريليوم باتجاه الجنوب. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٠

وانظر أيضا:

J.H . Mortdmann, "Eskishihir", E. I. ٢, vol.ii, p. ٧٣٣

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٤٩

(٢) انتوني بردج، تاريخ الحروب، ص٧٣

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٠

وانظر أيضا: توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٠٦

(٤) انتوني بردج، تاريخ الحروب، ص٧٣

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٢

http://www.al-maktabeh.com

كانت نتيجة دخول هذه المنطقة الجافة وفاة ما يزيد على ٥٠٠ صليبي. ومن الجدير بالملاحظة كثرة الروايات التي تشير إلى معاناة الصليبيين في هذه الرحلة[١]، وهي روايات لا تدل بشكل من الأشكال على أنها التجربة الأقسى بالنسبة للصليبيين، ولكنها التجربة الأولى ، لذلك كان لها الأثر الأكبر المحفور في ذاكرة الصليبين[٢]. وقد شملت هذه الحالة الإنسان والحيوان على حد سواء[٣]. وواجه الصليبيون الموت الجماعي ثانية عند وصولهم إلى نهر سيحان بالقرب من أنطاكية الصغرى حاضرة بيسيديا، فقد شربوا منه دون ضابط وأدى افراطهم في شربه إلى مواجهة الموت الذي كانوا قد نجوا منه من قبل، بسبب عدم وفرته[٤].

انتهت هذه المأساة بوصول الصليبيين إلى أنطاكية الصغرى حاضرة بيسيديا " أنطاكية الخصبة المليئة بالجداول و الغابات والمراعي[٥]. وقد استفاد الصليبيون من تجربتهم السابقة فأرسلوا فرقة استطلاعية قوامها ٧٠٠ فارس هدفها استطلاع الطريق واكتشاف الريف المحيط، وتجريب الطريق، لينقلوا لقادتهم كل ما له علاقة بالزمان والمكان، بحيث يستطيع الجيش أن يتقدم بسلامة أكثر وبحذر أكبر[٦]. ولحين وصول أنباء استكشاف الطريق انشغل الباقون بنهب الريف المحيط[٧]، ليتابعوا مسيرهم بعدها إلى قونية التي وجدوها قاحلة بفعل تجريد

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٥١

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٠

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٠

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٠

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٠; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٢٥٠-٢٥١

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥١

(٧) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

السلاجقة لمحتويات المدينة الزراعية والحيوانية[1]، فسارع الصليبيون بمغادرة المدينة القاحلة[2] مسرعين نحوهرقلية، وانقسموا هناك قسمين: القسم الاول: اتخذ الطريق التي تخترق جبال طوروس خلال الممر الكبير لسهل كليليا، واتخذ هذا الطريق تنكريد وبلدوين متعمدين مخالفة النصيحة البيزنطية مما يدل على عدم الثقة بين الصليبيين والبيزنطيين، وكان عبورهم جبل طوروس من أعظم المجازفات التي قام بها الصليبيون، وقد اعتبر اجتياز مسالكه الوعرة من أصعب الاوقات بالنسبة للصليبيين[3]، وبوصول الصليبيين إلى مرعش١٤ذي القعدة ٤٩٠هـ / ١٣ تشرين الأول ١٠٩٧م يكونون قد دخلوا سهل كيليكا وهوالمعروف بانبساطه وخصوبته ووفرة مياهه، وسكانه من النصارى الأرمن، وهو خاضع للسلطة السلجوقية المباشرة اولسلطة أرمنية مستقلة مثل الرها..

القسم الثاني: وهوالذي أتبع الطريق الداخلية باتجاه الساحل، وهي الطريق التي نصح البيزنطيون باتخاذها، لأنها الطريق المباشرة لبلاد الشام (المنطقة المعروفة تاريخيا باسم الثغور الشامية)، وتتصف بأنها منطقة خصبة وافرة المياه، وعلى الرغم من أنها كلها خاضعة للسلطة السلجوقية إلا أنها تعج بالسكان الأرمن الموالين لبيزنطة. ويوصف تحرك الصليبيين في هذا الاتجاه بالسهولة، فقد أخذت الحاميات السلجوقية، بالانهزام من مدن الثغور الشامية عند اقتراب الصليبيين منها، وبدأ سكان المدن النصارى بتسليمها للصليبيين[4]طوعا اوكرها، بدءا من طرسوس التي حاصرها تانكرد وبلدوين وقد استسلم سكانها المسيحيون[5]،بعد حصار دام عدة ايام، واعلنوا قبولهم إجراء الترتيب التالي، وهو: وجوب حمل رايته إلى داخل المدينة ووضعها على واحد من أعلى الأبراج،

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٠; William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٣

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٣

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, pp. ٥٠-٥١

وانظر أيضا: توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٠٦

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٣

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٤

http://www.al-maktabeh.com

إشارة إلى أنهم عقدوا العزم على الاستسلام، واشترطوا عليه، من جهة أخرى أن يحميهم حتى ساعة وصول بوهيمند مع الجيش الرئيسي، وألا يكرههم في غضون ذلك على الانتقال من منازلهم رغما عن إرادتهم، أوالتخلي عن ممتلكاتهم، وتعهدوا وفقا لهذه الشروط بتسليم المدينة بهدوء إلى بوهيمند عند وصوله[1]. ومع الوصول إلى طرسوس بدأت النزاعات الشخصية والرغبة في إنشاء اقطاعيات في الشرق تظهر عند القادة الصليبين، فتورد المصادر الصليبية حدوث اشتباك مسلح بين قوات كل من بلدوين وتانكرد حول السيطرة على مدينة طرسوس[2]. وهنا يختلف موقف الرواة الصليبين من هذا الحدث حسب ولاءاتهم وانتماءاتهم الشخصية، فالشارتري مثلا وباعتباره مواليا لبلدوين يتجنب الخوض حول السيطرة على طرسوس، ويشير اليه إشارة سريعة تخلي طرف سيده من أي اتهام[3]. أما وليم الصوري - فمع أنه يبدو أكثر ثقة لحسن نوايا تانكرد الإ أنه يحاول أن يبرئ كليهما من تهمة الخيانة للحملة الصليبية والتخلي عن مبادئهم لصالح المطامع الشخصية، فالاشتباك حدث لان كلا من بلدوين وتانكرد ظن أن جيش الآخر قوة إسلامية معادية، وعندما اكتشف تانكرد هذا اللبس أنهى الصراع لايمانه بهدف الحملة الصليبية - بيت المقدس - وحرصه على وحدة الصف المسيحي[4].

غير أن هذه الرواية ضعيفة، إذ سنلاحظ لاحقا محاولات مستمرة ودؤوبة لتانكرد تستهدف إنشاء إمارة خاصة به، وعلى الأغلب تمكن بلدوين من إنهاءالصراع لصالحه بإجبار الأرمن على رفع رايته وإعلان تبعيته بدلا من تانكرد، وقد استخدم القوة ضد الأرمن لتحقيق رغباته[5]. وحاول بوهيمند التدخل في الصراع الدائر حول توزيع

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٤

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٥

وهنا يتضح كما يشير زابوروف، إلى أن هذه الوقائع وغيرها التي نعرفها من شهود العيان تقدم البرهان الساطع على أن تلك الوحدة التي اطراها مدونو الاخبار اللاتين كانت هشة " تبدي بكل جلاء تقلقل وحدة الغرب المزعومة في الحملة الصليبية الأولى ". انظر: زابورووف، الصليبيون، ص١١٢.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, pp. ٥١-٥٤

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٧

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, pp. ٥١-٥٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

البلاد المفتوحة بين الأمراء الصليبيين بعد توسع دائرة الصراع، وكان تدخله لصالح تانكرد على شكل تدخل عسكري، فقد توجهت مجموعة من جنده إلى طرسوس لمساندة تانكرد، وعسكروا حول أسوار المدينة غير أن بلدوين منعهم من دخولها. ويشير وليم الصوري إلى أن الجنود الفقراء من جيش بلدوين قد قاموا بتهريب المواد الغذائية لجنود بوهيمند خارج الأسوار التي لم تكن تمتلك شيئا من المواد الضرورية والمؤن الأساسية(١) مما يدل على أن قوات تانكرد ومن بعدها قوات بلدوين تمكنت في غضون اقل من شهر من إتلاف وتخريب الريف المحيط بطرسوس. وهنا يشير وليم الصوري - في محاولة منه لتبرئة الصليبيين من دماء بعضهم بعضاً - إلى أن السلاجقة والأرمن داخل المدينة هربوا منها خلسة، وقاموا أثناء هروبهم بقتل جميع جنود بوهيمند المستسلمين للنوم دون استثناء(٢)، وكان بلدوين يترك المدينة بلا حراسة ليلية.

وقد أحداث هذا الوضع انقساما داخل قوات بلدوين، حيث أتهم الجنود الفقراء " المرتبة الثانية " بلدوين وكبار الأمراء بأنهم سبب هذه المجزرة لرفضهم تقديم المساعدة الغذائية لجند تانكرد(٣). واستطاع بلدوين تهدئة الثوار محتجا بالتزامه بالاتفاق المعقود مع السكان، والذي يقضي بعدم دخول احد إلى المدينة الإ بوصول الدوق جودفري(٤). وقد بقي بلدوين وجنوده في مدينة طرسوس إلى حين وصول أسطول بحري يضم قوة صليبية جديدة بقيادة غونمير Guinemer(٥) من مقاطعة بولونيا التابعة لوالد بلدوين فقرر وسيده مغادرة المدينة وإكمال رحلتهم بعد أن تركوا حامية فيها(٦)، وقد توجه بلدوين برجاله نحو المصيصة، و اقام في الحقول المجاورة

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٧

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٨

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٩

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٦٠

(٥) غونمير Guinemer : تاجر من بولون كان يرسي باسطوله قرب ساحل الإسكندرية، استعان به الصليبيون لنجدتهم في انطاكية. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٦١

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٢٦٠-٢٦١

http://www.al-maktabeh.com

لها من الخارج، وقد بادر تانكرد وقواته بمهاجمة بلدوين خوفا من أن يكرر ما كان قد فعله سابقا في طرسوس. الإ أن تفوق قوات بلدوين من حيث العدد والعدة أجبر قوات تانكرد على الانسحاب إلى داخل المدينة، وأثناء هروبهم غرق عدد كبير منهم في النهر خارج أسوار المدينة. وفي اليوم التالي انسحب بلدوين عند حصار المدينة نزولا عند طلب جنده[١]. وتفوقت قوات تانكرد عددا وعدة عندما انضمت والمهم أن هذا التفوق قادم من انضمام قوات غونمير اليه متخلية عن بلدوين - الذي توجه إلى مرعش - دون توضيح سبب تخليهم، وقد استطاع تانكرد بهذه القوة المتنامية أن يستولي على كامل كليكية بهجوم عنيف، وأحرقها عن بكرة أبيها، وقتل كل من كان فيها، وكان آخر موقع توجب عليه اقتحامه هوالإسكندرونة. وبالفعل استولى عليها ايضا على الرغم من مقاومتها اليائسة، وبذلك أصبحت المنطقة بأسرها تحت سيطرته[٢].

اثناء انشغال بلدوين وتانكريد بالصراع على طرسوس، ومسير قوات بوهيمند نحوها، انحرفت مجموعة[٣] من جيش بوهيمند، واستولت بالقوة على مدينة اذنة(أضنة) بعد اشتباك مع الحامية السلجوقية[٤]. وقد فاجأ هذا الحدث تانكرد الذي كان قد غادر طرسوس متجها نحو اذنة للاستيلاء عليها والتعويض عن خسارته في طرسوس، اوعلى أقل تقدير الحصول على على المستلزمات الغذائية اليومية، وبما أن اذنة تتمتع بخصوبة عالية فقد تمكن غولف أن يوفر لتانكرد كل ما هوضروري، وبذلك تجنب الدخول في صراع بين الطرفين[٥].

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٦١

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٦١

(٣) لم يحدد وليم الصوري قوام هذه المجموعة واكتفى بالإشارة إلى أنها حشد كبير من الناس. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٦

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٦

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

و اقام تانكرد لمدة يوم واحد فقط في أذنة ليغادر مع الفجر متجها نحوالمصيصة، دون أن يعترض مسيره إلى المصيصة أحد سواء من القوات السلجوقية أم من الأمراء الصليبيين. وعندما وصل وجد نفسه أمام مدينة تتميز بموقعها المنيع وحقولها الخصبة[١]. وقد فرض تانكرد حصاره عليها، وتمكن بعد بضعة ايام من المناوشات من القضاء على حاميتها السلجوقية، ولم يسلم السكان المسيحيون[٢]، وقد عانى تانكرد وجنده من خطر المجاعة بسبب احتكار كل أمير صليبي جزءا من أراضى الأناضول، وتعاملهم معها على أنها حق لهم، إلا أن ميزات المصيصة انقذتهم من هذا الخطر[٣].

يلاحظ أن منطقة الأناضول وكليكية منطقة اكتظاظ مسيحي، فلم يكن هناك-طوال فترة الدراسة -، أي ذكر لوجود إسلامي يتعدى أفراد الحاميات السلجوقية، وذلك في المنطقة من نيقية إلى طرسوس، وأما المنطقة من طرسوس إلى أذنة، فكان المسلمون الموجودون فيها هم ايضا أفراد الحاميات السلجوقية، ، بالاضافة إلى قلة من المسلمين (وهم بقايا المثاغرين) الذين لا نجدهم إلا في المدن. أما القرى فهي بالكامل مسيحية أرمينية. وأغلبية الأرمن أرثوذكس بحكم القرب الجغرافي من الإمبراطورية البيزنطية[٤]، وقد كان لهذا الولاء الديني دور كبير في مسارعة الأرمن إلى تقديم خدماتهم للصليبيين[٥] - وخاصة في الفترة الأولى من تقدمهم - فرحبوا بالصليبيين، ووفروا لهم ما استطاعوا تقديمه من مواد غذائية، كما لم يدخروا جهدا في محاولة استغلال حاجات الصليبيين والمتاجرة بها كلما سنحت لهم الفرصة[٦]. ولذلك لا تشير الروايات إلى تعرض الريف المحيط بنيقية إلى اعتداءات من قبل الصليبيين طول فترة الحصار - إضافة إلى أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين قد أمن لهم

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٧

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٧

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٦

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ بورشارد، وصف، ١٨٩؛ أبوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٨.

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٦

(٦) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p.٤٦

http://www.al-maktabeh.com

احتياجاتهم من المؤن قبل وصولهم إلى نيقية[١] - أما في داخل نيقية فلا تتعرض الروايات إلى الأرمن في داخلها نهائيا. وعلى الأرجح فان الأرمن داخل المدينة عملوا إلى جانب الحامية السلجوقي[٢]- سواء بالوعد أم بالوعيد - ويمكن استنتاج ذلك من خلال التعرف على نسبة الحامية السلجوقية إلى السكان - التي كانت لصالح الأرمن - ومقارنتها بالأعمال التي بذلت داخل المدينة مدة الحصار مثل عمليات نقل البضائع والمؤن إلى داخل المدينة عبر بحيرة أسكانيوس، وأعمال الترميم والصيانة لاسوار المدينة، وغير ذلك من أعمال يمارسها عادة العامة الذين يعملون في الصناعات والتجارة والزراعة والمهن المختلفة، ويمثلهم هنا المسيحيون الأرمن. وقد تغير الموقف مع الوصول إلى طرسوس التي استسلم سكأنها المسيحيون من " الأرمن والإغريق " وهي قضية تستحق الوقوف قليلا، فسكان طرسوس - وهم فلاحون مسيحيون استسلموا " بالوعد والوعيد "[٣]، أي أنهم لم يرحبوا بالسلطة الصليبية، ومع أنه لا توجد إشارات إلى مقاومة مسلحة أرمينية، إلا أنهم امتنعوا داخل الأسوار واستسلموا بشروط تدل على خوفهم وعدم اطمئنأنهم للصليبيين، وقد واصل تانكرد الحصار لعدة ايام حتى رضخ السكان واعلنوا قبولهم إجراء الترتيب التالي وهو: وجوب حمل رايته إلى داخل المدينة ووضعها على واحد من أعلى الأبراج، إشارة إلى أنهم عقدوا العزم على الاستسلام. واشترطوا عليه، من جهة أخرى، أن يحميهم حتى ساعة وصول بوهيمند مع الجيش الرئيسي، وألا يكرههم في غضون ذلك على الانتقال من منازلهم رغما عن إرادتهم، اوالتخلي عن ممتلكاتهم، وتعهدوا وفقا لهذه الشروط بتسليم المدينة بهدوء إلى بوهيمند عند وصوله، وبدت هذه الترتيبات جيدة لتانكرد فأعلن عن قبولها[٤]. لهذا النص أهمية كبيرة، فهويشير إلى تأزم مبكر في العلاقات الصليبية - الأرمينية، لا تذكرها الكتب التاريخية ويمكن إجمالها فيما يلي:

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥; Hill, Raymond IV, p. ٧٦

(٢) وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الأرمن كانوا عنصر بناء في مجتمعاتهم. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور(١٣٩٤هـ/١٩٧٤)، المجتمع الإسلامي١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، مؤتمر بلادالشام (ع ١٢)، ص٢٣٧، وسيشار اليه لاحقاً بـ سعيد عاشور، المجتمع الاسلامي، وسمير عبده، المسيحيون السوريون، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ١٩٨١م، ص٨٩، وسيشار اليه لاحقاً بـ سمير عبده، المسيحيون السوريون إلى أن الأرمن كانوا عنصر بناء في مجتمعاتهم.

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٤

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

١-من الثابت تاريخيا أن طرسوس شأنها شان كل منطقة الأناضول سكأنها من المسيحيين الأرمن والإغريق - لا وجود للسريان فيها - وهم أهل المدن والريف[1]، والمسلمون الذين لا يتعدون كونهم حاميات عسكرية يسيطرون على الحصون والقلاع. وبناء على ذلك فان طرفي المعاهدة سالفة الذكر هم مسيحيون صليبيون ومسيحيون أرمن، ولكن هذه اول مرة - وقد تكون الأخيرة - التي يقاوم فيها الأرمن السيطرة الصليبية، وهم الذين كانوا سابقا عونا وسندا للتوسع الصليبي، فالتغير في الموقف والتعامل دليل على تغير نظرة الأرمن للصليبين الذين كانوا يعتبرونهم مخلّصين لهم من الحكم الإسلامي، وحليفا قويا للأرثوذكسية التي ينضوي تحت رايتها الأرمن في ظل الإمبراطورية البيزنطية. ومما يؤكد سوء معاملة الصليبين للأرمن قضاء الصليبين على المحصول الزراعي وتخريب الريف، وقد بدا الأرمن يشعرون بان الصليبين يهددون كيأنهم، وأنهم لا يعتبرونهم مسيحيين أشقاء لهم في الدين كما نظروا هم إليهم. ولذلك ـ أشترط الأرمن أمرين أساسيين هما ألا يجبروا على الانتقال من منازلهم اويجبروا على التخلي عن ممتلكاتهم، فقد توقعوا أن يجبرهم الصليبيون على هذين الأمرين بالذات لان هناك تجربة سابقة، وتوقعوا ذلك من تانكرد، ولم يتوقعوه من بوهيمند لان تانكرد صاحب السابقة في ذلك. ولم يلتزم بلدوين ببنود المعاهدة التي عقدها مع سكان طرسوس المسيحيين على الرغم من أن المسيحيين لم يبدوا أي مقاومة تجاه قواته بل أنهم عندما رأؤا عجز قوات تانكرد عن مقاومته فتحوا أبواب المدينة وسلموه برجين من أبراج المدينة التي كانت تحت سيطرتهم، وكان الثمن الذي دفعوه مضاعفا، فعلى الصعيد الصليبي لم يقدر الصليبيون لهم ذلك، بل تم نهب المدينة وطرد سكأنها[2]، ومن جانب آخر فقد اعتبر السلاجقة المسيحيين الأرمن متحالفين مع الصليبين، وأنهم سلموا المدينة طوعا واختيارا لبلدوين ورجاله[3]، وهكذا فقد ارمن طرسوس الكثير، فقدوا أعدادا كبيرة منهم وممتلكاتهم وأراضيهم، وفقدوا الأمان والاستقرار، فكل من طرفي الصراع الصليبي السلجوقي يعتبر الأرمن خونة وحلفاء للطرف الآخر، وفي ظل هذا الوضع لم يكن

(١) انظر:

FR.Buhl,"Tarsus", E.I.٢, vol. i, p. ٦٧٩

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٥٧

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٧

http://www.al-maktabeh.com

أمام من تبقى من أرمن طرسوس إلا الهجرة[١]. وما حدث هنا يمكن اسقاطه على جميع مدن كليكية الأخرى: المصيصة واذنة والاسكندرونة..

التوسع الصليبي في المنطقة الشمالية لبلاد الشام:(١٣ذي القعدة ٤٩٠هـ/ ٢٢ تشرين الأول ١٠٩٧م -٥ ربيع الثاني ٤٩٢ هـ / اوائل أذار ١٠٩٩م):-

"وفي هذه السنة(٤٩٠هـ /١٠٩٧م)، كان مبدا تواصل الأخبار بظهور عساكر الإفرنج من بحر القسطنطينية في عالم لا يحصى عدده كثرة وتتابعت الأنباء بذلك، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها.. "[٢] فمع حلول شهر ذي القعدة ٤٩٠هـ/ تشرين الأول ١٠٩٧م، وبعد سبعة اشهر مضنية قضوها يعبرون الأناضول وكليكية أصبح الصليبيون على مشارف الشام،، تعلّموا منها أن يبتعدوا عن المناطق الداخلية التي تجعلهم في دائرة مغلقة يحيط بها الاعداء المسلمون والأهم بيئة مناخية وتضاريسية غريبة عنهم، لذا حافظوا طوال فترة وجودهم في بلاد الشام التي دامت قرابة المائتي عام على البقاء مع امتداد الخط الساحلي الشامي الممتد من أنطاكية شمالا حتى غزة جنوبا مطلة على البحر الأبيض المتوسط، اوما كان يعرف باسم " بحر الروم، وبحر الشام". ووصلت اولى القوات الصليبية إلى أنطاكية بقيادة روبرت كونت الفلاندرز قادمين من مرعش في منتصف شعبان ٤٩٠هـ/ ٢٧ تموز ١٠٩٧م،، وخيمت في منطقة واسعة خضراء[٣] أشار إليها إبن القلانسي بالبلاّنة[٤]، التي استسلم سكأنها الأرمن بسهولة[٥]، فالمساعدة الأرمنية في البلانة نابعة من الخوف من قمع الحشود الصليبية الجائعة[٦]، وربما

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٥٧

(٢) وهنا يبدا التأريخ الإسلامي للحروب الصليبية مع ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨.

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٧٠

(٤) البلانة :- لم أعثر لها على تعريف في المصادر المعاصرة أو المعاجم الجغرافية العربية، وعلى الأرجح هي التي وردت في المعاجم الجغرافية الحديثة بالاسم نفسه " منطقة واقعة ضمن سهول حلب الشرقية، واقعة في سهل متموج يخترقها مسيل مائي يرفد فيما بعد واديا رئيسيا متجها مع انحدار نحوالشمال الشرقي لينتهي في نهر الفرات". المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٢، ص ٣٥٦.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب،ج١، ص٣٤٦. انظر:

William of Tyre A History of Deeds, p. ٢٧١

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٧١

مكتبة المهتدين الإسلامية

لمعرفتهم بعقوبة مقاومة الصليبيين فقد حاولوا الإسراع بالتخلص منهم وإبعادهم إلى أرتاح[1] بحجة أنها أكثر خصبا[2]، وقبل وصول الصليبيين إلى أرتاح قاموا بالإغارة في ٢ شوال ٤٩٠هـ/ ١٢ ايلول ١٠٩٧م على بغراس[3]، فقتل الصليبيون "من كان فيها، وهرب من هرب وفعل أهل أرتاح مثل ذلك"[4]، ويشير إبن القلانسي في رواية مفردة[5] إلى أن الصليبيين قد أغاروا على البارة[6]. ولا تشير المصادر العربية اوالصليبية إلى أن روبرت كونت الفلاندرز قد سعى لإنشاء إمارة خاصة به في الريف الإنطاكي، وإنما أقتصر على الإغارة المناطق الريفية لغايات السلب والنهب وتوفير المؤن الأساسية لقواته. وما أن وصلت أخبار دخول الصليبيين أرتاح إلى القوة الإسلامية المتجهة لإنقاذ أنطاكية بقيادة دقاق صاحب دمشق، وكربوغا صاحب الموصل، وجناح الدولة بن ملاعب صاحب

---

(١) أرتاح: تصفه المصادر المعاصرة للاحاث بأنه حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب، موقعها إلى الشمال الشرقي من حصن حارم شرق بحيرة العمق. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٤٠؛ وانظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦

وانظر أيضاً عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية، ص٦٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩. انظر:

William of Tyre A History of Deeds, p. ٢٧١

(٣) بغراس: تكتفي مصادر الدراسة بذكرها دون وصفها أو تحديد موقعها، وهي اليوم تبعد عن أنطاكية ٣٨كم، باتجاه الشمال، وعن الأسكندرونة ٣٢كم، باتجاه الجنوب الشرقي، وكانت القرية مفتاح الطريق بين أنطاكية والأسكندرونة وكيليكيا. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٦٧؛ وانظر أيضاً المعجم الجغرافي، مج٢، ص ٣٤٠. انظر:

R. Harmann, "Baghras", E. I.٢ ,vol. i, p. ٥٧

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩. ولا تذكر المصادر الصليبية البارة في هذه المرحلة. انظر: توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٣٥. انظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٦٣

(٦) البارة: تصفها مصادر الحملة الصليبية الأولى بانها اول مدينة اسلامية بعد انطاكية عامرة بالسكان تحيطها القرى الخصبة وهي حاليا قرية تقع في أرض وعرة من نواحي حلب على طرفي وادي البالوع وسط جبل الزاوية إلى الجنوب الغربي من أنطاكية ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٠؛ وانظر أيضاً المعجم الجغرافي، مج٢، ص ٢١٣. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٦٣-١٦٤

http://www.al-maktabeh.com

حمص(ت ٤٩٩ هـ /١١٠٦م)[١]، وطغتكين أتابك دمشق فسارعوا إلى محاصرة قوات روبرت كونت الفلاندرز في أرتاح دون أن يتمكنوا من اقتحام المدينة، إلى أن وصلت الأنباء بقدوم القوة الصليبية الرئيسية بقيادة بوهيمند، لإنجاد قوات روبرت كونت الفلاندرز، فتراجعت القوات الإسلامية عن أرتاح، وسارعت لأنطاكية - خوفا من أن تتوجه قوات بوهيمند نحوها - وقد بلغ مجموع القوة الصليبية التي تجمعت بالقرب من أرتاح متوجهة نحو أنطاكية قرابة مائة ألف مقاتل[٢]، عبروا الجسر الذي يفصل أنطاكية عن أرتاح فوق نهر العاصي، وكانت تتولى حمايته حامية سلجوقية صغيرة تمكن الصليبيون من القضاء عليها بسهولة، وفي ١٣ذي القعدة ٤٩٠هـ- ٢٢ تشرين الاول١٠٩٧م، أصبح الصليبيون وأنطاكية وجها لوجه ويشير ابن العديم إلى أن اهالي القلاع و الحصون المحيطة بانطاكية سهلوا تقدم الصليبيين " واستدعوا المدد من الفرنج، وهذا كله لقبح سيرة ياغي سيان وظلمه في بلاده"[٣].

استعدادات ياغي سيان للمواجهة المرتقبة: أصبح ياغي سيان على علم بان الصليبين" الفرنجة " متجهون إلى أنطاكية بهدف احتلالها واتخاذها نقطة للسير نحوالجنوب[٤]. ولتأمين حماية المدينة اتخذ ياغي سيان، مجموعة من الإجراءات تمثلت بما يلي: -

التضييق على مسيحيي أنطاكية، وخاصة أن معظم سكان المدينة مسيحيون من(الأرمن، اليونانيين، والسريان)، ويشكل الأرمن النسبة الأكبر بينهم[٥]، وهم أرثوذكس موالون للكنيسة البيزنطية[٦]، وكان العداء التاريخي واضحا

---

(١) جناح الدولة خلف بن ملاعب(ت٤٩٩هـ/١١٠٦م) عينه صاحب حلب شرف الدولة مسلم العقيلي واليا على حمص في عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م. ليكون بمثابة حاجز بينه وبين تاج الدولة تتش السلجوقي، وبقي حاكما على حمص حتى إغتاله الباطنية في ٤٩٩هـ/١١٠٦م. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣١٨-٣١٩، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٢٢.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٧١

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٦؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٢٧١-٢٧٢

(٤) سوف يلاحظ المتتبع أن الصليبيين بعد استيلائهم على أنطاكية وتوجههم جنوبا نحوبيت المقدس لم يتخذوا من أي مدينة أخرى هدفا لهم، وبعد استيلائهم على بيت المقدس عادوا باتجاه معاكس لإحتلال المدن الشامية التي عبروها سابقا.

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٨٠

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ الحاج بورشارد، وصف، ص ١٧٣. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٨٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

بين الأرمن واليونانيين من جهة والسريان من جهة أخرى، وقد تركزت إجراءات ياغي سيان، ضد الأرمن ولا يمكن إرجاع ذلك – في الأغلب – إلى خشيته من الولاء الديني الأرمني للكنيسة البيزنطي[1] وإنما إلى خشيته أن يكرر أرمن أنطاكية ما فعله أرمن الأناضول من تسليم المدن للصليبيين وتقديم المساعدات لهم. فعمل ياغي سيان على إخراج الأرمن(دون نسائهم وأطفالهم)، وطرد زعمائهم والتضييق عليهم[2]. ولم يراع ياغي سيان أن الريف الإنطاكي هوايضا أرمني، وأنه بهذه الإجراءات قد ولدّ لديهم حقدا يدفعهم إلى مساندة الصليبيين[3].

٢-التماس الحلفاء:-

أخذ ياغي سيان يرسل مندوبيه إلى الحكّام المسلمين المحيطين به طالبا منهم مساعدته في مقاومة الخطر الصليبي الزاحف نحوه " وسيَّر ولده إلى دمشق إلى الملك دُقاق، وإلى جناح الدولة بحمص، وإلى سائر الأطراف بالإستصراخ والإستنجاد"[4]. وسارع إلى تلبية ندائه دُقاق بن تُتش صاحب دمشق، وكربوغا أمير الموصل، وتقاعس رضوان بن تتش صاحب حلبعن تقديم المساعدة[5].

٣-الإستعداد للحصار:-

---

(١) ويؤكد امين معلوف، الحروب الصليبية، ط١، (ترجمة عفيف دمشقية) الفارابي- دمشق، ١٩٨٩م، ص٤١، وسيشار اليه لاحقاً بـ امين معلوف، الحروب الصليبية، دون أن يحدد مصدره أن ياغي سيان كان متأكدا بان حصار أنطاكية كان محاولة من السلطات البيزنطية لاستعادتها بتواطؤ من السكان المحليين.

(٢) يشير عدد من الباحثين إلى أنه لا يلاحظ طوال فترة الصراع الإسلامي- المسيحي والذي يقصد به صراع الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية في بلاد الشام التي استمرت لأكثر من خمسة قرون أن ضيّق المسلمون على الأرمن خاصة أو المسيحيين بشكل عام لمجرد كونهم مسيحيين. ولاتشير المراجع الأجنبية التي اشارت إلى عكس ذلك إلى مصادر رواياتها، ومثال ذلك انتوني ويست الذي اشار إلى السلاجقة بأنهم شعوب هالها رؤية النصارى يعيشون بأمان بين المسلمين، فطردوا القسس والرهبان من القدس وحرقوا أو خربوا الكنائس ولم يسمح الاّ للقليل من الحجاج النصارى بزيارة المدينة المقدسة . سميرعبده، المسيحيون السوريون، ص٥٢؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص٣٤. ويست، الحروب، ص٤٤

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٦. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١١٠; William of Tyre, History of Deeds, p. ٢٨٠

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٢٧٩

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٤٠٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٢.

http://www.al-maktabeh.com

هيا ياغي سيان نفسه والمدينة إلى حصار طويل، متخذا خطة الدفاع لا الهجوم كوسيلة لمقاومة التوسع الصليبي، فشرع في جمع قواته داخل المدينـة، وتحصـين أبراجهـا وأسـوارها[1]، وعمـل عـلى نهـب وتـدمير القـرى المجـاورة لأنطاكية[2]، لتوفير ما يمكن من المؤن للحامية السلجوقية فترة طويلة من الزمن، وحرمان الصـليبين قـدر الإمكـان من الإستفادة منها.

حصار أنطاكية: ١٣ ذوالقعدة ٤٩٠هـ/ ٢٢ تشرين الأول ١٠٩٧م - ١رجب ٤٩١ هـ / ٤ حزيران ١٠٩٨م:-

على الرغم من كل الإحتياطات التي اتخذها ياغي سيان لتوفير المؤن والمواد الغذائية، إلا أن إبـن القلانسي- يشـير إلى أن المدينة بدأت تعاني من آثار الحصار حتى قبل تجمع القوة الصـليبية ١٣ ذي القعـدة ٤٩٠هــ-٢٢ تشرـين الأول ١٠٩٧م، " غلا سعر الزيت والملح، وغير ذلك، وعُدِمَ في أنطاكية "[3]، ويمكن القول أن هذا الوضع نـتج عـن الإجراءات الاحتياطية وليس عن نقص فعلي في مخزون المدينة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروايات العربية تغفل فترة حصار أنطاكية التي بلغت تسعة أشهر فنرى إبن القلانسي يقفز من وصول الصـليبيين إلى أنطاكيـة في ١٣ذي القعدة -٤٩٠هـ /٢٢، تشرين اول ١٠٩٧م. إلى١رجب ٤٩١هـ/ ٤ حزيران ١٠٩٨م، وكيفية سقوط المدينة عـلى يـد أحد الزرّادين الأرمن[4]، وعلى الرغم من أن رواية إبن العديم اوسع قلـيلا وتحمـل تفاصـيل وأمـاكن أكـثر إلا أن هذا التوسع يرتبط بغارات الصليبيين على أعمال حلب[5]. وقد ركز الجيش الصليبي حصاره لمدينة أنطاكية طـوال مدة الحصار على الجهة الشمالية والشمالية الشرقية للمدينة[6]، فكانت قوات ريموند دي سان جيل على ضفاف

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٢٧٩

(٢)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٢٧٩

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٩.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٨-٢٢٠؛ ابـن الجـوزي، المنـتظم، ج٨، ص٣٩، ٤٣؛ ابـن الأثـير، الكامـل، ج٨، ص ٣٩٨-٤٠٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩١هـ-٥٠٠هـ)، ص ١١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٢.

(٥) يشير ابن العديم إلى أعمال حلب باسم أرض المسلمين، وكذلك ترد في مؤلفات توديبود، تاريخ الرحلة وانظر أيضاً مؤلفات:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition; William of Tyre, A History of Deeds

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٥; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٥٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

نهر العاصي من الجهة المطلة على الأسكندرونة وميناء السويدية شمالا[١]. بينما تركزت قوات بوهيمند، وتنكريد على جبل السماق (الليون) شرقا، وكانت قوات بوهيمند الأكثر قربا لبوابة المدينة[٢]. وبذلك تكون المنطقة الغربية - انحدار مجرى نهر العاصي - والمنطقة الجنوبية وهي امتداد جبل اللكام في الجزء المعروف بجبل بهراء وتنوخ(النصيرية) منطقة خالية من القوة الصليبية بسبب شدة انحدارها وصعوبة مسالكها[٣]. وقد اقترحت مجموعة من القادة الصليبيين وعلى رأسهم بوهيمند عندما شاهدوا مناعة وحصانة المدينة - تأجيل الحصار إلى نهاية الشتاء، وخاصة أن الصيف قد أرهقهم، ولكن لم يؤخذ برايهم[٤]، وقد بدا الصليبيون حصارهم لأنطاكية بالقضاء على الحامية السلجوقية الصغيرة على جسر نهر العاصي واستخدموا قوارب الحامية في العبور إلى المنطقة السهلية وشن الهجمات على المدينة[٥]، وهنا أقامت قوات ريموند دي سان جيل وكانت تقع على السهل[٦]

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٨٦; Gesta Version, p.١٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٨٢

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥. وانظر أيضا:

Gesta Version, p.١٠٨; William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٨٠

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥.

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٥; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٥; Gesta Version, p. ١٠٨; William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٨٢

ويرجح انتوني بردج، تاريخ الحروب، ص٨٣، أن عدد الصليبين المقاتل على ابواب أنطاكية بلغ حوالي ١٠٠ الف مقاتل.

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥.

(٦) السهل : تصفه مصادر الحملة الأولى بأنه سهل يمتد مسيرة يوم ونصف اليوم يحده مستنقع وفي شرقه نهروفي الجنوب الجبال وفي الغرب البحر المتوسط ؛ وهو اليوم جزء من امتداد سهل العمق الواقع بين جبال حلب وحارم شرقا، وجبال اللكام غربا، وبين اللجة ووادي نهر الأسود شمالا وهذبة القصير جنوبا، وتربتة لحقية خصبة، وترفده مجموعة من الأنهار أهمها نهر الأسود وروافده من الشمال، ونهر يغرا وعفرين وحارم من الشرق، ونهر العاصي من الجنوب وتقع على السهل مجموعة من القلاع أهمها قلعة أنطاكية - بغراس، دربساك، الريحانية، عمّ، حارم. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٥

وانظر أيضا: المعجم الجغرافي، ج٤، ص ٣٤٢-٣٤٣.

http://www.al-maktabeh.com

الفاصل بين المعسكرين اشتباكات يومية[١]. أما على صعيد المناوشات مع الحامية السلجوقية لأنطاكية فتشير الروايات إلى أن المدينة، ومنذ حصار الصليبيين لها في ١٣ ذي القعدة ٤٩٠هـ/٢٢ تشرين الأول ١٠٩٧ م[٢]، من جهاتها الثلاث[٣]، لمدة خمسة عشر يوما، أي من ١٣ ذي القعدة ٤٩٠هـ/ ٢٢ تشرين الأول ١٠٩٧م، إلى٢٧ذي القعدة ٤٩٠هـ/ ٥ تشرين الثاني ١٠٩٧م[٤]، لم يحاولوا الاشتباك مع حامية المدينة، وانشغلوا بتأمين متطلبات حياتهم اليومية[٥]، فقد أخذ الصليبيون باستغلال هذه المدة في البحث عن الغذاء[٦]، لقد كانت هذه الحياة، فرصة للتعويض عن الجوع الذي عانوا منه سابقا[٧]. وتفسر الرواية الصليبية عدم حدوث هجوم من قبل الحامية السلجوقية بخوف السلاجقة منهم[٨]، وهوما تناقضه الرواية الصليبية نفسها، التي تشير إلى أن الحامية السلجوقية داخل المدينة كانت مطمئنة إلى حصانة المدينة، وكانت اولى الهجمات الإسلامية على الصليبيين من

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٤٨; Gesta Version, p. ١٠٩

(٢) يشير توديبود، إلى أن حصار المدينة قد بدا في ٢١ تشرين الاول. انظر: توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٣٥

(٣) نلاحظ هنا اختلافا في نظرة الكتّاب الصليبيين من التوزيع المكاني للقوات الصليبية، فالكتّاب الموالين(أمثال توديبود والمؤرخ المجهول) لبوهيمند -أكبر المستفيدين في نهاية الحصار- يشير إلى أن التوزيع كان مقصودا، وأنه يدل على ذكاء بوهيمند، ويرى أمثال(ريموند أجيل) الموالي لريموند دي سان جيل أحد أكبر الخاسرين في نهاية الحصار أن التوزيع لا علاقة له بذكاء القادة والذين كان عشوائيا. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦

وروايات: Fulcher of Charter, A History of The Expedition، حول أنطاكية ضئيلة ومختصرة لان بلدوين وهوموضوع كتابة تاريخ الحملة لم يكن مشاركا في حصار أنطاكية.

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٩

(٥) انظر:

Gesta Version, pp. ١٠٨-١٠٩

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥.

(٧) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٨٦; Gesta Version, p. ١٠٩

(٨) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

حصن حارم[1]، وقام الصليبيون بمهاجمة الحصن في حوالي٦ ذي الحجة ٤٩٠هـ/ ١٤تشرين الثاني١٠٩٧م"[2]. ويشار إلى أن ياغي سيان، استغل تلك المدة في جمع المعلومات عن القوات الصليبية، وهنا يظهر الدور المزدوج الذي لعبه مسيحيو أنطاكية(الأرمن والسريان)، مستغلين كونهم مزارعين، وحقولهم خارج أنطاكية، فكانوا يخرجون يوميا للإشراف على مزارعهم، وهنا وبحجة توفير الغذاء للصليبيين، كانوا يطلعون على أخبار القوة الصليبية وينقلون هذه المعلومات لياغي سيان، الذي كان يحتفظ بزوجاتهم وأبنائهم رهائن دخل المدينة[3]، وقد أشار ابن العديم إلى هذا الوضع بقوله: " وجعل ياغي سيان الناس على البعد والقرب، وكان حسن التدبير في سياسة العسكر"[4]. وقد استغل ياغي سيان هذه المعلومات خير استغلال، فبعد أن كون فكرة واضحة عن القوات الصليبية وحجمها ومناطق ضعفها، ركز في انطلاق هجومه على الجهة الغربية لنهر العاصي، وسلسلة جبال بهراء وتنوخ من جهة الجنوب[5]، وهي جهات يصعب اختراقها من قبل الصليبيين. وقد بدا هذا الهجوم أثناء انشغال بوهيمند يرافقه روبرت كونت الفلاندرز بالقتال مع عسكر حلب في حارم، فقد قامت الحامية الأنطاكية بإطلاق

---

(١) حصن حارم : حصن حصين تجاه أنطاكية، فيها أشجار كثيرة ومياه وفيرة، تصفه مصادر الحملة بمناعته لوقوعه على جرف الجبل، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٨; Hill, Raymond IV, p. ٨٦

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥ وحارم منطقة تقع في حوض نهر العاصي الأدنى، وتقع طبيعيا بين جبل سمعان في الشمال الشرقي، وسهل الرّوج وأدلب في الجنوب، ووادي العاصي وسهل العمق في الغرب والشمال، يعود بناء قلعتها إلى القرن العاشر، وقد احتلها البيزنطيون في ٣٤٨هـ/٩٥٩م واعاد الصليبيون بناوه بعد احتلالهم له في ٤٩١هـ/١٠٩٨م. المعجم الجغرافي، ج٣، ص٨. انظر:

J. Schleifer, "Harim", E. I.[٢], vol.iii, p. ٢١٤

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٠٩

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٥؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٧. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٠٩

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٧.

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦

http://www.al-maktabeh.com

وابل من السهام على الفرقة المتبقية من قوات بوهيمند[1]، وعلى قوات ريموند سان جيل[2]، وتمثل هجوم السلاجقة في شن الغارات المفاجئة والخاطفة بالسلاجقةيز على استخدام الأقواس والرمي بالسهام. - وهي المهارة التي كان يجهلها الصليبيون، حتى أنهم اعتبروا مهارة السلاجقة في استخدام القوس ميزتهم الوحيدة ـ[3]، الأمر الذي كان له أن يسأهم بشكل فاعل في إضعاف وإرباك الجبهة الصليبية، ولذلك قرر الصليبيون بناء حصن يقيهم هجمات السلاجقة[4]، وتم اختيار موقع الحصن على قمة الجبل الذي يعلو معسكر بوهيمند، في السلسلة المعروفة بجبل السماق، وتناوب قادة الجيش الصليبي على حراسته[5] وهوالأمر الذي أدى إلى ضعف فعالية الحصار بسبب التناقص الكبير الذي حدث في إعداد الجيش الصليبي، وتخلي من تبقى حول أسوار المدينة عن الحصار مقابل البحث عن المؤن، مما أدى إلى تشتتهم سواء بشكل منظم أم غير منظم، جماعي أم فردي في مناطق يجهلونها[6]. وقد استغلت الحامية السلجوقية في أنطاكية غياب بوهيمند، فسارعت على الفور يوم الثلاثاء ثاني يوم مغادرتهم المدينة ٢٧محرم ٤٩١هـ/٣كانون الثاني ١٠٩٨م، بمهاجمة من بقي من الصليبيين في المعسكر، وألحقت بهم خسائر فادحة[7]، وهذا يدل على أن الجواسيس المسيحيين كانوا نشطين ودقيقين في إعطاء

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١١٠

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٦

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٤٥; Hill, Raymond IV, p. ٨٧

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١١٠

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١١٠

(٦)، توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٧٠، وانظر أيضا:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٥; Gesta Version, p.١١٣; Hill, Raymond IV, p. ١٠٨; William of Tyre, A History of Deeds, p.٢٨٩

(٧) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٨. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

المعلومات، فلولم تكن القوة السلجوقية التي خرجت من المدينة لتهاجم المعسكر الصليبي - وخاصة جانب قوات ريموند دي سان جيل - لاول مرة بمثل هذا الحجم على علم بعدد القوة المغادرة وباتجاهها لما تمكنت من مهاجمة المعسكر الصليبي[١].

ومع نهاية محرم /٤٩١هـ/ نهاية كانون الاول وبداية كانون الثاني ١٠٩٧م، بدأ الصليبيون يعانون الظروف البيئية والطبيعية، التي لا يجيدون التصرف إزاءها وتمثلت بـ:

١: برد الشتاء القارص[٢]، وارتفاع منسوب الأمطار مما أدى إلى فيضان الأنهار[٣].

٢: الزلازل: حدث في٢٤محرم ٤٩١هـ/ الأول من كانون الثاني ١٠٩٨ م، زلزلال تدميري أعقبه عدة هزات متتابعة، وقد دمر أنطاكية وأهلك النفوس[٤].

٣: انتشار الجوع: إذ استهلكت القوات الصليبية في مدة تقارب الشهرين المحصول الغذائي في القرى والحقول المجاورة للمدينة ولم يعد لديهم ما يأكلونه[٥].

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٢٩٠-٢٩١

وانظر أيضا: يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي والديني، ط١، ٩مج، المطبعة العمومية - بيروت، ١٩٠٢م، مج٦ ص١٥.
وسيشار اليه لاحقاً بـ يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٨٩

وانظر أيضا: محمد أمين الطويل، تاريخ العلويين، ط٣، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٧م، ص٣٤٤، الذي يشير إلى أن هذه الامطار كانت أعظم مصيبة على الصليبيين، اذ مات منهم اناس كثيرون، وكانت الامطار لا تمهل الصليبيين حتى لدفن امواتهم.

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٧٠، وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٨; William of Tyre A History of Deeds, p. ٢٨٩; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٥

(٤) أثّر هذا الزلزال على مجموعة من المدن مثل طرسوس وحلب، وكان أكثر تدميرا في المصيصة. توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٧٠. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٩١; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥١

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٨٨

http://www.al-maktabeh.com

٤: انتشار الاوبئة، لقد سببت العوامل السابقة إنتشار الأمراض بين عناصر الجيش الصليبي وسببت حالات من الوفيات الجماعية، حتى أن الصليبيين لم يتمكنوا من دفنها لكثرتها[١].

وقد أدى كل هذا إلى ضعف فعالية الحصار بسبب التناقص الكبير الذي حدث في إعداد الجيش الصليبي، وتخلي المتبقون حول أسوار المدينة عن الحصار مقابل البحث عن المؤن مما أدى إلى تشتتهم سواء بشكل منظم أم غير منظم، جماعي أم فردي في مناطق يجهلونها[٢]. وقد أدت الظروف سابقة الذكر إلى تكون ظاهرة اجتماعية وسط الجيش الصليبي - يندر الحديث عنها - وهي تكون جماعة الطافوريين[٣]، من الصليبيين الفقراء سلاحهم الهروات والخناجر والمطارق الحجرية، يرأسهم فار نورمندي " جُرّد من رتبته وأصبح جنديا راجلا ولكنه ما لبث أن صار يعرف بالملك طافور، وأضحت تلك العصابة بمثابة الذراع الإرهابية للجيش الصليبي، حيث كانت تغير على الأرياف المجاورة طلبا للقوت، وتفعل ذلك بمنتهى الوحشية والشراسة حتى أنها روعت بأفعالها هذه الصليبيين أنفسهم "[٤]. وإزاء هذا الظروف أصبح قادة الجيش الصليبي أمام ضرورتين يستنفذ توفير أي منهما طاقة الجيش كله وهما:

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٧٠. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٨; William of Tyre A History of Deeds, p. ٢٨٩; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٥

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٧٠. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٨; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٥٥; William of Tyre A History of Deeds, p. ٢٨٩

وتشير ارمسترونغ، الحرب المقدسة، ص٢١٢، إلى أن هذه العوامل الطبيعية كانت كافية لوضع حد نهائي للحملة الصليبية الأولى .

(٣) الطافوريون: اصل هذه الكلمة غير واضح فمن المؤرخين من يرجعها إلى اصل بربري بمعنى الآفاق، ومنهم من يرجعها إلى اصل عربي وهو طَفَر بمعنى وثب في ارتفاع، ومنهم من يعيدها إلى الاستعمال الشعبي بمعنى التشرد. زابوروف، الصليبيون، ص١١٤.

(٤) كارين ارمسترونج، الحرب المقدسة، ص ٢١٨؛ زابورووف، الصليبيون، ص١١٤-١١٥. وانظر أيضا:

Oldenbourg, The Crusades, p. ١١١

مكتبة المهتدين الإسلامية

١:- توفير المؤن والأغذية الصحية للجيش الذي بدا يعاني مجاعة حقيقية، التي يتطلب البحث عنها وتوفيرها الابتعاد مسافة تقارب أربعين اوخمسين ميلا[1]. في أراض يجهلونها وتعسكر فيها قوات سلجوقية بقيادة دقاق بن تتش[2].

٢:- الاستمرار في محاصرة المدينة والتضييق على حاميتها، التي كانت لا تكف عن شن الغارات الخاطفة على الصليبيين مستغلة اوضاعهم المضطربة، وخروج جماعات منهم باحثة عن الغذاء[3].

وقد قرر قادة الجيش الصليبي تقسيم الجيش الصليبي في كل جانب إلى قسمين، قسم يتولى مراقبة المدينة من الجانب المخصص له، وقسم يتولى البحث عن الطعام، وقد انتظمت فرق البحث عن الطعام والبالغ عددها ٢٠،٠٠٠ فارس و٣٠٠٠ راجل[4] تحت قيادة بوهيمند وروبرت كونت الفلاندرز وبدأت رحلة البحث عن الغذاء في ٢٦ من محرم ٤٩١هـ/ ٢ كانون الثاني ١٠٩٨م[5]، وقد ورد هذا الخبر عند إبن القلانسي مختصراً[6]، وفصلّه إبن العديم قائلا " وخرج في المحرم مند سنة إحدى وتسعين وأربعمائة نحوثلاثين ألفا من الفرنج إلى أعمال المسلمين ببلد حلب، فأفسدوا ونهبوا وقتلوا من وجدوا، وكان قد وصل الملك دقاق وأتابك ومعهما جناح الدولة ونزلوا أرض شيزر، ومعهم ابن ياغي سيان وهم سائرون لإنجاد أبيه فبلغهم خبر هذه السرية، فساروا إليه بقطعة من

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٩٠

وهنا يشير رنسيمان منفردا، إلى الدور الذي لعبته قبرص في تأمين الصليبيين في أنطاكية. انظر:

Runciman, A History, vol. i, p. ٣١٥

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٤٦. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨; Gesta Version, p.١١٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٩٠

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨; Gesta Version, p.١١٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٩٠

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧. وهم عشرون ألف فارس وراجل في رواية أخرى، انظر:

Gesta Version, p. ١١٣

وحددتهم المصادر العربية بثلاثين ألف فارس وراجل، انظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٤٦.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٤٦؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٩١

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠- ٢٢١.

http://www.al-maktabeh.com

العسكر، فلقوهم بأرض البارّة، فقتلوا منهم جماعة، وعاد الفرنج إلى الروج[1]، وعرّجوا إلى معرّة مصرِين[2]، فقتلوا من وجدوا وكسروا منبرها، وحين عادَ العسكر الدمشقي، فارقهم ابن ياغي سيان ووصل إلى حلب يستنجد بالملك رضوان، فأخذ عسكر حلب وسكمان بن ارتق(ت٥٠٤ هـ/١١١٢م)[3] ودخل بهما إلى أنطاكية فلقيهم الفرنج دون عدتهم، فأنهزم عسكر المسلمين إلى حارم وذلك في آخر صفر، وتبعهم عسكر الفرنج إلى حارم فأنهزموا إلى حلب، وغلب أهل حارم من الأرمن عليها"[4]. أما بوهيمند فان قواته لم تلاحق فلول الجيش السلجوقي، لان الهم الذي كان يشغلهم هوالبحث عن المؤن، الأمر الذي أدى إلى تبعثر القوة الصليبية من جديد[5]. وقد استغلت الحامية السلجوقية في أنطاكية غياب بوهيمند فسارعت على الفور يوم الثلاثاء ثاني يوم مغادرتهم المدينة ٢٧محرم ٤٩١هـ ٣كانون الثاني ١٠٩٨م، إلى مهاجمة من بقي من الصليبيين في المعسكر، وألحقت بهم خسائر فادحة[6]. ويعود الفضل إلى موسم الشتاء وغزارة الأمطار في إنقاذ الصليبيين، إذ سببت غزارة مياه الأمطار سرعة تدفق نهر

---

(١) الرْوج: من كور حلب المشهورة، وهي في غربيها بينها وبين المعرة إلى الجنوب من أنطاكية، لها قلعة تعرف بإسمها أصبحت مركزا للصليبيين، وحاليا المنطقة التي تحمل الاسم هي سهل الواقع إلى الشرق من نهر العاصي، وتقع فيه مجموعة من القرى اهمها حارم ومعرة النعمان. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٤٦؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٧٦. وانظر أيضا: عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية، ص٢٩٤.

(٢) معرَّة مصرِّين: تقع على خط ْ٣٦،َ٠١, شمالا وْ٣٦،َ٤٠ شرقا في طرف سهل تطل عليه من الشمال والغرب مجموعة تلال صخرية قليلة الارتفاع هضبية الشكل، تقع حارم إلى شمالها وحلب شرقها، على بعد ٤٠ كم عن معرة النعمان. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٦-٣٤٧؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٨. المعجم الجغرافي، ج٥، ص ٣٠٤. وانظر أيضا:

Mahmud Sana, I, "Ma'art Masrin", E.I.٢, vol. v, p. ٩٢٦

(٣) سكمان بن أرتق (ت ٥٠٤هـ/١١٠٢م)، قطب الدين سكمان بن أرتق صاحب ديار بكر وأرمينية، وأخلاط ميافارقين. كان ملكا عادلا مجاهدا مات على إثر مرض ألَمّ به بعد حصاره ورضوان صاحب حلب لمدينة الرها، دفن في ميافارقين. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤١٤؛ النويري، نهاية الأرب، مج١٤، ج٣٠، ص٢٠١؛ ابن تعزي بردي، النجوم، ج٥، ص١٩٧. انظر أيضا:

F. Taeschner, "Akhlat", E.I.٢, vol.i, pp. ٣٣٩-٣٤٠

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٦-٣٤٧؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٨.

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٨.

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٨. انظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٨٨; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٢٩٠-٢٩١

مكتبة المهتدين الإسلامية

العاصي" وفصل بينهم وبين السلاجقة[1]. وتشير الروايات وتتابع الأحداث إلى تراجع كبير في أعداد الصليبيين الواصلين إلى أنطاكية، وضعف عزائمهم، فقد كانت صورة الرحلة المتعبة إلى أنطاكية في أذهان العديد منهم دافعا للهرب كلما سنحت لهم الفرصة، وتمت هذه العمليات في الأغلب بواسطة التجار الأرمن، واستخدم القادة الصليبيون ممثلين ببوهيمند، وريموند دي سان جيل، أقصى العقوبات بحق كل من تمكنوا من الإمساك به[2]، ومنذ مطلع صفر٤٩١هـ/ كانون الثاني ١٠٩٨م، بلغت المجاعة ذروتها حتى أن أبرز دعاة الحملة الصليبية بطرس الناسك[3]هرب خلسة من المعسكر[4]. وسرعان ما كانت وقعة حصن حارم الثانية في٤ ربيع الأول ٤٩١هـ/ ٩ شباط ١٠٩٨[5] وتشير الروايات إلى أن الصليبيين قد عملوا على أخذ زمام المبادرة[6]، ما يشير إلى أن الصليبيين قد باتوا على ثقة بأنفسهم وبمعرفتهم الجغرافية للمنطقة، وانقسمت القوة الصليبية التي هاجمت المسلمين في٤ ربيع الأول ٤٩١هـ/٩ شباط ١٠٩٨، بالقرب من حصن حارم إلى قسمين الأول بقيادة روبرت كونت الفلاندرز الذي سرعان ما هزمه الجيش السلجوقي لينقض بعدها القسم الثاني بقيادة بوهيمند فتراجعت القوة

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٣٨. انظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٩٠

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٩٠

(٣) يظهر هنا الصراع بين مؤرخي الحملة الصليبيين إذ يسعى كل منهم إلى أن يظهر قائده بأفضل صورة فلا يشير ريموند أجيل إلى قصة هروب بطرس الناسك ووليم النجار، وهما من أبرز أفراد قوة سيده ريموند دي سان جيل بل أن يشير إلى أن الذي هدّد بالهروب والانسحاب هوبوهيمند نفسه. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٩٠

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٣٩-١٤٠. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٩٠-٩١; Gesta Version, p. ١١٤

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٤٣. انظر:

Gesta Version, p.١١٦

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٤١. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٢٩٩-٣٠٠

http://www.al-maktabeh.com

السلجوقية، وفي أثناء هروبها قامت بحرق حصن حارم ونهب ما فيه من مؤن حتى لا يتخذ الصليبيون منه نقطة(١) وقد أدرك الأرمن حرج موقفه فقاموا بمهاجمة من تبقى من الحامية السلجوقية -التي كانت قد خرجت من أرتاح(٢)-، وقتلوا أفرادها "وقذفوا الرؤوس المقطوعة إلى خارج الأسوار، وفتحوا الأبواب على مصراعيها، ودعوا بحب وإخلاص، المسيحيين الموجودين في الخارج للدخول إلى المدينة والإقامة فيها، وعلاوة على ذلك زودوا المقاتلين والخيول بكل ما كان ضروريا لهم، وذلك بالتزام حقيقي بقوانين حسن الضيافة "(٣). وتكرر هذا الأمر في حارم؛ فقد استغل الأرمن الصراع السلجوقي-الصليبي للاستقلال الذاتي ببعض المناطق(٤)-والذي تمتعوا به لفترات محدودة. ويلاحظ هنا أن الأرمن بدأوا مبكرا في محاولة استغلال الصراع الصليبي - الإسلامي، لصالح إقامة إمارات خاصة بهم في الشام كما حدث في أرتاح التي خضعت لسيطرة الأرمن، ودخلها الصليبيون ضيوفا وظلوا كذلك، وعلى الرغم من أهمية خسارة المسلمين لحصن حارم الإ أن الأهم هوان السلاجقة بداوا بتعمد تدمير الريف الإنطاكي الذي يعبرون حتى لا يستفيد منه الصليبيون، فكانوا يقومون بحرق ونهب كل المناطق التي يعبرونها، ولم يميز المسلمون بين المسيحيين(السكان المحليين) سواء كانوا أرمن أم سريانا فعلى الرغم من أن العداء بين السريان والصليبيين كان واضحا إلا أنهم تعرضوا لمهاجمة المسلمين، فقد توجه وثاب بن محمود أثناء

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٤٢-١٤٢. انظر:

Gesta Version, p. ١١٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢١٩. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٧١

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٧١

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٦. انظر:

Gesta Version, p. ١٠٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

مسيره لنجدة أنطاكية والانضمام إلى دقاق إلى مهاجمة تل منس[1]، واهلها السريان[2] فقد بلغه "أنهم كاتبوا الفرنج وأطمعوهم في الشام، وقرّر عليهم دقاق مالا أخذ بعضه ورهائن على الباقي، وسيّرهم إلى دمشق"[3]. ويلاحظ المتتبع للروايات الصليبية التي تشير إلى السريان أنها تتحدث عنهم بريبة نابعة من عدم ترحيب وثقة السريان بالصليبيين[4]، وقد استغل مسيحيوالقرى المحيطة بأنطاكية هذه الظروف للتعويض عن محصولهم الذي قضت عليه القوات الصليبية، ولعبوا دور الوسيط التجاري بين الصليبيين وفلاحي أرض المسلمين – حلب وأعمالها – مستغلين معرفتهم بالطرق والجبال، فهم أهل المنطقة وجماعات[5]، هنا يظهر دور السكان المحليين فيقوموا سواء أرمن اوسريان بتعقب عناصر الجيش الإسلامي المنهزمة[6]، ربما في محاولة منهم للتعويض عن الضرر المادي الذي لحق بهم وبأراضيهم من المنهزم بغض النظر عمن يكون ويبدوالعمل -من الرواية - منظما وجماعيا إذ بلغ مجموع الأسرى الذين حملوا إلى حلب وقتلوا فيها ما يزيد على ألف وخمسمائة أرمني، وفي شهر ربيع الأول من

---

(١) تل منسّ، لا تشير المصادر المعاصرة إلى وصفها؛ وهي اليوم قرية تقع في سهول أدلب الجنوبية في أرض متموجة تبعد حوالي ٦كم، شرق مدينة معرة النعمان، والنشاط الأساسي فيها هوالزراعة، كانت آهلة بالسكان حتى القرن العاشر الميلادي، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٨؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦. وانظر أيضا: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٢، ص ٥٦٥؛ عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية، ص١٦١.

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٨.

(٤) بورشارد، وصف، ص ١٧٣، ١٧٦؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٥٦. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٥٧

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٣٩. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ٩٠; Gesta Version, p. ١١٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٢٩٢

ويشير عوني فرسخ، الاقليات في التاريخ منذ الجاهلية وإلى اليوم، رياض الريس- لندن ١٩٩٠، ص١٣٣، وسيشار اليه لاحقا عوني فرسخ، الاقليات. إلى أن موقف السريان من الصليبيين تغير بعد أن اتضح لهم أن الصليبيين يعتبرونهم هراطقة بحيث غدا العون الذي يتلقاه الفرنجة من المسيحيين العرب والسريان محدودا للغاية وعلى اساس فردي.

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٤٢. وانظر أيضا:

Gesta Version, p.١١٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٠١

http://www.al-maktabeh.com

السنة(أي ٤٩١هـ/١-١٠٩٨م) وصل خلق من الأرمن إلى تل قباسين[١]، بناحية الوادي فقتلوا من فيه، وخرج المسلمون الذين بالوادي وجماعة من السلاجقة تبعوهم وقتلوا منهم جماعة، والتجأ الباقون إلى بعض الحصون الخربة، فأدركهم عسكر حلب فقاتلهم يومين، واخذوهم فقتلوا بعضهم، وحمل الباقي أسرى إلى حلب فقتلوا، "[٢] ولم يميز المسلمون بين المسيحيين سواء كانوا أرمن اوسريان فعلى الرغم من أن العداء بين السريان والصليبيين كان واضحا إلا أنهم تعرضوا لمهاجمة المسلمين، فقد توجه وثاب بن محمود أثناء مسيرة لنجدة أنطاكية والانضمام إلى دقاق إلى مهاجمة تل منس، وقاتلوها لأنه بلغهم أنهم كاتبوا الفرنج وأطمعوهم في الشام، وقرّر عليهم دقاق مالا أخذ بعضه ورهائن على الباقي، وسيّرهم إلى دمشق "[٣]. ويلاحظ المتتبع للروايات الصليبية التي تشير إلى السريان أنها تتحدث عنهم بريبة وشك نابعة من عدم ترحيب وثقة السريان بالصليبيين[٤] وإذا أخذنا برواية توديبود التي تشير إلى أن أهل تل منّس هم الذين سلموها للصليبيين - والمشار إليها بعد رواية ابن العديم - يمكن القول أن هذا العمل كان إما ردة فعل على تصرف قوات وثاب بن محمود اوأنه لحماية أنفسهم بعد أن لاحظوا المجازر التي يلحقها الصليبيون بأهالي الحصون والمدن القلاع التي يقتحمونها مثل البارة، ومعرة مصرين، وحارم، ومعرة النعمان.. وغيرها، كما يمكن القول أن تصرف وثاب بن محمود لا يعدو أن يكون نوعا من عمليات السلب والنهب التي تتبع تحرك الجيوش وخاصة القبلية منها، ولكنها هنا اتخذت من مسيحية السكان غطاء لممارساتها. وفي هذه الأثناء استمرت الحامية السلجوقية بشن الغارات الخاطفة على القوة

---

(١) تل قباسين: قرية في هضبة حلب الوسطى، تقع فوق هضبة قليلة الارتفاع محصورة بين واديين سيليين يلتقيان جنوب القرية لينتهيا في وادي نهر الذهب، وتحيط بها مرتفعات كلسية تفصل بينها المسيلات، منها جبل زين الدين، والضبع وقبة الشيخ، وتربتها حمراء خصبة، وكانت منطقة ملئية بالحبوب ويدل على ذلك اسمها بمعنى المخازن. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٧.

وانظرأيضاً:

المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٤، ص ٥٠٩؛ عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية، ٤٤٠.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٧

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٨.

(٤) بورشارد، وصف، ص١٧٣، ١٧٦؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٥٦. وانظر أيضا:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, pp. ١٥٢-١٥٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

الصليبية التي بقيت لحماية المدينة، واتفق الصليبيون - بعد عودة بوهيمند -[١] على بناء قلعة عند المسجد المواجه لباب الجسر[٢]. وهي المنطقة المشرفة على موقع قوات بوهيمند[٣]، وخرج ريموند دي سان جيل وبوهيمند في٢٧ربيع الأول ٤٩١هـ/ ٤ آذار ١٠٩٨م، إلى مينا السويدية لجلب مستلزمات بناء آلات الحصار من السفن الجنوية التي كانت قد رست فيه[٤]. واستغلت حامية أنطاكية السلجوقية فرصة غياب القادة الصليبيين وبادرت بشن الغارات على القادمين من السويدية، وبلغ عدد القتلى حوالي ألف فارس، إلاّ أن بوهيمند[٥] سرعان ما تمكن من الالتفاف على المسلمين وأجبرهم على التراجع إلى داخل المدينة[٦]. وبلغ عدد القتلى السلاجقة في هذا الاشتباك ما يزيد على ألف وخمسمائة قتيل منهم اثنا عشر اميراً سلجوقياً [٧]ما أعطى الصليبيين فرصة لاستكمال بناء الحصن، وقد تمثلت نقطة الضعف في هذا الحصن أن الجسر الذي يقابله تسيطر عليه حامية تركية، وباءت جميع محاولات الصليبيين بالسيطرة عليه بالفشل[٨]، وما كان للحصن أن يحقق أي نتيجة إلا بالسيطرة على هذا

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٦٤-١٦٥. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٥

(٢) عُرفت هذه القلعة باسم قلعة المنبر، وثم قلعة ريموند لانه من تولى الدفاع عنها. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٥

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٥; Gesta Version, p. ١٢٠; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٠١

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٨٧; William of Tyre, A History of Deeds; p. ٣٠٣

(٥) يذكر ريموند أجيل أن جود فري هوالذي اجبر القوة الإسلامية على التراجع. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٧

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٦٤- ١٦٥. انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ١٠٦-١٠٧

(٧) لا تشير الروايات إلى أسماء ومناصب هؤلاء الأمراء، وربما هم قادة فصائل، وتمت الإشارة إليهم على هذا النحولإعطاء أهمية للحدث.

(٨) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٦٧-١٦٨. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٩; Gesta Version, p. ١٢٢; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٠٧

http://www.al-maktabeh.com

الجسر، وقد تعهد تانكريد بحماية القلعة والاستيلاء على الجسر لكن مقابل حصوله على مبلغ من المال[١]، بلغ أربعمائة مارك فضة[٢]، وتمكن تانكريد من إنهاءسيطرة السلاجقة على الجسر، بقطع الإمدادات الخارجية عن الحامية السلجوقية[٣].

لقد بدا الصليبيون بالشعور بقوتهم وضعف الحامية السلاجقةية[٤]، وخاصة بعد أن سرت الأنباء عن التعذيب الذي ألحقه الصليبيون بالأسرى السلاجقة[٥]، وعلى الرغم من الصيغة المبالغة لمثل هذه الروايات إلا أنها تدل على عزم الإفرنج على تفريغ المدينة برعب أهلها. وبدأت تظهر أطماع الصليبيين "لمن تكون أنطاكية "، وتشير الرواية العربية إلى أنهم اتفقوا على اقتراح بوهيمند القاضي بان " يحاصرها كل رجل منا جمعة، فمن فتحت في جمعته فهي له، فرضوا بذلك "[٦]. وقد جرت هذه الأحداث تقريبا ما بين٢٠- ٢٤ جمادى الأولى ٤٩١هـ/ ٢٥-٢٩ ايار ١٠٩٨م[٧].

---

(١) يشار إلى أن هذا الاتفاق قد تم بتبرع سخي من ريموند دي سان جيل وليس باستغلال الموقف، كما يرد عند غيره. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١١٠

بينما يذكر: Gesta Version, p. ١٢٥ أن تانكريد قام باحتلال القلعة دون أي مقابل مادي.

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٧٠، كان مقدار ما دفعه ريموند دي سان جيل حوالي مئة مارك فضة. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١١٠

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٧٠.

(٤) ترد هنا لاول مرة رواية عن مفاوضات بين ياغي سيان والقادة الصليبيين للحصول على فدية لأحد الأمراء الصليبيين الأسرى، وقد فشلت هذه المفاوضات وانتهت بمقتل الأمير الصليبي ولا تحدد الروايات هوية المترجم، وعلى الأغلب أنه أرمني اوبيزنطي، توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٧٠-١٧٧.

(٥) انظر:

William of Tyre A History of Deeds, pp. ٣٠٧-٣٠٨

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٩. وانظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٢٠

(٧) تختلف الروايات الصليبية من هذه الأحداث حسب موقفها من بوهيمند. فيشير ريموند أجيل أن الأمراء الصليبيين باستثناء ريموند تعهدوا بمنح أنطاكية لبوهيمند مقابل عدم تخليه عن حصار المدينة الذي كان قد هدد به مسبقا، وتبعه تخلى البيزنطيين عن حصار المدينة بعد أن منحوا سرا لبوهيمند ثلاث مدن هي المصيصة وطرسوس وأذنة . انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١١٠

في حين يذكر المؤرخ المجهول أن تاريخ وعد الصليبيين بإعطاء أنطاكية لبوهيمند كان في الليلة السابقة لسقوط المدينة مرتبطاً

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقد استطاع بوهيمند أن يعقد سرا اتفاقا مع أحد مستحفظي الأبراج في أنطاكية المعروف باسم فيروز الزرّاد[1]. وتختلف الروايات العربية في هويته اوالأسباب التي دفعته لتسليم المدينة. في حين تشير الروايات الصليبية إلى أنه أمير تركي مسلم ارتد إلى المسيحية[2] وأنه هوالذي بادر بعرض خدماته على بوهيمند، الذي عرض عليه مقابل هذه الخدمة ثروة طائلة رفضها الزرّاد، وفي٢٨جمادى الثانية ٤٩١هـ/ ٢ حزيران ١٠٩٨، بدا تنفيذ الاتفاق بين بوهيمند وفيروز الزرّاد وفق الخطة التي وضعها الأخير التي تقوم على أن يتظاهر الصليبيون بالحشد لمهاجمة حلب ثم يعودوا بسرعة إلى أنطاكية من الخلف بمحاذاة جبل السماق، ويكون الزراد عندها في استقبالهم ويفتح لهم الابواب ويسلمهم الابراج المسؤول عنها التي تقع في هذا الجانب[3]. وبالفعل تم تنفيذ الخطة ودخل الصليبيون ليلا إلى داخل أنطاكية في٢٩ جمادى الثانية ٤٩١هـ ٣/ حزيران ١٠٩٨. - ولم يسيطروا على القلعة الرئيسية - وقد أثارت صيحات الفرنج ودخولهم المفاجئ ليلا الرعب عند السلاجقة حتى أن الحامية السلجوقية بدأت بالهروب بشكل غير منتظم وبلا وعي[4].

بفشل الكسيوس كومنين بإمداد الصليبيين بالمؤن. انظر:

Gesta Version, p. ١٢٦

ولم يتعرض الشارتري لتوضيح الأمر فقد اقتصر على أن أحد السلاجقة الخونة قرر تسليم المدينة لبوهيمند. انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p. ٥٨

أما بطرس توديبود فقد وقف موقفا مشابها للرواية العربية، توديبود تاريخ الرحلة، ص ١٨١.

(١) فيروز الزراد: يرد الاسم نيروز عند ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢١٩؛ وبرزوبة عند ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٣٩٩، و الزرّاد عند الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٤٩٠-٥٠٠هـ)، ص ١١. وعند ريموند أجيل بالتركي. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١١٨

والزرّاد نسبة إلى مهنة صناعة الزرّد للمقاتلين، توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٨١. وانظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣١٧

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨١. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١١٠; William of Tyre A History of Deeds, p.٣٢٢

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٢.

Gesta Version, pp.١٢٧-١٢٨; William of Tyre A History of Deeds, pp. ٣٢٢-٣٢٣

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٤. وانظر أيضا:

Gesta Version, pp١٢٧-١٢٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٢٩

http://www.al-maktabeh.com

وقد بلغ عدد القتلى في أنطاكية حدا يصعب حصره[1] ولم يميز الصليبيون في ذلك بين المسلمين اومسيحيي أنطاكية[2]. وفي أرمناز[3] أقدم الأرمن على قتل ياغي سيان وحمل رأسه إلى بوهيمند[4]، وهنا يشير توديبود إلى موقف الأرمن داخل المدينة من هزيمة المسلمين " وقدّمت النساء المسيحيات الموجودات داخل أنطاكية إلى الكوات الموجودة في شرفات الأسوار، وهللن بطريقتهن المعهودة سرا، لما شاهدن مصير السلاجقة المظلم، وقذفنا الأرمن والسريان واليونانيين طوعا اوكرها، حسب الاوامر اليومية للقادة السلاجقة الطغاة بسهامهم"[5].

وقعت المواجهة بين جيش المسلمين بقيادة كربوغا، والقوات الصليبية في صباح٢٦ رجب ٤٩١هـ٢٨حزيران ١٠٩٨ وقد انتهت بهزيمة قوات كربوغا، وهنا يظهر دور السكان المحليين للمنطقة(الأرمن والسريان) فبعد انتهاء المعركة أخذا بقطع الطريق على القوات السلاجقية[6]. وبدأت عمليات الاستيلاء على الغنائم التي تركها السلاجقة وراءهم[7]. وفي ذروة الاشتباك بين السلاجقة والصليبيين تذكر الروايات وصول سفارة فاطمية للتفاوض مع الصليبيين ممثلين بـ ريموند دي سان جيل حول تقاسم ممتلكات السلاجقة، وركزت المبادرة الفاطمية على أن يحتفظ الصليبيون بأنطاكية ويحتفظ الفاطميون ببيت المقدس[8].

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١١٩

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٤٠٠. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٨٠

(٣) أرمناز: يذكرها ابن القلانسي على النحو التالي: ضيعة بالقرب من معرة مصرين في جبل حارم على السفح الغربي للجبل الاعلى في أقصى شمال سهل الروج، ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٥٨. وانظر أيضا: المعجم الجغرافي، ج١، ص٧٥.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٤٠٠؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٤. وانظر أيضا:

Gesta Version, pp. ١٢٩-١٣٠

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٦٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٢٢; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٠٧

(٦) تجدر الإشارة إلى أن ابن العديم،زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١ يذكر الأرمن فقط.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١. وانظر أيضا:

Gesta Version, pp. ١٥٠-١٥١; William of Tyre A History of Deeds, pp. ٣٥٧-٣٥٨

(٨) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٠٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبالتالي يمكن تحديد المناطق التي سيعبرونها في حال استيلائهم على أنطاكية، وهي مناطق إما تتمتع بالحكم الذاتي مثل طرابلس اومناطق واقعة تحت النفوذ الفاطمي. وفي تلك الأثناء كان الجيش الإسلامي بقيادة كربوغا حاكم الموصل، ويضم دقاق وطغتكين، وسكمان بن ارتق ووثاب بن محمود -الذي جاء لفك الحصار عن أنطاكية قد وصل ارتاح، فبلغهم دخول الصليبيين إلى أنطاكية فتحرك جزء من الجيش نحوجسر الحديد. وتأكدوا من بقاء القلعة بيد المسلمين وحاصر باقي الجيش أنطاكية يوم الثلاثاء ٢رجب٤٩١هـ/٥ حزيران ١٠٩٨[١]. ونصب كربوغا معسكره ما بين ملتقى نهر العاصي ونهر الأسود وبقي يومي٣و٤ رجب٤٩١هـ /٦ و٧ حزيران ١٠٩٨، تسلّم خلالها قلعة المدينة من حاميتها، وعمل الفرنج على بناء سور يفصل بينهم وبين القلعة، واستمر هذا الوضع هكذا حتى ٢٦ رجب ٤٩١هـ/٢٩حزيران ١٠٩٨م، إذ بدأت في ٢٥رجب٤٩١هـ/ ٢٧ حزيران ١٠٩٨م، المنافرات بين الجيش الإسلامي[٢]، وفي الجانب الصليبي ايضا أخذ كل من سنحت له الفرصة بالهرب إلى السويدية حيث رست السفن الجنوية، واخبروهم بسقوط المدينة بيد السلاجقة وغادرت هذه السفن الميناء[٣]، وأخذ الجوع بالصليبيين المحاصرين داخل المدينة مأخذه مما دفعهم إلى الخروج من المدينة " وأكل الفرنج بأنطاكية الميتات والدواب، فخرجوا من أنطاكية يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر رجب "[٤]. وبينما يرجع ابن العديم سبب خروج الصليبيين ومحاولتهم اقتحام القلعة إلى الجوع الشديد الذي مروا به، تربط الروايات الصليبية السبب بين الجوع ورؤيا الحربة المقدسة التي رواها أحد رجال الدين البروفنساليين، وكان مع جيش ريموند دي سان جيل،

وانظر أيضا: توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٣٩٨؛ ابن الأثير إلى هذه الرواية متشككا بصحتها إذ ينهيها بقوله " الله اعلم "، والجدير بالذكر أنها ترد عند ابن الأثير كسبب من أسباب قيام الحملة الصليبية أساسا. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٣٩٨؛ وقد اعتمدت بعض الدراسات الحديثة على صحة هذه الرواية دون توضيح المصادر التي اعتمدوها فجعلت منها سببا في ترجيح كفة الصليبيين في حصار أنطاكية . انظر عبد الحميد حاجيات عام ١٩٨٧م، الحملة الصليبية الأولى واثرها في تطور العالم العربي، مجلة تاريخ العرب، (ع ١٠٦)، ص٨٦، وسيشار اليه لاحقاً بـ عبد الحميد حاجيات، الحملة الصليبية، ومن جهة اخرى فقد اضعفت بعض الدراسات الأجنبية الحديثة هذه الرواية مثل زابورووف، الصليبيون، ص١١٩.

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٩؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٤-١٨٦. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٣٢

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٣٥٠.

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢١٤. وانظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٣٣

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥٠؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٠٥. وانظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٣٨ -٣٣٩

http://www.al-maktabeh.com

ومضمون الرؤيا أنه شاهد أحد القديسيين الذي خاطبه قائلا لوأنك ذهبت إلى كنيسة القديس بطرس بعد أن تدخل أنطاكية، ستجد حربة مخلّصنا، عيسى- المسيح، التي جُرح بها بينما كان معلقا بالصليب[1]. ولما كان الصليبيون في جوع وخوف شديدين لم يتمكن بوهيمند وتنكريد من إجبارهم على التوجه إلى مهاجمة القلعة إلا بإشعال النيران في المدينة[2]، وقد تمكنت القوة الإسلامية بداية من محاصرة الصليبيين[3] الذين بلغت المجاعة في صفوفهم ذروتها[4]، وبدا الصليبيون المحاصرون داخل المدينة البحث عن الحربة المقدسة، وأدى وجودها في الموقع الذي حّدده الراهب البروفنسالي إلى تعزيز الروح المعنوية لديهم، وبدأوا فعلا بالتوجه إلى مهاجمة القلعة، وبدلا من أن يستغل كربوغا، الفرصة ويقضي على القوات الصليبية قبل تجمعها، اغتر بقواته وأصر على مهاجمة الصليبيين مجتمعين[5]. وفي صباح٢٦ رجب ٤٩١هـ/٢٨حزيران ١٠٩٨، وقعت المواجهة بين جيش المسلمين بقيادة كربوغا والقوات الصليبية التي انتهت بهزيمة قوات كربوغا وهنا يظهر دور السكان المحليين للمنطقة(الأرمن والسريان)، فبعد انتهاء المعركة أخذوا بقطع الطريق على القوات السلاجقة ية، وبدأت عمليات الاستيلاء على الغنائم التي تركها السلاجقة وراءهم[6]،

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٠٨. وانظر أيضا:

Hill, Raymond IV, pp. ١٢٧-١٣٤

وتجدر الاشارة هنا إلى الأهمية الروحية للبطريركية الأنطاكية، والتي تعتبر رمزا للارثوذكسية المسيحية فالسيطرة على هذه الكنيسة هو بمثابة فرض السيادة الروحية اما للارثوذكسية التقليدية ومقرها القسطنطينية، واما للكنيسة اللاتينية ومقرها روما، ويتضح ذلك تماما عندما سارع الفرنجة بعد سقوط أنطاكية إلى الغاء الرئاسة الروحية الارثوذكسية، وتعيين بطريركا لاتينيا للمدينة. انظر: كارين ارمسترونج، الحرب المقدسة، ص٨٦، نقولا زيادة، المسيحية والعرب، ص٢١٦، سمير عبده، المسيحيون السوريون، ٨٧، ولمعرفة المزيد حول قضية الحربة المقدسة وتفنيدها في الدراسات الأجنبية انظر زابورووف، الصليبيون، ص٩٩-١٠٧؛ زابوروف، بالسيف والصليب، ص٨١-٨٢. وانظر أيضا:

Oldenbourg, The Crusades, pp. ١٠٥-١٠٧

(٢) تشير الروايات إلى حدوث ظاهرة طبيعية وهي " ظهرت نار آتية من السماء من جهة الغرب وسقطت وسط القوات التركية. توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٢٤.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٩؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٤-١٨٦. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٣٥-٣٣٦

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٢٥. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٣٩

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥٠-٣٥١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٠.

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١. انظر أيضا:

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعلى الفور قام أمير القلعة أحمد بن مروان[1] بتسليم القلعة للصليبيين[2]. وبعد أن استكمل الصليبيون سيطرتهم على أنطاكية في ٢٦رجب ٤٩١هـ/ ٢٨حزيران ١٠٩٨م، اتفقوا على أن يأخذوا فترة من الراحة حتى اوائل شهر تشرين الأول قبل استكمال رحلتهم نحو بيت المقدس[3]، وقد كانت هذه الخطوة مناسبة جدا جنبتهم فترة الصيف الحار والجاف وأعطتهم فرصة لإعادة بناء قواتهم وتنظيمها، وتوفير حاجاتهم من المؤن والمواد الغذائية عبر التوسع في المدن والقرى المحيطة بأنطاكية.

الصليبيون بعد أنطاكية:

كان أكثر القادة الصليبيين توسعا في المدن المحيطة بأنطاكية ريموند دي سان جيل إذ استولى على تل منس في١٤شعبان٤٩١هـ /١٧تموز١٠٩٨، بتسليم سكأنها السريان، وفي٢٢شعبان٤٩١هـ/ ٢٥تموز ١٠٩٨م[4]، استولوا على الحصن القريب منها وكان حصنا يعج بالمسلمين[5]، وهنا ترد روايات عن ارتداد بعض المسلمين وهوما يمكن

Gesta Version, p. ١٥١; William of Tyre, A History of Deeds; pp. ٣٥٧-٣٥٨

(١) أحمد بن مروان: مقدم قوات كربوغا، بدأ ظهوره بعد سقوط انطاكية بيد الصليبيين اذ ارسل شمس الدولة بن ياغي سيان إلى كربوغايطلب مساعدته فأجبره كربوغا على تسليم القلعةإلى أحمد بن موان الذي دافع عن القلعة حتى سلمها إلى بوهيمند ٢٦رجب ٤٩١هـ/ ٢٨حزيران١٠٩٨م، ورحل بعدها إلى الموصل. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٣٦.

(٢) تشير الرواية العربية إلى أن الصليبيين راسلوه وأمنوه فسلم لهم المدينة. انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١. في حين تشير الرواية الصليبية إلى أن أحمد بن مروان عند تسلم القلعة من كربوغا اتفق معه على أن يقاوم الصليبيين ما دام كربوغا منتصرا ولكن حال هزيمته يقوم بتسليم القلعة للصليبيين. انظر: توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨٦-١٨٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥١

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٥. انظر أيضا:

GestaVersion, p. ١٥٤

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٥١. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٤

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦

http://www.al-maktabeh.com

ارجاعه إلى اعتقاد المسلمين أن الصليبين يحسنون معاملة النصارى[١]. وفي٢٥ ايلول ١٠٩٨م، استولى ريموند دي سان جيل على البارة[٢]، وقتل وسبى ونهب بعد أن أخذها بالأمان - نتيجة لقلة الماء[٣]، وعين فيها أسقفا[٤]. وفي٢٥ذي الحجة ٤٩١هـ/ ٢٣ تشرين الثاني توجه ريموند دي سان جيل إلى معرة النعمان، مرورا بالرّوج والبارة فوصل المعرة في٢٩ذي الحجة ٤٩١هـ/ ٢٧ تشرين الثاني١٠٩٨م، وهي مدينة حصينة سكأنها مسلمون(أتراك وعرب) ولم يتمكن من أخذها، وسرعان ما حصل ريموند على مساندة بوهيمند في ٢محرم٤٩٢هـ / ٢٩ تشرين الثاني١٠٩٨، وفشل الحصار ايضا، فلجأ الصليبيون إلى بناء الأبراج الخشبية وبعد مناوشات عنيفة بينهم وبين المسلمين تمكن الصليبيون من تسلق الأسوار ودخول المدينة يوم ٢٤محرم٤٩٢هـ/ السبت ٢١ كانون الأول ١٠٩٨. " وقتل فيها أكثر من عشرين ألف رجل وامرأة وصبي، ولم يسلم إلا القليل ممن كان في شيزر وغيرها.. وقتلوا تحت العقوبة جمعا كثيرا فاستخرجوا ذخائر الناس، ومنعوا الناس من الماء فهلك أكثر الناس من العطش وملكوها ثلاثا وثلاثين يوما بعد الهجمة، ولم يتعوذا ذخيرة بها إلا استخرجوها"[٥] وقد كان بوهيمند قد قطع على نفسه عهدا أمن به سكان المدينة على أنفسهم[٦] إلا أنه لم يف به "سلبهم كل ما كانوا يملكون من الذهب

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥٥ ؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦-٢٥٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٤

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٣٥٥؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٤

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٦

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٥٥-٣٥٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٠٠؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦١-٢٦٢. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٦

يلخص أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص٦١؛ الوضع الاقتصادي والسياسي في معرة النعمان قبل دخول الصليبيين اليها قائلا" لقد كان أهلها يعيشون حتى وصول الفرنج عيشة راضية في حمى سورها الدائري، وكانت كرومهم وحقول زيتونهم وتينهم تؤمن لهم رخاء متواضعا. وأمّا شؤون مدينتهم فقد كان يقوم بها بعض الوجهاء المحليين ممن ليس لهم عظيم طموح بتعيين من رضوان صاحب حلب ذي السلطان المطلق".

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦١-٢٦٢. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

والفضة... ثم قتل البعض وساق الباقين إلى أنطاكية "[١]، ويشير ابن القلانسي إلى هذه الحادثة قائلا "غدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد، وقطعوا على أهل البلد القطائع، ولم يوفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به"[٢] فصدق الشاعر حين رثا المعرة قائلا (ابيات على البحر الخفيف):-

هذه بلدة قد قضى الله يا صا   ح عليها كما ترى بالخراب

فقف العيس وقفة وابك من   كان بها من الشيوخ والشباب

واعتبر أن دخلت يوما إليه   فهي كانت منازل الأحباب[٣]

ويلاحظ هنا أن الصليبين لم يستغلوانصرهم في معرة النعمان في التوسع أكثر وأكثر، وربما يعود السبب في ذلك إلى الجوع الذي عانوا منه فهم " لم يعثروا على اية أسلاب في المناطق القريبة، ونتيجة لذلك لم يجلب مسيحيوالمنطقة شيئا يبيعونه "[٤]، وربما كان السبب في ذلك التدمير الذي ألحقته هذه الفترة الطويلة من الحروب بالبنية الزراعية، أضف إلى أننا في فصل الشتاء، وهوليس موسم حصاد المحاصيل الأساسية للغذاء مثل الحبوب، وإلى هذه الحاجة من شدة الجوع تبالغ الروايات في وصف الوحشية التي عامل بها الصليبيون جثث القتلى المسلمين إلى حد التلذذ بأكلها[٥]، وتأتي أهمية أحداث المعرة بأنها أحدثت حالة من الرعب والفزع لدى الأهالي في المناطق المتوقع أن يعبرها الصليبيون أو حتى أن يمروا بالقرب منها، فأصبحوا يتراكضون على إرسال الوفود والهدايا والأدلاء مما يسهم في تيسير مسيرة الصليبين نحوبيت المقدس، فقد كان العنف الصليبي لمدة سنتين كاملتين٤٩٠هـ/١٠٩٧-٤٩٢هـ/١٠٩٩م كافيا لأحداث حالة من الرعب الهستيري لدى الأهالي، في١٧صفر٤٩٢هـ/ ١٣ كانون الثاني١٠٩٩[٦]

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦٢.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٠

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق١ج٨، طبعة دائرة المعارف، ص٣٣- ٣٤. ويشير هنا امين معلوف، الحروب الصليبية، إلى الدور الذي لعبه الشعراء المحليون في نقل صورة الوحشية الصليبية وتناقلتها الروايات الشفوية سوف تحفر في الاذهان صورة عن الافرنج من الصعب محوها. انظر: امين معلوف، الحروب الصليبية، ص٦٣،

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦٢. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٩

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦٣. انظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٨١; Gesta Version, p. ١٥٩

(٦) تجدر الإشارة إلى أنه بعد سقوط معرة النعمان ١١كانون الأول /١٠٩٨، دخل الصليبيون في صراع بينهم على شرعية ملكية بوهيمند لمدينة أنطاكية، وقد اتخذ ريموند دي سان جيل، معرة النعمان، مركزا له بعد اتخاذه موقفا معارضا لبوهيمند ومؤيدا

http://www.al-maktabeh.com

عندما وصل ريموند دي سان جيل إلى كفر طاب[1] حيث استولى عليها وانضم إليه ١٤/كانون الثاني روبرت النورماندي[2] وقد بلغ عدد القوات المرافقة لريموند دي سان جيل تقريبا ١٠٠٠٠ مقاتل من بينهم ٣٥٠ فارسا فقط، وأضيفت إليه قوات روبرت كونت نورماندي وتانكرد التي بلغت ٨٠ فارسا ومجموعة كبيرة من الرجالة لا يشار إلى عددها[3]، بمعدل ٤٠ فارسا لكل منهم[4]، وإذا اعتبرنا -اخذين برواية وليم الصوري- أن كل فارس يقابله ٢٨-٢٩ مقاتلا من المشاة، فان المجموع الكلي لقوات ريموند دي سان جيل يكون قد بلغ تقريبا ما بين ١٤٠٠٠-١٥٠٠٠ مقاتلاً بينهم حوالي ٤٠٠-٥٠٠ فارس، وهذا العدد من الجند الذي توجه مسرعا نحو بيت المقدس هربا من خطر المجاعة المتزايد، عبروا المنطقة بأمان وبوفرة غذائية فاقت حد تصورهم، وليس بقدرتهم وقوتهم وإنما بخوف وتسارع سكان وحكام المدن التي عبرها الصليبيون، ومع ذلك تشير الروايات الصليبية إلى عدم ثقة الصليبيين بالمعلومات والادلاء الذين قدمهم الحكام المسلمون[5] ففي حوالي١٩صفر٤٩٢هـ /١٥ كانون الثاني ١٠٩٩ جاءت رسل ملك شيزر عز الدين أبو العساكر سلطان بن منقذ(ت٤٩١هـ/ ١٠٩٨م)[6]، يعرض على الصليبيين ما يشاءون من ريع شيزر، وان يمدهم بما يحتاجون إليه من خيل ومؤن، مقابل عدم التعرض لشيزر. وفي٢٠صفر٤٩٢هـ/ ١٦ كانون الثاني ١٠٩٩ عسكروا بالقرب من شيزر فأرسل إليهم عز الدين أبوالعساكر من

لإعادة المدينة للسيطرة البيزنطية. انظر توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٦٣. انظر أيضا:

Gesta Version, pp. ١١٠-١٥٧

(١) كفرطاب: اكتف المصادر المعاصرة إلى الاشارة إلى غناها الزراعي ولم اعثر لها على تعريف إلاّ عند ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠، بقوله بلدة بين المعرة وحلب في برية معطشّة ليس لهم شرب الاّ مما يجمعونه من مياه الامطار.وانظر توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٨٩.

(٢) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٨٩. انظر أيضا:

Hill, Raymond IV, p. ١٨١;William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٨٣-٣٨٤

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٤

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨١

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨١; Gesta Version, pp. ١٦١-١٦٢

انظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص١٧٤.

(٦) انظر الفصل الثالث

مكتبة المهتدين الإسلامية

يدلهم على أحد الاودية، حيث ما يكفي من احتياجات الجيش الصليبي[١]، وقد استمرت الوفرة الغذائية لدى الصليبيين طوال مرورهم بمدن شيزر وحماة وحمص[٢] حتى أنه لم توجد حاجة أخرى لتزويد الناس بها[٣]. وأضطر ريموند دي سان جيل إلى ترك الطريق الداخلية واتجه نحوالساحل وذلك للالتحاق بالقوات الصليبية الأخرى القادمة من أنطاكية، كما أنهم شعروا بان ابتعادهم عن الموانئ قد قلل من استفادتهم من الإمدادات القادمة من الغرب الأوروبي من أنطاكية - اللاذقية[٤] وقد تكون الهجمات التي تعرضت لها قوات ريموند دي سان جيل بالقرب من جبلة من العوامل التي سارعت بتوجههم نحوالساحل[٥].

ويجدر هنا التساؤل من هم هؤلاء" السلاجقة والعرب" كما يسميهم ريموند اجيل[٦] اوقطاع الطرق كما يسميهم وليم الصوري[٧] فهل هم بقايا الحاميات السلجوقية، التي هربت من أمام التقدم الصليبي؟؟ أم هم من السكان المحليين - المسلمين والمسيحيين الذين حاولوا التعويض عما تعرضت له مدنهم وقرأهم من تخريب وتدمير؟؟ أم هم بداية حركة مقاومة شعبية قتلت في مهدها؟؟ ثم من اين جاؤوا وإلى أي الأرياف والمدن يتبعون تحديدا؟؟

---

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٨٩. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٥

(٢) الروايات العربية التي تناولت التوسع الصليبي في هذه المناطق هي روايات بسيطة وسطحية فمثلا لا يشير ابن الجوزي، المنتظم، ص٤٣، إلى هذه الحوادث مطلقا وانما ينطلق من المعرة إلى بيت المقدس، وكذلك ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٥٦؛ وابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص ١٧٨.

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٨٤-٣٨٥

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٥

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ١٨٢-١٨٣; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٨٥-٣٨٦

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٢

(٧) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

http://www.al-maktabeh.com

وقد سارت قوات ريموند دي سان جيل بعد هذه الحادثة بأمان لان المواطنين هجروا مدنهم وتحصيناتهم ومزارعهم ذات المخازن الممتلئة[1]، إلى أن وصلوا إلى حصن الأكراد[2] في حوالي٢٠ربيع الأول ٤٩٢هـ/١٤-١٥شباط١٠٩٩م[3] وقد توفرت مجموعة من العوامل دفعت بسكان حصن الأكراد والمنطقة المحيطة به إلى مقاومة الزحف الصليبي وهي:

١: حصانة المنطقة طبيعيا، فهي منطقة لا يمكن الدخول إليها إلا بالالتفاف حول سلسة جبلية تتميز بالارتفاع والضيق والانحدار[4].

٢: يتميز سكان هذه المنطقة " المزارعون" بوحدتهم العرقية والدينية وكثرة أعدادهم[5].

٣: مناعة وحصانة حصن الأكراد، فإرتفاع القلعة يسهل الهجوم على الصليبيين في السهل[6]. ولم تكن قوات ريموند دي سان جيل موحدة، إذ انقسمت بين قوات راغبة في احتلال حصن الأكراد وأخرى راغبة بإنهاءالحصار والاكتفاء بالحصول على القدر الممكن من المؤن[7].

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٣

(٢) حصن الاكراد، ويطلق عليه اسم حصن السفح، ويسمى حاليا قلعة الحصن تصفها مصادر الحملة الأولى بأنها قلعة منيعة محاطة بالجبال تشرف على واد خصب، يقع في المنطقة المعروفة باسم البقيعة إلى الجنوب من جبل عكاّر وشمال جبال النصيرية، اخذ اسمه من بانيه الامير الكردي شهاب الدولة ناصر حاكم حلب في النصف الأول من ق ٥هـ/ ١١م. انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٣

انظر أيضا:

M. Sobernheim, " Hisn-al-akrad", E. I.٢,vol. iii, p. ٥٢٠

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٣

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٣

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ١٨٣-١٨٤

(٧) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد لعب تردد المسلمين وخوفهم من القوات الصليبية دورا كبيرا في إنهاءالصراع لصالح قوات ريموند دي سان جيل الذي تمكن من إعادة تنظيم قواته ومحاولة مهاجمة المدينة عبر ممر صحراوي شديد الانحدار لا يمكن عبوره إلا فرادى، وكان بإمكان القوات الإسلامية الانقضاض عليهم وقتلهم منفردين، وعلى الرغم من تراجع قوات ريموند دي سان جيل نرى تناقضا في الموقف، فالمسلمون المنتصرون يتركون قلعتهم ويهربون، والصليبيون المنهزمون يستمرون في حصار المدينة، فبعد أن فقد ريموند دي سان جيل الاتصال تقريبا بفرسأنه على ممر صحراوي شديد الانحدار مشت فيه الخيول في طابور فردي. وفي اللحظة الفاصلة التي تردد فيها المسلمون، استدار الصليبيون وتحولوا إلى المنطقة الآمنة ظاهريا في الوادي، وفي الصباح لم يكن أمامهم إلا غنائم الحرب، وقلعة يسكنها الأشباح[1] ورواية ريموند اجيل هذه تعارض رواية وليم الصوري التي تشير إلى أن الاستيلاء على الحصن قد تم بالقوة، ونهب كل ما فيه من مؤن وخيول وحيوانات أخرى[2]- رواية ريموند اجيل اقرب إلى الصحة لمعاصرة الراوي للحدث ومرافقته لقوات ريموند دي سان جيل كماعقد حاكم قلعة مصياف٢١-٢٦صفر٤٩٢هـ/ ١٧-٢٢ كانون الثاني، مع ريموند معاهدة تضمن أن يوفر لهم المؤن والخيل دون أن يتعرضوا لقلعته. وفي٢٧صفر٤٩٢هـ / ٢٣ كانون الثاني اتجهوا نحو رفنية[3] التي سرعان ما غادرها سكأنها فدخل الصليبيون مدينة غنية بالخضروات ومنازل مليئة بالأطعمة[4]. وفي٢٩صفر٤٩٢هـ /٢٥كانون الثاني ١٠٩٩م، توجهوا نحووادي البقيعة

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ١٨٤-١٨٥; Gesta Version, p. ١٦

ويشير رنسيمان-بشكل مبالغ- إلى أن هذه المساعدات العربية إلى الصليبين انما كانت ابتهاجا بالانتصارات التي حققها الصيبيون وتراجع قوة المسلمين. انظر:

Runciman, A History, vol. i, p. ٣٦٧

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٣) رفنية: كانت في القرون الهجرية الاربعة الأولى مزدهرة تصفها مصادر الحملة الأولى بأنها مدينة غنية زراعيا. توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٧٩٦؛ انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٦٢; William of Tyre; A History of Deeds, p. ٣٨٦

وانظر: عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية، ص٢٩١.

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٩٠

انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٦٢; William of Tyre; A History of Deeds, p. ٣٨٦

http://www.al-maktabeh.com

مجتازين احد الجبال الشاهقة، حيث وفرة من المؤن والحبوب والماشية، وهنا يرد ذكر قلعة هجرها أهلها واحرقوها، وذكر لحصن الأكراد الذي أخذ يشن المسلمون منه غارات على جيش ريموند سان جيل، وفي٤ربيع الاول٤٩٢هـ /٢٩ كانون الثاني١٠٩٩م، توجه الجيش الصليبي لمهاجمة حصن الأكراد ليتفاجأوا وقد تركه أهله خاليا ليلا[١]. وعندما بدا ريموند دي سان جيل بالتوسع خارج أنطاكية بادر السكان المسيحيون بتسليم المدن التي تحت نفوذهم إليه، كما حدث في تل منس، وبدا الصليبيون بإظهار العداء الديني للسكان المسيحيين باستيلاء ريموند دي سان جيل في ٢٥ شوال ٤٩١هـ /٢٥ أيلول ١٠٩٨م، على البارة[٢] إذ عين فيها أسقفا لاتينيا[٣]. وتتوقف المصادر بعد ذلك عن الإشارة إلى أي دور للسكان المحليين وكأنهم اكتفوا بمشاهدة حقولهم تحرق وتنهب وبيوتهم يستولى عليها محاولين انتهاز الفرصة للانقضاض على بقايا مخلفات العسكر كما حدث في طرطوس، كما هربت الحاميات السلجوقية، في المدن الرئيسية من أمام التقدم الصليبي مثل طرطوس في ٢٣ربيع الاول٤٩٢هـ/١٧ شباط ١٠٩٩م[٤]، واللاذقية في /اواخر شباط ١٠٩٩م[٥]، وجبله في اوائل ربيع الثاني ٤٩٢هـ/ اوائل آذار ١٠٩٩م[٦].

التوسع الصليبي في المنطقة الوسطى(لبنان) من بلاد الشام(شهر ربيع الاول٤٩٢هـ/ منتصف شباط ١٠٩٩م - رجب ٤٩٢هـ / اواخر آذار ١٠٩٩م):

(١) توديبود، تاريخ الرحلة، ص٢٩٠. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٦٢

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥١؛ توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٦-٢٥٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٤

(٣) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٥٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٥٦

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٩٠-٢٩١. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٦٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٥) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٩٠-٢٩١. انظر أيضا:

Gesta Version, p. ١٦٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

(٦) توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٩٢. انظر أيضا:

Gesta Version, pp. ١٦٤-١٦٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

دخلت قوات ريموند دي سان جيل مع مطلع شهر ربيع الاول٤٩٢هـ / منتصف شباط١٠٩٩م، المنطقة الوسطى من الساحل الشامي التي سارعت إلى تقديم الهدايا والتسهيلات خاصة بعد سيطرة الصليبيين على حصن الأكراد اشد حصون المنطقة مناعة(١) بعد أن لاحظوا أن بعض المدن والقرى(مثل شيزر)، قدمت المساعدات لقوات الصليبين، وتمكنت من المحافظة على سلامة ريفها، أما العامل الأهم فهوالأخبار والروايات التي انتشرت عن وحشية الصليبيين في كل المدن والأرياف على طول الطريق الساحلي(٢)، وهنا سرعان ما بدأت أطماع ريموند دي سان جيل في تكوين امارة خاصة به، في طرابلس خاصة، بعد أن لاحظ موقعها المشرف على سلسلة جبال لبنان الغربية(٣) وحصانتها ومناعتها، التي وفرتها لها الجبال الشاهقة المحيطة بها، حيث يصعب عبورها إلا عبر ممرات ضيقة، لا يمكن تجاوزها إلا فرادى، مما يسهل اقتناص أعداد كبيرة من الجنود على يد قلة من الجنود العاديين(٤). كما أن لها اطلالة على البحر عبر مينائها الذي عرف باسمها، والأهم من ذلك اشرافها على منطقة زراعية تعدّ الأكثر خصوبة على امتداد الساحل، وهي سهل عكّار الذي يحتوي على العديد من القرى والبساتين المزروعة والغابات الكثيرة. ويشير ريموند أجيل إلى أن فخر الملك بن عمّار حاكم طرابلس بادر بطلب رايات ريموند دي سان جيل وأعلامه لرفعها على قلعة المدينة بعد دخول الصليبيين أراضيه واستيلائهم على حصن الأكراد(٥). وهذه الرواية تضعفها الأحداث التالية التي أبدت فيها طرابلس وعرقة المقاومة الأعنف بوجه الصليبيين على طول الساحل الشامي للمنطقة الوسطى – الساحل اللبناني – ، هذا ولم تتجاوز هذه المقاومة حد الدفاع. لقد لجأ فخر

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٥; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٥; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٦٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٣) أبوالفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٣.

(٤) تودبيود، تاريخ الرحلة، ص ٢٩٤.

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٥; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٦٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

انظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص ١٧٨-١٧٩

http://www.al-maktabeh.com

الملك بن عمّار إلى تفادي حصار عرقة في اول الأمر، وتقديم ما يحتاجه الصليبيون من مؤن ومواد غذائية خلال عبورهم أراضيه[1]، إلا أن حصانة قلعة عرقة ومناعتهما، أضعف الموقف الصليبي الذي عجز عن اقتحام المدينة أو التأثير فيها، الأمر الذي أدى إلى تقوية موقف فخر الملك بن عمّار فتراجع عن عرضه بتقديم الأموال والهدايا مقابل رفع الحصار[2]، ولم يتغير موقف أمير طرابلس إلا بعد المواجهة المباشرة بين الطرفين أمام أسوار طرابلس في ١٦ جمادى الأولى ٤٩٢هـ/١٠ نيسان ١٠٩٩م، وهي المواجهة التي انتهت لصالح الصليبيين، ليس ضعفا في حامية المدينة، وإنما لسيطرة مشاعر الخوف على حاميتها وسكأنها، وخاصة أن المدينة تعج بالمهاجرين الذين عانوا من التحرك الصليبي سابقا[3]، ولم ينقذ المدينة من السقوط في ايدي الصليبيين واستباحتها، سوى اختلاف موقف القادة الصليبيين وتأكيدهم – باستثناء ريموند دي سان جيل- أنه لا بديل عن بيت المقدس، فقد عقدوا لتحقيق هذه الغاية اتفاقا مع حاكم طرابلس فخر الملك بن عمّار تضمن تقديم المؤن والأدلاء[4] للصليبيين، وتركز اهتمام بن عمّار في هذا الاتفاق على حماية الريف مع بداية فصل الربيع، وضرورة إحلال السلم حتى يتمكن المزارعون من إعداد التربة وتهيئتها للموسم الزراعي القادم[5]، والأدلاء الذين قدمهم حاكم طرابلس، هم من آل عمّار، ضمانا لتنفيذ الاتفاق، وهم الذين أدوا واجبهم على أكمل وجه، جنبا إلى جنب مع الموارنة، فدلوا الصليبيين على

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

ويشير سعيد عاشور إلى أن سبب هذا التقارب بين الصليبيين وبني عمار هو العداء المستحكم بين بني عمار وسلاجقة دمشق. انظر: سعيد عاشور، الحروب الصليبية، ج١، ص٤٥.

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٢١٦-٢١٧; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٥-٣٩٦

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢١; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٧-٣٩٨

(٤) الدويهي، تاريخ الازمنة ص٨٧. انظر أيضا:

Gesta Version, p.١٦٥, William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٧

(٥) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

الطرق المفضية إلى عكا[1]. إلا أن ريموند دي سان جيل سرعان ما حصل على تاييـد الصـليبيين بعـد وصـول الانبـاء التي تؤكد ثراء طرابلس وسهولة الاستيلاء عليها من خلال الوصول إلى عرقـة، وقـد اختلفـت الروايـات في مصـدر هذه الأخبار، فهم إما المبعوثون الصليبيون الذين أرسلوا إلى ملك طرابلس، وعادوا محملين بهدايا فخمة وخيـول كثيرة ونقلوا اوصافا مبالغا فيها حول ثراء المدينة وازدحامها بالسكان. ولحصانة المدينة اقترحوا حصار عرقة، الـذن يؤدي في نهاية الحصار إلى سقوط طرابلس اودفع صاحبها مبالغ كبيرة من الـذهب والفضـة مقابـل رفـع الحصـار عن عرقة[2]، اويكون التوجه إلى عرقة، بناءً على نصيحة الأسرى الصليبين في طرابلس، والذين قد تم احتجـازهم في أثناء بحثهم عن المؤن خلال فترة حصار أنطاكية، وقد بلغ عدد الأسرى، حسب الرواية مائتين[3]فيعدل عن المضي- قدما نحوبيت المقدس ويتجه إلى حصار عرقة[4] مابين٢١-٢٢ ربيع الأول ٤٩٢هـ/١٦-١٧ شباط، وعـلى الأرجـح أن ريموند دي سان جيل وجد في طرابلس الثرية تعويضا له عن خسارته في أنطاكية[5]، لذا اتجه إلى محـاصرة القلعـة الرئيسية لحماية طـرابلس، وبقـي هنـاك بانتظـار مسـاندة القـوات الصـليبية الأخـرى التـي كانـت بـالقرب مـن اللاذقية[6]. وتشير الروايات الصـليبية إلى أن مجموعـة مـن قـوات ريمونـد دي سـان جيـل قـد غـادرت عرقـة إلى طرطوس بحثا عن المواد الضرورية لها[7]، ولا تشير الروايات إلى ماهية هذه الضروريات فالمؤن الغذائية، متوافرة

---

(١) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٩

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٥

(٣) ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ٤٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص٢٥٥. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٥

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٥; William of Tyre; A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٥) بوديس، الصليبيون، ص ١٧٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ٤٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص٢٥٥. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

(٧) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٦; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

http://www.al-maktabeh.com

لقواته منذ مغادرتهم معرة النعمان[1]، كما أن السهل المحيط بعرقه- سهل عكار- هوسهل غني بالمواد الغذائية، وبالتالي ليس هناك مبرر تمويني وراء هذا الانقسام، لكنه يدل على عدم وحدة موقف قواته من حصار عرقة، وأهمية الاستيلاء على طرابلس، وهذا الأمر الذي أدى إلى هروب أهالي طرطوس أمام التقدم الصليبي، واختلفت الروايات في تحديد زمن هروب أهالي طرطوس، ففي حين تشير الرواية الأولى إلى أن السكان قد غادروا المدينة قبل وصول الصليبيين إليها[2]. تشير الرواية الثانية إلى أن سكان المدينة هربوا ليلا بعد أن تمكنوا من صد هجوم قوات ريموند دي سان جيل نهارا، ويعزى هروبهم إلى خوفهم من وصول قوات أضافية خلال الليل، فيتعذر عليهم مقاومتهم، لذلك غادروا المدينة مع زوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وتفرقوا في الجبال طلبا للأمان[3]. وهاجر أهالي طرطوس متجهين إلى جنوب سلسلة جبال لبنان الغربية المعروفة بجبل عامل، التي كانت شبه خالية من السكان قبل قدوم الصليبيين[4]. وقد كانت مدينتا عرقة وطرابلس الجنوبيتان مكتظتين بالمهاجرين القادمين من مدن المنطقة الشمالية[5]، كذلك مدن شيزر وحمص التي تعج بالمهاجرين القادمين من معرة النعمان، فكلما وصل الصليبيون إلى مدينة اوشارفوا على الوصول إليها هجرها سكأنها، وكلما إزداد التوغل الصليبي وصلوا إلى مدن تعج بالسكان الأصليين والمهاجرين[6]، ومع ذلك نلاحظ افتقاد هذه المدن لروح المقاومة، فالمقاومة الشعبية في مدن الساحل الشامي الشمالية على بساطتها ومحدوديتها أقوى منها في المدن

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٦

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٦

(٣) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٣-١٦٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

انظر أيضا: الدويهي، تاريخ الازمنة، ص٨٧.

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢١٥

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٥

انظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص ١٧٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الوسطى لهذا الساحل. ويمكن القول أن الدافع الكامن في التوجه إلى طرطوس يتمثل في إذكاء غريزة حب السلب والنهب التي جبلت عليها هذه القوات، خاصة مع شعورهم بتنامي قوتهم، وعلى الرغم من خلو طرطوس من السكان عند دخول الصليبين إليها، إلا أنهم لم يفرضوا سيطرتهم وأكتفوا بما حصلوا عليه من غنائم وعادوا بها إلى معسكرهم[١].

بدأ الصليبيون بالتجمع في الساحل اللبناني في ٢٣ ربيع الأول ٤٩١هـ / الأول من آذار ١٠٩٩م[٢]، ثم غادرت القوة الصليبية المجتمعة في اللاذقية بقيادة غودفروي وروبرت كونت الفلاندوز المدينة متجهة نحوبيت المقدس[٣]، وانضمت إليهم القوة الصليبية القادمة من أنطاكية وكليكية وتوجهت جميعا نحوجبلة، وكان اتجاه سير القوت بمحاذاة الساحل لمحاصرة جبلة الواقعة تحت السيادة الفاطمية[٤]، وقد كانت المنطقة الوسطى من الساحل الشامي – لبنان حاليا – مناطق النفوذ الفاطمي، وكانت هذه المناطق إما تخضع للسيطرة المباشرة، كما هوالحال في جبله وبيروت وصيدا وصور[٥]، اومناطق تتمتع بالاستقلال الذاتي المصطبغ بالسيادة الاسمية للسلطة الفاطمية، كما هوفي طرابلس وما يتبعها، حيث تخضع لسيادة بني عمّار[٦]. إلا أن الدور الفاطمي يظهر واضحا في أثناء حصار الصليبيين لمدينة جبلة في ٢٣ ربيع الأول ٤٩٢ هـ/ ١ آذار ١٠٩٩م، بقيادة غودفروي[٧]، ومن هنا، يقتصر الموقف الفاطمي على تقديم مبالغ مالية كبيرة بلغت حوالي ستة آلاف قطعة ذهبية[١].

---

(١) انظر:

Gesta Version, p. ١٦; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٦٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٨٨

(٢) تجدر الاشارة هنا إلى أن ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٢ لايتعرض باي شكل لاحداث الساحل اللبناني فيرى القارئ لابن القلانسي أن كفر طاب هي المرحلة ما قبل القدس.

(٣) كانت مدينة اللاذقية تخضع للسيادة البيزنطية، وقد حاول غموتمير الاستيلاء عليها، إلا أن حامية المدينة استطاعت آسره وتحت إلحاح بلدوين واخوه غودفروي تم إخراج غموتمير من اللاذقية وتسليم اسطوله إلى بلدوين وغودفروي. انظر

William of Tyre A History of Deeds, p. ٣٨٩

انظر أيضا:

N. Elisseeff, "al-Ladhikiyya", E. I.٢,vol. v, p. ٥٨٩

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٨٩-٣٩٠

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ١٣٣-١٣٤. وتجدر الاشارة هنا إلى أن الفاطميين تمكنوا من الحفاظ على المناطق الساحلية بفعل نفوذهم البحري وعدم توفر قوة بحرية سلجوقية .

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ١٠٩-١١٢.

(٧) انظر:

http://www.al-maktabeh.com

وهنا لابد من طرح السؤال التالي: لماذا لم يحاول الفاطميون عرقلة التقدم الصليبي نحوالبيت المقدس، مع أنهم مدركون تماما أن هدف الصليبيين هو احتلال بيت المقدس الواقعة تحت السيادة الفاطمية، ولماذا لم يهاجم الفاطميون الصليبيين عسكريا، مع العلم، كما يتبين لاحقا، أنهم قد جهزوا أنفسهم في القدس لمواجهة عسكرية مع الصليبيين؟؟. يلاحظ أن الفاطميين، عندما فشلوا في إغراء غودفروي بفك الحصار عن جبلة، تحولوا إلى طريقة أخرى ملتوية، تتمثل في أنهم عقدوا اتفاقا مع ريموند دي سان جيل، يقضي بان يدفع له الفاطميون مبلغ ستة آلاف قطعة ذهبية، وهي التي كانت مقررة لـ غودفري، مقابل أن يوجه – بدوره - الصليبيين عن حصار جبلة، وهوالاتفاق الذي نفذه ريموند دي سان جيل عندما ادعى أن السلاجقة قد وجهوا قوة عسكرية لاستعادة أنطاكية مرورا بعرقة، فهب غودفروي ومن معه لنجدة ريموند دي سان جيل عندما وجه السلاجقة قوة عسكرية لاستعادة أنطاكية، وهي قوة ستمر بعرقة، ثم فكوا الحصار عن جبلة[٢]. هذا، وتشير الروايات الصليبية في أثناء تناولها حصار جبلة إلى حدوث مفاوضات بين الفاطميين وقوات ريموند دي سان جيل، تتضمن أن يقوم الفاطميون بتسليم بيت المقدس للصليبيين دون شرط، مقابل أن يرجع الصليبيون للفاطميين المدن التي استولوا عليها في بلاد الشام من السلاجقة، وكانت في يوم من الايام تحت النفوذ الفاطمي، وان يتقاسم الطرفان المدن الخاضعة للسلاجقة وهي المدن التي يستولي عليها الصليبيون بمساندة فاطمية، وقد رفض الفاطميون الشروط الصليبية، ويُشار إلى أن السبب وراء ذلك هوحدوث اتصالات سرية بين الفاطميين والإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، راح يقلل فيها من قوة جيش ريموند دي سان جيل[٣]. وقد تغير الموقف الفاطمي بعد حصار الصليبيين جبلة وعرقة، فقد أصبح الصليبيون قوة تهديد وشرعوا بفرض شروطهم، لدرجة أن حاكم جبلة

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٠

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٠

(٢) انظر:

Hill,Raymond IV, p.١٨٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩١

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٨; William of Tyre A History of Deeds, p. ٣٩٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفاطمي أرسل للصليبيين خمسة آلاف قطعة ذهبية وخيولا وغيرها من المواد التموينية لضمان عدم إعادة فرض الحصار على جبلة[١].. التي تمسك بها الصليبيون لأهمية موقعها الاستراتيجي، فهي تقع بين مجموعة من الموانئ الرئيسية مثل اللاذقية وبانياس. كما أنها مدينة حصينة منيعة[٢]، بل أنها في الأساس حصن[٣]. وهذه العوامل مجتمعة، إضافة إلى تأكد الصليبيين من استحالة المقاومة العسكرية الفاطمية[٤]، دفعت غودفري إلى استمرار الحصار، وهنا لجأ الفاطميون إلى عقد اتفاق مع ريموند دي سان جيل يقضي بان يصرف اهتمام الصليبين عن جبلة مقابل تقديم الأموال والهدايا التي كانت مقررة لقوات غودفروي إلى قواته، وقد سارع ريموند دي سان جيل إلى إرسال طلب النجدة من قوات غودفروي بحجه توجه قوات سلجوقية بقياده كربوغا، نحوعرقة في أثناء سيرها لاسترداد أنطاكية[٥]، وسرعان ما لبى غودفروي وجنده نداءات ريموند دي سان جيل ورفعوا الحصار عن جبلة مسرعين إلى عرقة، عبروا خلالها بانياس، مرقية[٦]، وطرطوس، إلا أن تانكرد سبقهم وأخبرهم بالاتفاق بين ريموند دي سان جيل والفاطميين[٧] وعلى الرغم من الغضب الشديد الذي أبداه غودفري ومن معه تجاه تصرف

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, pp.١٨٨-١٨٩

(٢) ثيودوريش، وصف، ص ١٤٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٠٥

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٠

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩١

(٦) مرقية : لاتشير اليها مصادر الحملة الإ إشارات عابرة وهي تقع على الساحل بين بانياس وطرطوس كانت مدينة ذات اهمية إلاانها بدأت بالتراجع منذ القرن٦هـ/ ١٢م. انظر:

Gesta Version, p. ١٦٤; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩١

وانظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٠١؛ عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية، ص٥٠٨.

(٧) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٤; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩١

http://www.al-maktabeh.com

ريموند دي سان جيل، إلا أنهم في النهاية سأهموا في حصار عرقة[1]. هذا ويشير ريموند أجيل إلى أن المفاوضات بين الفاطميين وقوات ريـــموند دي سان جيـل قد سبقت حصار جبلة، وكان موضوعها الأساسي تسليم بيت المقدس للصليبيين من دون شروط، الأمر الذي رفضه الفاطميون، إذ إن حصار جبلة أضعف الموقف الفاطمي وألجأهم إلى القبول اللامشروط للتفاوض[2]. وقد واجهت الجيوش الصليبية المتجمعة حول عرقة مشكلات اجتماعية تمثلت في التفاوت المعيشي فيما بينها، فقد تمتعت قوات ريموند دي سان جيل بثراء فاحش مقابل قوات غودفروي ذات الفقر المدقع، وقد أخذ هذا الفارق يتراجع، بعد تقديم حاكمي طرابلس وجبلة أموالا أضافية[3] اولا من أجل رفع الحصار عن عرقة، وثانيا لضمان عدم فرض حصار جديد على مدنهم[4]. وعلى الرغم من ازدياد عدد القوة الصليبية المحاصرة لعرقة، واستمرار مهاجمة المدينة تكرارا، إلا أن مجموعة من العوامل ساعدت على صمود المدينة تمثلت فيما يلي:

١: المناعة والحصانة الطبيعية للمدينة[5].

٢: رغبة عامة الجند في إنهاءالحصار والتوجه نحوبيت المقدس[6].

---

(١) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩١

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٨; William of Tyre A History of Deeds, p. ٣٩٤

(٣) ويتخذ سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع الإسلامي، مؤتمر بلاد الشام، ص٢٢٠، من هذه الروايات وما سبقها من دفع آل منقذ مبالغ مالية لتفادي الحصار دليلا لوصف غالبية اهالي مدن الشام باتساع الثروة، وهو ما لايمكن الاعتداد به اذ هناك فرق بين ثراء الاسر الحاكمة وثراء الشعوب، فكما يشير نبيه فارس، حضارة العرب أن عامة الشعب جمعتهم على الرغم من تنوع مسالكهم المصائب والمصاعب، وأنهكتهم ضرائب الحروب وافقرتهم اعمال الجند واستغلال ذوي المال والنفوذ. نبيه امين فارس(١٩٦٤)، حضارة العرب في القرن الثاني عشر، مجلة ابحاث، (ع ١٧،) ج٤، ص٤١٦-٤١٧، وسيشار اليه لاحقاً بـ نبيه فارس، حضارة العرب.

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ١٨٨-١٨٩

(٥) بوديس، الصليبيون، ص ١٨١.

(٦) بوديس، الصليبيون، ص ١٨١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٣: عدم توافر رغبة حقيقية لدى قوات غودفروي، في دعم ريموند دي سان جيل، ولاسيما بعد اتهامه بالخيانة، وقبول الرشوة من الفاطميين من أجل فك حصار جبلة[١].

تزامنت احداث جبلة مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، تطالب بانتظار وصوله، وعدم استكمال رحلتهم إلى بيت المقدس، بعد أن تعهد بتقديم المساعدات لهم رغبة في كسب تاييدهم حول النزاع الدائر بينه وبين بوهيمند من أجل السيادة على أنطاكية[٢] - وقد سأهم هذا الأمر في ازدياد حدة الخلاف القائم بين القادة الصليبيين لاختلاف موقفهم من سيادة بوهيمند على أنطاكية التي كان يعارضها ريموند دي سان جيل بشكل مطلق[٣]. وقد حاول فخر الملك بن عمّار استغلال هذا الخلاف، فأعلن موقفه ورغبته في تحدي الوجود الصليبي وخاصة أن الصليبيين قد حاصروا عرقة لمدة ثلاثة أشهر دون أن يوجهوا أي حملة إلى المدينة الرئيسية طرابلس[٤]. وكان رد فعل الصليبيين مباشرا وسريعا ببدء الهجوم على طرابلس يوم ١٦ جمادى الأولى ٤٩٢هـ/١٠نيسان ١٠٩٩م[٥]. وسأهمت مجموعة من العوامل في رفع الروح المعنوية لدى الطرابلسيين وتشجيعهم على مواجهة التقدم الصليبي، تمثلت في أنها، أي طرابلس، كانت موطنا للعديد من المهاجرين الهاربين من أمام التقدم الصليبي، والذين وجدوا في إمارة طرابلس الفتية والمستقلة ملجأ آمنا لهم[٦]، وخاصة

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp.٣٩٥-٣٩٦

وانظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص١٨١.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٥-٣٩٦

وانظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص١٨١.

(٣) انظر التوسع الصليبي في المنطقة الشمالية، ص٥٣-٥٧.

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, pp.٢١٦-٢١٧; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٣٩٥-٣٩٦

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV,pp. ٢١٦-٢١٧; William of Tyre, A History of Deeds, p٣٩٥

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p.١٨٥; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٥-٣٩٦

انظر أيضا: بوديس، الصليبيون، ص ١٧٩

http://www.al-maktabeh.com

أنها تتمتع بحصانة طبيعية، فالمعبر نهر إبراهيم[١]، الذي أقيم على جانبه المقابل للمدينة سور مرتفع وصلب، وبالتالي فان سكان المدينة شعروا بالثقة والطمأنينة، حيث هيا النهر والسور حرية الحركة لهم، مما يمكنهم من العودة إلى داخل أسوار المدينة في حال هزيمتهم بعد المواجهة العسكرية[٢].

على الرغم من كل الاحتياطات التي اتخذها الطرابلسيون جندا وعامة، إلا أن نتيجة هذا الصدام كانت لصالح الصليبيين، بسبب سيطرة الرعب على المدافعين عن المدينة[٣]. وعلى الرغم من هذا النصر، فان القادة الصليبيين وعامة الجند - باستثناء ريموند دي سان جيل تخلّوا عن حصار عرقة، وقرروا إكمال مسيرتهم نحوبيت المقدس، كما لم يستجيب القادة الصليبيون لنداءات ريموند دي سان جيل وتوسلاته، بل أن جنده بداوا يشعرون بالتذمر من البقاء أكثر في طرابلس[٤] وأخيرا غادر الصليبيون عرقة فرحين، -باستثناء ريموند دي سان جيل- فوصلوا طرابلس تقريبا يوم الجمعة ١٩ جمادى الثانية ٤٩٢ هـ/ ١٣ ايار١٠٩٩م، وأقاموا في جوارها ثلاثة ايام توصف بأنها إقامة سلمية هادفة، بعد أن عقدوا اتفاقا مع فخر الملك بن عمّار تضمن ما يلي: ١: أن يدفع فخر الملك بن عمّار لهم خمسة عشر ألف قطعة ذهبيه بالاضافة إلى هدايا من الخيول وغيرها.

٢: أن يعد بن عمّارايضا بإعادة جميع الأسرى المسيحيين الذين كانوا محتجزين لديه.

٣: وان يوافق القادة الصليبيون على الالتزام بهذه الشروط في حال استيلائهم على المناطق المعنية ٤: أن يوافق القادة الصليبيون على عدم التعرض - في أثناء الزحف - لثلاث مدن واقعة ضمن سيادة آل عمّار، وهي: عرقه، وطرابلس، وجبيل مع المناطق التابعة لها[٥]. وقد اقام الصليبيون في المنطقة الوسطى فترة تجاوزت الثلاثة أشهر،

---

(١) نهر ابراهيم : وهو النهر الذي عُرف في الماضي بإسم نهر "أدونيس" يصب على بُعد ٦ كلم إلى الجنوب من جبيل . شمال بيروت بلبنان. ولاتشير مصادر الحملة إلى اي درو لعبه هذا النهر في تقدم أو اعاقة تقدم الصليبيين. انظر:

H. Lammens "Djubail", E.I.٢, vol. i, p. ٦٨٦

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢١٥.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢١٦; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٦

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, pp.٢٢١-٢٢٣; GestaVersion, p.١٦٥; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٧-٣٩٨

(٥) انظر:

Gesta Version, p. ١٦٥; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٣٩٧-٣٩٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أمضوا جلها في محاولة الاستيلاء على عرقة، وإضعاف طرابلس، ثم استغرقوا ما يقرب من الأسبوع في عبور بقية المدن، وصولا إلى المنطقة الجنوبية للساحل الفلسطيني. وقد سار الصليبيون على طول خط الساحل، وفقا لنصيحة الموارنة وغيرهم من الأدلاء الذين وفرهم فخر الملك بن عمّار[1]. بدءا من سلسلة جبال لبنان الغربية ويمين الساحل مرورا بمدينة جبيل في يوم ٢٢ جمادى الثانية ٤٩٢هـ / وفي ١٦ ايار ١٠٩٩ ولم تشهد مدينة جبيل أي مناوشات مع الصليبيين، وكان عبورها سهلا عليهم فاقاموا على ضفة نهر إبراهيم[2]، وفي ١٩ جمادى الأولى ٤٩٢ هـ / ١٣ نيسان ١٠٩٩م وصل الصليبيون بيروت، وقدم لهم حاكمها الفاطمي - لاتشير المصادر إلى اسمه- المال وكميات كبيرة من المؤن، ليقنعهم بالإبقاء على المحاصيل والأشجار[3]. وفي ٢٠ جمادى الأولى ٤٩٢ هـ / ١٤ نيسان ١٠٩٩م وصلت القوات الصليبية مدينه صيدا الفاطمية، ولم يبد حاكمها أي تعاون مع الصليبين الذين اجبروا حاميتها على التراجع إلى داخل المدينة ثم بدأوا بنهب الريف المحيط بها[4]. وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر إلى أي مقاومة خارج صيدا، الإ أن الإشارة إلى اختفاء مجموعة من الجنود الصليبين الباحثين عن الطعام حول صيدا، وعدم معرفة مصيرهم، ربما تدل على اختفائهم على يد جماعات مسلحة محلية[5]. وليس معروفا ما إذا كانت هذه الجماعات عسكرية - أي من الحامية الفاطمية المنتشرة في المنطقة - أم محلية - أي من سكان المنطقة أنفسهم - وبما أن الحاميات الفاطمية على طول الساحل، قد اتخذت موقفا سلميا تجاه التقدم الصليبي، فلم تتعرض لها، فأنه، يمكن القول أن الهجمات ضد الصليبيين قادها السكان المحليون في المنطقة، ولذلك لم تكن منظمة، بدليل ضعفها وعدم إرباكها التقدم الصليبي. وقد كانت أبرز العقبات التي واجهت

---

(١) انظر:

Gesta Version, p.١٦٥; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٦٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٣٩٧-٣٩٨

(٢) نهر ابراهيم : وهو النهر الذي عُرف في الماضي بإسم نهر "أدونيس" يصب على بُعد ٦ كلم إلى الجنوب من جبيل . شمال بيروت بلبنان. ولاتشير مصادر الحملة إلى اي درو لعبه هذا النهر في تقدم أو اعاقة تقدم الصليبيين. انظر:

H. Lammens "Djubail", E.I.٢, vol. i, p. ٦٨٦

(٣) انظر:

Gesta Version, p.١٦٥; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٨

(٤) انظر:

Gesta Version, p.١٦٦; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٨

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٨

http://www.al-maktabeh.com

الصليبين، اجتيازهم معبر جبل لبنـان الضـيق المـؤدي إلى مدينـه صـور، وقـد تمكنـوا مـن الوصـول إلى صـور دون مقاومه تذكر[١]، وأمضوا ليلتهم هنالك في البساتين الواسعة المليئة بجميع أنواع وسائل الراحـة السـائغة[٢]. وكـان دليلهم في هذه الرحلة عدد مـن أفـراد أسرة بنـي عـمّار الـذين عوملـوا أسرى ضـمانا لتنفيـذ الاتفـاق مـع حـاكم طرابلس، بالاضافة إلى الأدلاء الموارنة يدعمهم أسطول من السفن من جنوة والبندقيـة وبيزنطـة[٣]. وهنـا يجـدر التوقف لدراسة موقف الموارنة[٤]الذين توزعوا على أمتداد المسير الصليبي وسيطروا على جبال لبنان الشمالية، إذ أستوطنوا منطقة جبال لبنان الغربية المعروفة باسم جبال كسروان الممتدة حتى حدود سهل عكار، وكان المـوطن الماروني مطوقا بإمارة التنوخيين جنوبا والبحر الأبيض المتوسط والمدن الصـالحية مثـل بـيروت وجبيـل وطـرابلس التابعة للسلطة الفاطمية غربا وشرق دمشق التابعة للأتراك السلاجق[٥] وقد كان لحصانة الموقع وتوافر المياه

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٨

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٨

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٨

(٤) يختصر سركيس ابوزيد،الاراء التي ناقشت موقف الموارنة في الحروب الصليبية فمنهم من أعتبر كل من تعاون مع المسـلمين خان الموارنة اولا والمسيحيين الشرقيين ثانيا، والصليبيين ثالثا. ومنهم من بالغ في وصف السلبية في العلاقـات الفرنجيـة المارونيـة زاعما أن الموارنة في لبنان يخالفون منذ القدم الاجانب والغزاة الاوربيين ضد شركائهم المسلمين. موقف يدل على تفأهم وتوافـق بين الموارنة والصليبيين في بداية الحملة الا أن هذا الوضع تغير كما يتضح في زجلية ابن القلاعي وذلك عقب خلاف ديني في عـام ١١٣٧م عندما حاول الصليبيين التدخل في العقيدة الدينية للموارنة .، سركيس ابـو زيـد، الموارنـة سـؤال في الهويـة، دار ابعـاد – بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧٤، ٨٣. وسيشار اليه لاحقاب سركيس ابوزيد، الموارنة، انظر أيضاً كمال الصليبي، تعريـف تـاريخي بلبنـان، ص٣٧٦؛ رينيه كروسيه، صراع الشرق والغرب، دار قتيبة- دمشق- ٢٠٠٢، ص١١٤، وسيشار اليـه لاحقابـ رينيـه كروسـيه، صراع الشرق والغرب؛ بطرس ضو، ج٣، تاريخ الموارنة الدنيوي، ص٤٥٥؛ عبدالله عبيدالله، تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق، ط١، ٨ج، دار ملفات- لبنان، ١٩٩٧م، ج٢، ص٧٢، وسيشار اليه لاحقاً بـ عبدالله عبيدالله، تاريخ الموارنة ومسيحيي االشرق؛ سـمير عبـده، المسيحيون السوريون، ص٨٧.

(٥) يشير، عبدالله عبيدالله، تاريخ الموارنة، استنادا إلى المؤرخ نعمان القساطلي، صاحب كتاب الروضة النعمانيـة إلى أن الموارنـة تمتعوا في ظل السيادة الاسمية للفاطميين بكثير من الحرية وفتح لهم باب الترقي في سلك المناصب. وتشابه الأمر كذلك في العهد الصليبي، ويؤكد التفاهم بين المسلمين والموارنة في القرن الحادي عشر الميلادي رواج اسـتخدام اللغـة العربيـة محـل السر-يانية، وترجمت بعض الكتب الدينية المارونية إلى العربية . عبدالله عبيدالله، تاريخ الموارنة ومسيحي الشرق، ج٢، ص١٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

دورٌ كبيرٌ في منح الموارنة استقلالهم في قلاعهم وجبالهم، كما كان لاختلاف العقيدة المسيحية بين الموارنة وغيرهم من الطوائف المسيحية وخاصة تلك الموالية للدولة البيزنطية، دورٌ كبيرٌ في الترحيب بالصليبيين[1]، ولا يكمن السبب في عداء للمسلمين، إذْ لا تشير المصادر العربية ولا حتى الكتابات المارونية، إلى أي تدخل من السلطة الإسلامية في الشؤون المارونية. وعلى الرغم من الإشارات الكثيرة والمتكررة إلى الخدمات التي قدمها المسيحيون الموارنة للجيوش الصليبية، فأنها - وفي فترة الدراسة - مساعدات محدودة لم تتعد ما قدمه غيرهم من السكان المحليين سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين. ويشير وليم الصوري إلى أن الموارنة قد قدموا حوالي ثلاثين ألف نبال لمساعدة الصليبيين، وهي رواية ضعيفة لان مجموع الموارنة لم يتجاوز عددهم ٦٠،٠٠٠ شخص[2]. وقد بدا الاتصال بين الصليبيين والموارنة، في أثناء حصارعرقة، حيث قدم الموارنة من جبالهم، وبادروا بعرض المساعدات على الصليبيين، وهي التي تمثلت في المؤن والأدلاء[3]، بينما تمثلت المساعدة الحقيقية التي قدمها الموارنة مع غيرهم من السكان المحليين، في إرشادهم إلى طريق الساحل المؤدية إلى القدس، بدلا من الطرق الداخلية لكونها أقل خطرا، بغية الوصول إلى القدس[4]، وقد وفرت البيئة الجغرافية للموارنة فرصة التحكم، بحيث تحدد العلاقات بالصليبين، فهم يعيشون على قمم جبال لبنان الغربية، خاصة جبل كسروان، وهي مناطق تمتاز بخصوبة عالية ووفرة في المياه، بالاضافة إلى المناعة الطبيعية[5]. وهذه الظروف جعلت الصليبيين، في هذه المرحلة، بحاجة للموارنة، وليس العكس، حيث وفر الموارنة للصليبيين الغذاء وأمنوا لهم السبل. ويمكن القول أن

---

(١) . الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٨٧. انظر أيضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٢٥

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٢٥

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٢٥; Gesta Version, p.١٦٥

انظر أيضا: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٨٧.

(٤) انظر:

Gesta Version, p١٦٥; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٢٥

انظر أيضا: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٨٧.

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٢٥

انظر أيضا: ابن جبير، رسالة اعتبار، ص ٢٢٥.

http://www.al-maktabeh.com

مساعدة الموارنة هي مساعدة جغرافية محضة، بمعنى أنهم دلوا الصليبيين على الطرق والمسالك، لكنها ليست مساعدة عسكرية، ولاسيما وان الجنود الصليبيين قد تعرضوا لحالات خطف من جماعات مسلحة حول صيدا، ولم يتمكن الصليبيون من العثور عليهم[1]، ويمكن القول أن الموارنة لو أرادوا- وهم الخبراء في المنطقة – لساعدوا الصليبيين في العثور عليهم اوالتعرف على الفئة التي قامت بخطفهم. وتؤيد الدراسة الراي القائل أن الموارنة لم يكونوا من أسباب نجاح مهمة الحملة الصليبية الأولى ، فما قاموا به من سلوك تجاه للصليبيين، يشبه حال من سبقهم وتبعهم من أهل المنطقة مسلمين ومسيحيين على حد سواء[2].

التوسع الصليبي في المنطقة الجنوبية من الساحل الشامي(فلسطين):(١ رجب -٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ /٢٤ ايار – ١٥ تموز ١٠٩٩م)

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p٢٢٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٢٥

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢٤; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٨

وتشير الدراسات العربية الحديثة إلى أن الموارنة قد لعبوا دورا كبيرا إلى جانب الصليبيين وكان لهم فضل كبير في التقدم الذي احرزه الصليبيون في لبنان وخاصة في حصار طرابلس انظر: عبدالعزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص١٢٩، وسيشار اليه لاحقاً بـ عبدالعزيز سالم، طرابلس الشام ؛ محمد كوراني، الجذور التاريخية للمقاومة الاسلامية في جبل عامل، دار الوسيلة- بيروت : ١٩٩٣م، ص٣٠، وسيشار اليه لاحقاً بـ محمد كوراني، الجذور التاريخية، ، في حين يؤكد أخرون أن الموارنة لم يسعوا إلى الاندماج داخل المجتمع الافرنجي، بحيث احتفظوا بخصائصهم واستقلالهم بصورة جوهرية وان ارتبطوا بالمملكة والإمارات اللاتينية بروابط رسمية أكثر منها فعلية؛ انظر : بطرس ضو، تاريخ الموارنة الديني، ج٣،ص٤٧١؛ زكي النقاش، أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة، دار لبنان- بيروت ١٩٧٠ ص٤٠، وسيشار اليه لاحقاً بـ زكي النقاش، أضواء توضيحية؛ وهنا يقف كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان (٦٣٤هـ/١٥١٦م)، ط١، منشورات كارافان- نيويورك، ١٩٧٩م، ص٨٩، وسيشار اليه لاحقاً بـ كمال الصليبي، منطلق تاريخ؛ وعبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص١٥٢، موقفا اكثر توضيحا إذ يشير إلى أن موارنة القرى القريبة من الساحل تقربوا إلى الفرنجة حتى يستفيدوا من النهضة الاقتصادية، اما موارنة الجبل فتحفظوا تجاه الفرنجة تماما كما كانوا متحفظين تجاه المسلمين من قبل. وهنا يمكن الاعتماد على حوادث عام ١١٣٧م في طرابلس عندما عمد ريموند الثاني إلى مهاجمة موارنة الجبل لأنهم تسببوا في مقتل ابيه بان دلّوا المسلمين على مكأنه. ويشير آخرون إلى أن السبب في توتر العلاقات الصليبية –المارونية هو استئثار الصليبيين السلطة ومعاملة كل البلاد واهلها كارض محتلة. عبدالله عبيدالله، تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق، ص٥٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

تمكن ريموند دي سان جيل في ١رجب ٤٩٢ هـ/٢٤ ايار ١٠٩٩م، من دخول المنطقة الجنوبية(فلسطين) بقوة لم يتجاوز قوامها الف وخمسمائة فارس وقلة من المشاة[١] بعد أن عبروا، بسهوله - جبل عامل[٢] الضيق، مع أنهم اضطروا للعبور فرادى اوجماعات صغيرة، وبدلا من أن يستغل سكان المنطقة وحاميتها الفاطمية ضيق المعبر[٣]، اكتفت الحامية الفاطمية في عكا بالاختباء خلف أسوارها[٤]، فسارع حاكم عكا[٥] إلى تقديم التسهيلات اللازمة لاستمرار تقدم الجيوش الصليبية بل تجاوزه إلى حد التعهد بتسليم المدينة للصليبيين في حال استيلائهم على القدس وقضائهم على الحامية الفاطمية فيها، وبقائهم فيها لمدة عشرين يوما[٦]. مما يوضح عدم اختلاف موقف الحاميات الفاطمية في فلسطين عنه في لبنان، وهو يتزامن مع قيام الوزير الأفضل بن بدرالجمالي بسحب الحاميات والجنود وتسييرها نحوالقدس استعدادا للهجوم الصليبي المتوقع[٧]. وبعد إقامة هادئة في سهل عكا تقدم الصليبيون بمحاذة الساحل، تحدّهم جبال الكرمل شرقا، والبحر الأبيض المتوسط غربا، والجليل جنوبا، وترد إشارات إلى أن حاكم عكا قد أرسل رسالة تحذيرية لحاكم قيسارية الفاطمي- والذي تغفل المصادر اسمه- ودعا فيها إلى مقاومة التقدم الصليبي، إلا أنها سقطت بيد قوات ريموند دي سان جيل[٨] وهي رواية ضعيفة، فحاكم

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٢٦

(٢) يعرف هذا الجزء من جبل عامل في الأراضي الفلسطينية باسم الجليل الأعلى، انظر الموسوعة الفلسطينية، مج ٣، ط١، ١٩٨٤، ص ١٥٤.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٢٤; Gesta Version, p. ١٦٦; William of Tyre, A History of Deeds, p.٣٩٩

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩; Hill, Raymond IV, p. ٢٢٤

(٥) لا تشير المصادر إلى اسم هذا الحاكم، وتكتفي بالإشارة إلى أنه حاكم عكا الفاطمي وعلى الارجح انه زهر الدولة الجيوشي الذي سلم المدينة إلى الفرنج في ٤٩٤هـ/١١٠٤م. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٧٣

(٦) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢٤; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٣٩٠

(٧) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٥; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤١٢

(٨) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢٥

http://www.al-maktabeh.com

عكا نفسه لم يقاوم الصليبيين، بل بادر إلى عقد اتفاقيات معهم تضمن التقدم الصليبي، إضافة إلى أن الصليبيين طوال مدة إقامتهم في سهل عكا التي استغرقت خمسة ايام، لم يقوموا باي أعمال نهب، مما زاد الثقة بالتزامهم بالمحافظة على المناطق الزراعية ما دامت احتياجاتهم الغذائية مؤمنة. وعلى الرغم من ذلك، لم تبد حامية فيسارية أي مقاومة تذكر، بل تشير المصادر إلى ثمة إقامة هادئة للصليبيين في السهول المحيطة بقيسارية ما بين ٦ رجب ٤٩٢هـ/ ٢٩ ايار ١٠٩٩م - ٨ رجب ٤٩٢ / ٣١ ايار ١٠٩٩م[١]، ليعبروا بعدها منطقة سهلية فسيحة تجاوزوا خلالها مجموعة من المدن بدءا من أرسوف وصولا إلى اليازور[٢] حتى اللد دون أي مقاومة تذكر، ومنها انطلقت قوة صليبية بقيادة روبرت كونت الفلاندر نحوالرملة، ليكتشفوا أن المدينة خالية من السكان[٣]، وأقاموا فيها ثلاثة ايام ما بين ٨ -١٠ رجب ٤٩٢هـ / ٣١ آذار - ٢ حزيران ١٠٩٩م، مستمتعين بتناول الكميات الكبيرة من الحبوب والخمور والزيوت وغيرها من المواد الغذائية التي تركها السكان خلفهم، وكأنهم لم يحملوا معهم شيئا[٤] وتجدر الإشارة إلى أن المدينة قد تعرضت إلى زلزالين مدمرين قبل الغزوالصليبي، الأول حدث في عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م[٥]، والثاني في ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[٦] قد يكون لهما دور في إضعاف حماية المدينة، وبالتالي إضعاف من

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٢٥ ; Gesta Version, p. ١٦٦

(٢) اليازور. لا تعطي مصادر الحملة الأولى اية وصف للمدينة فترة الدراسة. وهي تقع على مسافة ٥ كم جنوب شرقي يافا، كما تقع على أرض منبسطة، ترتفع نحو٢٥م عن سطح البحر، وتبلغ مساحتها ٨٧ دونما. الموسوعة الفلسطينية، ج٤، ص ٦٠٢-٦٠٣.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٢٥; Gesta Version, p. ١٦٦; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٦٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠٠

هذا وقد سبق وتعرضت المدينة لزلزال تدميري في عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٢٤; Gesta Version, p.١٦٦; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٠٠

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٥٠٤.

(٦)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٥٠٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تبقى من السكان، مما يقلل من احتمال ثباتهم أمام التقدم الصليبي وقد بلغت المواد التموينية من الكثرة حدا ساعدهم على استمرار حصارهم لمدينة القدس[١].

وهنا لا بُدّ من الإشارة إلى أن الصليبيين قد أقاموا اول تنظيم لهم داخل فلسطين، عندما عينوا أسقفا لمدينتي اللد والرملة وما يتبعهما، واعتبروهما وفق للنظام ال اقطاعي الذي درجوا عليه في أوروبا ملكية دائمة له[٢]، ويشير ريموند أجيل إلى أن عمليات التوسع داخل الأراضي الفلسطينية كانت فردية لا جماعية، تعبر عن طموح البعض بتأسيس ملكيات خاصة بهم، وذلك بعد أن لاحظوا ضعف المقاومة، بل وهروب الكثير من السكان من مدنهم وقلاعهم من أمام التقدم الصليبي[٣]، وفي هذه الاثناء قدم وفد من أهالي بيت لحم[٤]، وأغلبهم من اليونان والسريان[٥]، إلى المعسكر الصليبي حال وصول الجيش الصليبي مدينة عمواس[٦]، التي أقاموا فيها ليلة

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p٧٠

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٠٠

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٥

(٤) بيت لحم: تصفها مصادر الحملة الأولى وصفا دينيا مركزا على اهمية كنائسها باعتبارها مهد مولد السيد المسيح، وجلّ سكانها من المسيحيين الاغريق والسوريين، وتقع المدينة على جبل يرتفع قرابة ٧٨٠م عن سطح البحر في الجزء الجنوبي من سلسلة جبال القدس، وعلى مسافة تزيد قليلا على ١٠ كم جنوبي مدينة القدس. انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p.٧٠

وانظر أيضا:

Fr. Buhl, "Bait Lahm", E.I.٢, vol. i, p. ٥٩٨

(٥) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p.٧٠; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠٣

(٦) عمواس: نيقوبوليس يرد اسمها في المصادر الصليبية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، وتنبع اهميتها في موقعها على الطريق الرئيسي للقدس. انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p.٧٠

وانظر أيضا:

J. Sourdel-Thomine, "Imwas", E.I.٢, vol. iiii, pp. ٤٦٠-٤٦١

http://www.al-maktabeh.com

واحدة، وطالب أهالي بيت لحم بارسال قسم من القوات الصليبية إلى مدينتهم، لخوفهم من توجه القوات الفاطمية نحوالقدس[1]. ويمكن القول أن خروج الحامية الفاطمية منها لحماية القدس فرصة استغلها أهل بيت لحم وجلهم من السريان، للحصول على استقلال ذاتي بمساعدة فرنجية[2]. وعلى إثر ذلك توجهت حملة من الصليبيين تضم ثلاثمائة فارس إلى بيت لحم حيث استقبلهم سكان المدينة استقبالا دينيا حافلا[3]. وقد أثارت استجابة الدوق غودفروي لدعوة أهالي بيت لحم غضبا عارما لدى عامة الجند الصليبي بقيادة تانكرد الذي لم يكن مستعدا لان يواجه ما يعيق سيره نحو بيت المقدس، فغادروا المعسكر دون إذن بالرحيل. وتفأجأ أهالي القدس خاصة الرعاة والمزارعين بظهور قوات تانكرد الذي نهب قطعأنهم[4]، وهم في مراحل الاستعداد والتجهيز للحصار، وهذه الإشارة دالة على متابعة الفاطميين وأهالي المدينة للتقدم الصليبي، أما القوة الفاطمية داخل المدينة فقد فتشير المصادر الصليبية إلى أنها كانت مكونة من نحو(٤٠،٠٠٠) محارب[5]، وعلى الارجح أن هذا

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٠; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠٣

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٠١

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٤٣؛ ابن الأثير الكامل، مج ٨، ص ٤٠٥-٤٠٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ أبوالفداء، المختصر، ج٢، ص ص ٢٨؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص ٥٣٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام(حوادث، ٤٩١هـ-٥٠٠هـ) ص ١٥-١٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج ٩، ص ٣٨٦؛ عبد الحي بن احمد ابن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٩ج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج٤، ص ١٠٥، وسيشار اليه لاحقاً بـ: ابن العماد الحنبلي، شذرات. وانظر أيضا: مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمان- عمان، ١٩٩٤، ص٢٤، وسيشار اليه لاحقاً بـ مصطفى الحياري، القدس. انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p. ٧١; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٥

(٤) انظر:

Fulcher of Charter A History of The Expedition, p. ٧١

يشير الدراسات الحديثة إلى أن البدو المحيطين بالقدس هم مجموعات زراعية الا أنها احتفظت بمركز اجتماعي ارقى من الفلاحين. وائل عبد الرحيم، القدس في العهدين الفاطمي والايوبي، دار مجدلاوي -عمان، ٢٠٠٥، ص١٤٨، وسيشار اليه لاحقاً بـ وائل عبد الرحيم، القدس.

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٣٥; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤١٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرقم مبالغ فيه، ومع ذلك يمكن القول أن الحامية في فلسطين تكونت من أفراد الحاميات الفاطمية في الحصـون المجاورة[١]، مما يفسر سهولة التقدم الصليبي في المدن والقرى الفلسطينية[٢]، حيث تركت بـلا حمايـة بعـد حشـد الطاقات في تلك الحصون لحماية بيـت المقـدس والمهـاجرين الـذين فـروا أمـام الجيـوش الصـليبية والـراغبين في الدفاع عن المدن المقدسة. ولايغفل هنا حاميـة المدينـة وسـكأنها بمختلـف فئـاتهم وطـوائفهم، وهـم الـذين تـم تجنيدهم لهذه الغاية[٣]. وقد اتم الفاطميون وسكان القدس استعداداتهم لتحصـين المدينـة، وتأمينهـا مـن أجـل الصمود أمام حصار طويل. لأنهم على ثقة بان هدف الصليبيين يكمن في احتلال القدس، دون التخلي عنها، لذلك سارعوا إلى تأمين الأطعمة والأسلحة والمواد الضرورية لها مثل الخشب والحديد والفولاذ[٤]. كما عمل الفـاطميون على إعفاء السكان المحليين من الضرائب وإعطائهم الجوائز السخية بغية كسب ودهم وولائهم، وقـد جـاء ذلـك بفائدة، إذ إن السكان أجهدوا أنفسهم من أجل تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم، وتم استدعاء أهالي المدن المجـاورة، فوقف المدنيون والعسكريون جنبا إلى جنب في بناء الدفاعات وإرساء تعزيزات المدينة[٥]. ويشير وليم الصوري – في رواية ضعيفة – إلى أن المسيحيين داخل المدينة قد تعرضوا إلى سلب ممتلكاتهم، وفرض ضرائب عالية عليهم،

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٣٥ ;William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٦

(٢) انظر

Hill, Raymond IV, p. ٢٣٥ ;William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٦

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٦

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠١

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠١

http://www.al-maktabeh.com

أجبرت بطريرك المدينة سمعان الثاني(ت ١٠٩٩م)[١]إلى مغادرتها إلى قبرص، لجمع التبرعات وتقديمها للصليبيين، بل أن الفاطميين أخرجوا المسيحيين من المدينة ليتفرقوا في القرى المجاورة[٢]. وهي رواية ضعيفة للأسباب التالية: قتل الصليبيين سكان المدينة وجميع من فيها مسلمين ومسحيين[٣] وقد كان غالبية سكان القرى المحيطة بالقدس من المسيحيين[٤]. بينما كان سكان القدس خليطا من المسلمين السنة والشيعة، والنصارى بشتى الطوائف[٥] بالاضافة إلى اليهود[٦]، وتحيط بالمدينة قبائل عربية منها بنوالدار[٧] وفرع من بني مرا[٨]. كما أن بطريرك المدينة قد كان غادرها مسبقا بهدف جمع التبرعات وتوفي في قبرص. ومن ضمن الاجراءات الأضافية التي

---

(١) البطريرك سمعان الثاني، كان البطريرك قد غادر القدس قبل وصول الصليبيين اليها متجها إلى قبرص لجمع التبرعات لاعادة ترميم كنيسة القيامة، وقد استغل الصيبيون غيابه فقاموا بابدال الكنيسة الارثوذكسية بالقدس باخرى لاتينية. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٠١

وانظر أيضا: خوري، خلاصة تاريخ، ص٦٩.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠١

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠١

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٠١

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٢.

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٦

وتجدر الاشارة هنا إلى الدراسات الحديثة تقف موقفا حائرا حول الوجود اليهودي في القدس عند وصول الصليبيين اليها أي في ظل الدولة الإسلامية، فيشير على سبيل المثال وائل عبد الرحيم، القدس، ص١٦٩إلى أنه "لم يكن فيها يومئذ يهودي واحد" ويعود في نفس الصفحة إلى القول" وبقدوم الصليبيين إلى بيت المقدس فأنهم لم يبقوا بها يهوديا واحدا على قيد الحياة "، وذلك في الوقت نفسه الذي يؤكد فيه يوشع براور، عالم الصليبيين، ص٨٧، على الوجود اليهودي في القدس وعلى ما تعرضوا له من عنف على يد الصليبيين دفعهم إلى التعاون مع المسلمين.

(٧) بنو الدار: وهم بطن من لخم، أبوالفضل محمد بن طاهر بن القيسراني المقدسي (ت٥٠٧هـ/١١١٤م)، الانساب المتفقه، ط١، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٦٠، ص٥١، وسيشار إليه لاحقاً بـ ابن القيسراني الانساب المتفقه.

(٨) بنو مرا: من آل ربيعة ويصفهم العمري بقوله "خفراء القدس" ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص١٠٩ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

اتخذها الفاطميون ايقاف المصادر المائية عندما بلغ إليهم خبر اقتراب الصليبيين، ثم ألقوا فيها القاذورات ليصبح المكان غير صالح من أجل الاصطبار على حصار طويل، كما دمرت صهاريج وأحواض ماء المطر حتى لا تصلح لتخزين الماء[1]. وذلك على الرغم من أن أهالي بيت لحم قد تبرعوا بان دلّوا الصليبيين على مصادر مائية ممثلة بعين سلوان(سلوم)[2] خارج اسوار المدينة[3]. وأجبر جميع السكان المسحيين على العمل، وبأعباء أضافية، خوفا من اتهامهم بالتعاون مع الصليبيين بسبب ولائهم الديني، وتجدر الإشارة إلى أن الحديث عن السكان لا يعني أهل القدس وحدها، وإنما يضاف إليهم اللاجئون القادمون من مختلف السهول والقلاع التي سبق أن عبرها الصليبيون، وبذلك يمكن القول أن المدينة كانت مكتظة بالسكان إلى حد يفوق قدرتها الاستيعابية[4]. وتلاحق قدوم الصليبيين تباعا ليكتمل عددهم ويرابطوا أمام أسوار القدس في ٦ رجب/ ٧ حزيران ١٠٩٩[5]. وبلغ عدد الصليبيين – وقتذاك -(٤٠٠٠٠) مقاتلا، منهم(٢٠٠٠٠) من الرجالة، و(١٥٠٠) من الفرسان، والبقية هي جمهرة مريضة ويائسة. وبالقرب من القدس عقد القادة الصليبيون اجتماع حرب، لدراسة طبيعة المنطقة وكيفية

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٩

(٢) عين سلوان (سلوم) : تصفها مصادر الحملة الأولى بانها جدول على بعد رمية من المدينة في الوادي على سفح جبل صهيون وهو يطفو ويفيض في فصل الشتاء. وهي حالياً مجموعة من العيون تعرف بهذا الإسم وهي المصدر المائي الوحيد لمدينة القدس تنبع من قرية سلوان المجاورة للقدس من الجهة الجنوبية. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧١

وانظر أيضا:

FR. Buhl, "AL- Kuds", E.I.[٢], pp. ١٠٩٤-١١٠٤

وانظر: الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص٥٨٠.

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٩

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢١

(٥) ويلاحظ هنا صمت المصادر العربية ازاء هذه الاحاث وتفاصيل الاشتباكات حول القدس، ربما لما درجت عليه مصادرنا من تجنب الخوض في الهزائم، واتخذت من بشاعة الاجرام الصليبي في المدينة بعد السقوط نقطة البحث الرئيسية . . .

http://www.al-maktabeh.com

حصارها، وقد تمكن الصليبيون من تحقيق هدفهم ببناء آلات الحرب والسلالم، بمساعدة متطوع دلهم على الوديان التي تزخر بالأشجار الطويلة التي يمكن استغلالها في بناء آلات الحرب مثل: المناجيق والأكباش[1]، وقد استفادوا في اجتماعهم هذا بخبرات السكان المحليين وهوأمر اعتدنا ملاحظتة طوال مسير القوات الصليبية نحوالقدس[2]. ونظرا لطبيعة المنطقة الوعرة، فقد قررالصليبيون مهاجمة المدينة من الشمال، وبناءً على ذلك رتب العسكر بشكل امتد من الباب المعروف اليوم باسم باب القديس سيتفن المواجه للشمال، حتى الباب الواقع تحت برج داوودإلى الجانب الغربي من المدينة[3]. وحوصرت المدينة من ثلاث جهات، باستثناء المنطقة الممتدة من الباب الشمالي إلى زاوية البرج والزاوية المقابلة للمنطقة الجنوبية للمدينة المشرفة على منحدر[4]. وقد استغرقت عملية تنظيم الجيش الصليبي خمسة ايام، بيد أن الهجوم الصليبي لم يأت باي نتيجة لان الأسوار أمنت حماية كافية للسكان والمقاومين داخلها، وهنا اوقف الصليبيون هجومهم حتى يتم بناء الآت حرب وسلالم تمكنهم من تسلق الأسوار والوصول إلى الشرفات[5]، الأمر الذي نجح الصليبيون في تحقيقه بمساعدة بعض اهالي المنطقة[6]، وقد عانى الصليبيون في أثناء حصارهم مدينة القدس من عدة مشكلات، تمثلت فيما يلي:

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٨

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٨

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, pp.٢٣٥-٢٣٦; William William of Tyre, A History of Deeds, p.٤١٦

(٤) يشير وليم الصوري: إلى أن ريموند دي سان جيل قد استأجر بعض العاملين من سكان المنطقة.

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٤١٦

(٥) يشير الشارتري: إلى أنها سبعة ايام.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٣

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

المشكلة الأولى : العطش الزائد بفعل ارتفاع درجة حرارة شهر حزيران، وان القدس تقع في منطقة جافة ليس فيها ماء، ولا توجد أي جداول اوينابيع اوحتى آبار ذات ماء عذب إلا على مسافة بعيدة منها[1]، وقد أدت شدة العطش إلى تدافع الصليبيين على هذه المصادر المائية، إلى نشوب منازعات بينهم وصلت إلى حد الاقتتال[2]، واستغلت الحامية الفاطمية داخل المدينة هذا الوضع، فسارعت للخروج من المنطقة غير المحاصرة للانقضاض على الفرق المنتشرة في الريف، بحثا عن الماء والطعام[3].

المشكلة الثانية: عدم وصول الإمدادات مع استمرار التناقص في أعداد الجيش، في حين كانت القدس تزود – باستمرار – بالإمدادات من الجهة الجنوبية غير المحاصرة[4].

المشكلة الثالثة: تمكن القوات الفاطمية داخل المدينة من بناء آلات حرب مماثلة للتي أنشأها الصليبيون، لكن بجودة أفضل؛ لان الأخشاب التي صنعت منها آلات الفاطميين جلبت من صور، وهي ذات نوعية خشب أفضل من خشب فلسطين، كما توافر لهم ايضا الحديد والنحاس والحبال[5]. ووصلت النجدة للجيش الصليبي بوصول أسطول جنوي إلى يافا، لمساعدة القوة الصليبية المحاصرة للقدس وتزويدها بالمؤن، وقد أرسل ريموند دي سان جيل قوة في دفعتين لارشاد قوة الاسطول: ضمت الأولى حوالي ثلاثين فارسا، والثانية حوالي خمسين فارسا[6]. وتعرضت القوة الأولى لهجوم في السهل الواقع بين اللد والرملة، وتمكن المهاجمون من إلحاق هزائم كبيرة بالقوة

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٣٧; Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٩

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤١٩

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٣٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٠

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٠

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٠

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٢

http://www.al-maktabeh.com

الصليبية الأولى ، إلا أن الوصول غير المتوقع للقوة الصليبية الثانية أدى إلى هزيمة القوة المحلية وانتصار القوة الصليبية، ثم سارت القوة الصليبية مجتمعة نحويافا[1]. ولم تكن التحركات الصليبية بعيدة عن أنظار الفاطميين، خاصة الأسطول الفاطمي الذي كان مرابطا في عسقلان، وحالما تحركت القوات الصليبية بمرافقة الأسطول الجنوي تحرك الأسطول الفاطمي لمهاجمتهم في يافا. ونظرا لقوة الأسطول الفاطمي، فقد تم تجريد الصليبيين من سفنهم ومراكبهم بما فيها من أمتعة، واحتموا بالقلعة ولم ينجُ من الأسطول الجنوي إلا سفينة واحدة كانت متأخرة، وتمكنت من التوجه إلى اللاذقية[2]، ولم يواجه الصليبيون أي مقاومة في يافا نفسها، ذات الفيافي الخالية من التحصينات والسكان وهوما يفسر خلوالمدينة المفاجئ من السكان، فسهل على الصليبيين الاستيلاء على القلعة، ومكنهم ايضا من التمتع بمخزون القمح الهائل الذي تشتهر به المدينة[3]. وأدى وصول القوة الجنوية التي كان أفرادها خبراء ومهرة في فن بناء آلات الحصار، وجلبوا معهم الكثير من المواد الضرورية مثل الحديد والحبال، إلى تسهيل مهمة الحصار. وفي الوقت ذاته، كان تانكرد قد فرض سيطرته على بيت لحم[4]. وقد تم توزيع بناء آلات الحصار على جهات الحصار كافة، مما أدى إلى إثراء ريموند دي سان جيل، وتمكنه من دفع الأموال لأتباعه، فأفضى ذلك إلى تقدم أعمال البناء على الجهة الشمالية التابعة لقواته بسرعة فائقة، وقد استمرت هذه العمليات ما يقارب أربعة أسابيع[5]. وعُدّ الصليبيون يوم ١٦ شعبان ٤٩٢ هـ/ ٨ تموز ١٠٩٩م يوم صوم مقدس، وقاموا بموكب دار حول المدينة، وعلى الرغم من أنهم كانوا يدورون في موكب ديني، الإ أن الفاطميين وسكان المدينة

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٢٢-٤٢٣

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٣

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٣

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٤

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

اكتفوا بإلقاء الشتائم، ولم يحاولوا مواجهة هذا الموكب غير المسلح والقضاء عليه[1]. وحدّد الصليبيون يوم ٢٢ شعبان ٤٩٢هـ/١٤ تموز ١٠٩٩م يوم الهجوم على المدينة، وفي الليل قام كل من ريموند دي سان جيل، وتانكرد، وغودفروي بنقل قواتهم إلى الجهة غير المحروسة من المدينة، وهي الممتدة من زاوية البرج في الشمال حتى الجنوب عبر منحدر الوادي، الأمر الذي شكل مفاجأة كبيرة لسكان المدينة وحاميتها[2]. وقد نقل الصليبيون قواتهم بسبب استواء سطح الأرض الذي هيا تثبيت أدوات الحصار بالقرب من السور. وبُعد الجهة الشمالية وضعف مناعتها، حيث تركها المسلمون من دون تحصين كاف[3].

بدأ حصار المدينة فاتخذ تانكرد وغودفروي موقعا ملاصقا للسور حول البرج الذي عرف لاحقا باسم برج تانكرد، بينما أحاطت قوات ريموند دي سان جيل البرج المعروف باسم برج داود، وثبت الأبراج التي تم بناؤها على شرفات السور الممتد بين كنيسة جبل صهيون والمدينة[4]. وبدأت المواجهة العنيفة بين الطرفين، فالصليبيون يهاجمون بحماسة، حاملين أسلحتهم ودافعين أمامهم آلات حربهم حديثة الإنشاء، بينما سكان المدينة يقاومون بشدة ملقين على الصليبيين وابلا من السهام والحجارة، إلا أن الستائر الواقية التي استخدمها الصليبيون مكنتهم من الاستمرار في التقدم[5]. وعلى الرغم من ذلك، لم تجدِ محاولات الصليبيين اذ قامت حامية المدينة بملء الخندق المحيط بأسوار المدينة بالمياه التي جلبوها من الينابيع المجاورة للمدينة. وثبتوا على الأسوار الخارجية للمدينة أكياسا مليئة بالقش والتبن والحبال والمنسوجات والفرش وغيرها من المواد الطرية، مما قلل إمكانية إحداث ثقب في سور المدينة. وكانت الآلاتهم الحربية أكثر عددا من آلات الصليبيين، التي قذفوها بقذاف

---

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٢٥

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٢٦-٤٢٧

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٤٠

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٤٧; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٢٧

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٤; Hill, Raymond IV, pp. ٢٤٥-٢٤٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٢٧-٤٢٨

http://www.al-maktabeh.com

مشتعلة مضاف إليها الكبريت والإسفلت والزيت، مما أدى إلى ازدياد ألسنة اللهب وتأجج اشتعالها[١]. إلا أن الصليبيين سرعان ما اتخذوا اجراءات مضادة مثل طمر الخندق المحيط بأسوار المدينة وصب المياه للسيطرة على ألسنة اللهب[٢]. وقد أثارت هذه الجولة الرعب والخوف لدى الطرفين المتحاربين، فقد كان تأثيرها النفسي أقوى في ميدان المعركة[٣]. واستمر الحال إلى منتصف اليوم الثاني للهجوم: هجوم عنيف ومقاومة أعنف[٤]، وكانت النتيجة في المعسكر الصليبي ضعف في الروح المعنوية وتراجع في الرغبة القتالية[٥]، إلا أن الشجاعة سرعان ما سرت بين الجنود الصليبيين، وكما كانت أسطورة الحربة المقدسة هي محرك النصر في أنطاكية، كذلك ظهرت أسطورة أخرى في معركة بيت المقدس، فقد انتشرت أسطورة القديس الذي أرسل من السماء، ليدعوهم إلى تجديد القتال واعدا ايأهم بالنصر، فحركت هذه الشائعة الجماهير الصليبية وتمكنوا من طم الخندق وهدم السور الخارجي، وتشديد الحصار على الأسوار بالقوة، وكان ذلك على الجانب الجنوبي للمدينة، وهوالذي يقوده ريموند دي سان جيل. ويمكن القول، أن التفوق الصليبي بفعل استغلال ريموند دي سان جيل للمنطقة الخالية تقريبا من المقاومة الفاطمية، وكذلك هبوب ريح شمالية سارعت بالقضاء على أكياس القش والوسائد المعلقة على الأسوار التي أضرم فيها الصليبيون النار، مما سبب دخانا كثيفا أعاق حركة المقاومة داخل المدينة، ثم انتهاز الصليبيين اشتعال النار للاستيلاء على العوارض الخشبية التي كانت تتدلى من أسوار المدينة، لاستخدامها في قذف

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٤; Hill, Raymond IV, p.٢٤٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٢٨-٤٢٩

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٤; Hill, Raymond IV, p.٢٤٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٢٨-٤٢٩

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٣٠

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٤٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٠

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٤٧; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣١

مكتبة المهتدين الإسلامية

الصليبيين بالنيران، حيث استخدمها الصليبيون جسرا ذا قوة كافية تدعمه العوارض الثقيلة[1]، كل ذلك أدى إلى رفع معنويات الصليبيين لتحقيق مهمتهم، وفي أثناء ذلك استولى الدوق غودفروي على السور ورفع رايته على البرج، وتمكن الصليبيون بقيادة تانكرد من تسلق الأسوار ودخول المدينة، ثم فتح الباب الشمالي - الذي عُرف لاحقا باسم باب القديس ستيفن الواقع شمال المدينة - لتدخل جموع الصليبيين المدينة بصورة فوضوية[2]، فسقطت المدينة يوم الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ/ ١٥ تموز ١٠٩٩م، في الوقت الذي كان يجهل ريموند دي سان جيل خبر سقوط المدينة، وكان لا يزال يقاتل على قمة جبل صهيون، ولم يتوقف القتال إلا بعد أن هرب المدافعون من المدينة بعد أن علموا باقتحامها، وهربوا للاحتماء بساحة الهيكل وبرج داود[3]، ودخل الصليبيون المدينة من بوابتيها الشمالية والجنوبية[4].

يعد وصف دخول الصليبيين مدينة القدس الحدث الأبرز في أدبيات الحملة الصليبية الأولى ، وهوالذي يشغل حيزا أكبر لما امتزج به فرحة الانتصار ووحشية الانتقام[5]. فلم ينج حتى اولئك الذين احتموا بأقدس الأماكن المسيحية مثل ساحة الهيكل وبرج داود، ولم يميز الصليبيون بين أمراة وطفل وشاب وكهل، ولا بين معتنقي

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٤; Hill, Raymond IV, p. ٢٣٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٢

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٣٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٢

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٤

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٤

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢٢٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٤٣؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ٤٠٥-٤٠٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ أبوالفداء، المختصر، ج٢، ص ٢٨؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص ٥٣٧؛ الذهبي، تاريخ حوادث، ٤٩١هـ-٥٠٠هـ ص ١٥-١٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج ٩، ص ٣٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٤، ص ١٠٥. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٣٤-٤٣٥

http://www.al-maktabeh.com

الديانات: مسلمين ومسيحيين ويهود[1]، ولم يسلم إلا قلة ممن بقي في برج داود، وهم الذين عقدوا اتفاقية مع ريموند دي سان جيل تقضي بتسليمهم البرج مقابل خروج آمن من المدينة باتجاه عسقلان، وقد كانت الفئة المستفيدة من هذا الاتفاق هم أفراد الحامية الفاطمية[2] وقد بلغت أعداد القتلى:حسب رواية وليم الصوري عشرة آلاف قتيل داخل الهيكل[10]، ويشير الشارتري إلى أنهم من الشرقيين(المسلمين)[3]، بالاضافة إلى عدد مساو قتلوا في شوارع المدينة وفي ساحاتها[4]. وكانت المقاومة الوحيدة التي أبداها أهالي فلسطين خارج القدس عندما تعرضت القوات الصليبية المتجهة إلى يافا إلى هجوم في السهل الواقع بين اللد والرملة، قام به في رواية مبالغ فيها حوالي ستمائة مقاتل. وإذا أخذنا بالروايات السابقة التي أشارت إلى أن هاتين المدينتين قد أخلاهما سكانهما قبل وفي أثناء مرور الصليبيين بهما متجهين نحو القدس، فأنه يمكن القول أن هؤلاء الستمائة مقاتل كانوا من القبائل البدوية التي تقطن في المناطق الداخلية بعيدا عند يافا.

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٢٢٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٤٣؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ٤٠٥-٤٠٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٥٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ أبوالفداء، المختصر ج٢، ص ٢٨؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص ٥٣٧؛ الذهبي، تاريخ حوادث، ٤٩١-٥٠٠هـ ص ١٥-١٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج ٩، ص ٣٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٤، ص ١٠٥. انظر أيضاً للقتلى اليهود. رينيه كروسيه، صراع الشرق والغرب، ص١١٦. انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ٧٥, William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٣٦

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٤٦

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.٧٥

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٤٧

ويشير صالح بن يحيى إلى أن مجموع القتلى من المسلمين في أنطاكية والمعرة والقدس قد بلغ ما يزيد على مايتي الف قتل. صالح بن يحيى، أخبار السلف، ص١٧،

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الخامس: المملكة الصليبية اللاتينية ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م- ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م:-

عهد غودفروي(٢٣ رمضان ٤٩٢هـ/ ٢٢ تموز١٠٩٩م - ٢٤ رمضان ٤٩٣هـ /١٨ تموز١١٠٠م)

عانت القدس منذ صباح يوم الأربعاء ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ / ١٥ تموز ١٠٩٩م ولثمانية ايام متتالية من الفوضى والغرباء والوباء، حتى بدت وكان سحابة من الموت تلفها، وكانت خالية من السكان على الرغم من أن كل باب فيها يحمل ترسا أورمحا يدل على هوية مالك جديد[١]، فهي في فوضى يؤمنها غياب النظام، بقدر ما حققت للصليبيين من ثروة فردية هائلة[٢]، وكانت من جانب آخر نذيراً بفقد الصليبيين القدس نفسها، فلا سلطة قادرة على قيادة الجند، وتوزيع الغنائم، وتحديد الصلاحيات، ومناطق النفوذ والسيادة في الوطن الجديد، ولا فكرة عن نوع اوشكل السلطة التي ستحافظ على حلم الحملة الصليبية؛ بان تكون القدس دولة مسيحية[٣]. وسارع القادة إلى تدارك الموقف، وبعد مداولات متشعبة اتسمت بالثنائية والسرية، تم حصر الترشيح لإدارة المدينة المقدسة بين ريموند دي سان جيل واللورد غودفروي، وخاصة أن باقي القادة، وعلى رأسهم روبرت كونت نورماندي وروبرت كونت الفلاندرز أعلنوا رغبتهم في العودة إلى اوطأنهم[٤]، وبما أن ريموند دي سان جيل كان أكثرالقادة مالا وجندا، ويسيطر على قلعة المدينة برج داود–الذي سلمه اياه أفراد الحامية الفاطمية بصفة

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٦; GestaVersion, p. ١٧١; William of Tyre, A History of Deeds; p. ٤٤١

وانظر ايضاً: بوديس، الصليبيون، ص١٩٦.

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٦

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص٢٠٠

(٣) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٥٧; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٤٤-٤٤٥

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٤٨

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص١٩٧-١٩٨

http://www.al-maktabeh.com

شخصية مقابل خروجهم بأمان من المدينة -، ونظراً لنفوذه المالي وسطوته العسكرية، فقد نادوا به حاكما على بيت المقدس، الإ أنه سارع بالرفض، وان كان قدندم على تهوره هذا فيما بعد[1]، وعلى الأرجح أن رفضه هذا لم يكن أعتباطياً وإنما كان لثقته التامة بعدم ترحيب القادة الصليبيين فعلياً بسيادته، وبأنهم سيعملون ضده سراً وعلنا حتى يضطروه إلى الخروج من المدينة تماما كما حدث في أنطاكية[2]. كما كان يعي رغبة جنده البروفنساليين – عماد قوته الحقيقية – في العودة إلى اوطأنهم[3]، ومخالفته رغبتهم تعني دخوله في صراع من شأنه أن يفقده هيبته في أعين مسيحيي الشرق والغرب[4]، ويقضي على المجد والشهرة اللذيْن ضحّى في سبيلهما بمقاطعة سان جيل الفرنسية. أضف إلى ذلك رغبته الشخصية في إنشاء إمارة شرقية لا يكون لأحد غيره فضل في تأسيسها وهوماعبر عنه أثناء حصار طرابلس[5]. وهذه الأسباب جميعها لا يجرؤ على إعلانها، فقد أعلن أنه لن يقبل أن يتوج ملكا في مكان صلب فيه المسيح، ووضع تاجا من الشوك على رأسه، متمسكا بماعرف عنه من تقوى وورع، فهدفه وغايته خدمة المسيح وتلبية نداء البابا أوربان الثاني[6].

بادر غودفروي إلى قبول حكم المدينة المقدسة تحت مسمى حامي القبر المقدس (dedicated of Defender of The Holy Sepulcher) وهومسمى يتلاءم مع الحملة الدينية التي أنجبت هذه الدولة، ويتجاوز به المأزق

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٥٨; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٤٨

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص٢٠٢.

(٢) انظر التوسع الصليبي في المنطقة الشمالية

(٣) انظر:

Fulcherof Charter, A History of the Expedition, p. ٧٧; Hill, Raymond IV, p. ٢٥٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٤٨

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص١٩٩

(٤) انظر:

William of Tyre A History of Deeds, pp. ٤٤٧-٤٤٨

(٥) بوديس، الصليبيون، ص٢٠٢

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٧; Hill, Raymond IV, p.٢٥٧; William of Tyre A History of Deeds, p.٤٤٨

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص٢٠٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

الديني الذي وضعه فيه ريموند دي سان جيل(1). وقد تجمع الاساقفة ورجال الدين في الوقت نفسه وأختاروا من بينهم بطريركا لاتينياً للمدينة المقدسة(2) هوأرنولف مالكورنArnof malcorn (3).

لقد حظي غودفروي بدعم اغلب الصليبيين في صراعه مع ريموند دي سان جيل حول السيادة على برج داود-قلعة المدينة الرئيسة - الذي طالب بابقاء البرج تحت سيادته لفترة مؤقتة تمتد إلى عيد الفصح؛ اذ كان قد قرر مغادرة المدينة بعد ذلك(4)، وحرصاً على عدم الدخول في إشتباك مسّلح، وبإنتظار الوصول إلى إتفاق سلمي، فتم وضع البرج تحت رعاية أسقف البارة الذي سارع إلى تسليم البرج لغودفروي قبل الموعد المحدد، فخرج ريموند محتجا إلى شرق الأردن(5). الإ أن نصر غودفروي هذا لم يدم طويلا إذ سرعان ما أضطر إلى طلب المعونة

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٥٧; William of Tyre A History of Deeds, p.٤٥٦-٤٥٧

ويشير Stevenson إلى أن حكم غودفروي كان بمثابة حل وسط بين النظامين العلماني والديني وفيه ترضية إلى حد ما إلى اطماع الأمراء ورجال الدين على السواء.

انظر:

Stevenson, The Crusades, p. ٤٢

(٢) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٥٨; Gesta Version, p.١٧١; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٤٨

(٣) أرنولف مارلكون Arnof malcorn، احد الاساقفة اتباع اديمار بدأ ظهوره القوي بعد وفاة اديمار اثناء حصار انطاكية ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، وبرفقة قوات ريموند دي سان جيل، اختير بطريركا في ١ آب ١٠٩٩م.

انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٥٧

وانظر ايضا:

Runciman, A History, vol. i, pp. ٨٩-٩٠, ٩٨-٩٩

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٥٧; William of Tyre A History of Deeds, p. ٤٤٨

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص٢٠٢

(٥) وهي منطقة تسكنها قبائل بني مهدي، والعجارمة. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٢٠

وانظر:

Hill, Raymond IV, pp.٢٥٧-٢٥٨; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٤٨-٤٤٩

انظر أيضاً: بوديس، الصليبيون، ص٢٠٢-٢٠٣

http://www.al-maktabeh.com

العسكرية من القادة المتأهبين للمغادرة، بل واستجدائها من ريموند دي سان جيل[١]، عندما بدأت أخبار تتوإلى بالاستعدادت الفاطمية بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي لاسترداد القدس[٢]. وللتأكد من صحة هذه الاخبار[٣]، تم تحريك تنكريد من نابلس إلى قيسارية إلى الرملة التي عثر فيها على قطيع من الماشية تابع للجيش الفاطمي المتمركز في عسقلان. وحصل من الرعاة -دون أستخدام أي أسلوب عنف - على معلومات وافية ودقيقة عن القوة الفاطمية من حيث العدد والإمكانيات والاهداف[٤]. وكان الأفضل بن بدر الجمالي قد قام منذ سقوط القدس بحشد ما أمكنه من قوات متنوعة من حيث الولاء الديني والسياسي[٥] وهي القوة الفاطمية في الساحل الشامي وخاصة الخارجة من القدس، وقوة قادمة من مصر، وقوات أخرى سلجوقية، وثالثة قبلية أغلبها من طئ، وخاصة أن عسقلان تشتهر بكثرة مراعيها مما يعني أحاطتها بالقبائل ووفرة الثروة الحيوانية فيها[٦]. وقد تأخر الأفضل في تنفيذ هجومه بإنتظار قدوم الإسطول الفاطمي من مصر، فسارع تنكريد بتعجيل قدوم غودفروي

---

(١) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٦٠;William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٥٨

انظر ايضاً:بوديس، الصليبيون، ص٢٠٧

(٢) انظر:

Gesta Version, p.١٧٢; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٥٩

(٣) انظر:

Gesta Version, p.١٧٢; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٥٩

(٤) انظر:

Hill, Raymond IV, p.٢٦١; William of Tyre, A History of Deeds, p.٤٦٠

انظر ايضاً: توديبود، تاريخ الرحلة، ص٣٣٧

(٥) انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٢٦٢-٢٦٤; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.١٧٢-١٧٣; Gesta Version, pp.٧٧-٧٨; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٦٠-٤٦١

انظر ايضاً:

توديبود، تاريخ الرحلة، ص٣٤٢؛ ابن ميسر، المنتقى، ص٦٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٥، الدويهي؛ تاريخ الأزمنة، ص٨٩؛ الحريري، الإعلام، ص٦٦.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٥٥، ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري (ت٧٢٥ هـ/١٣٢٤م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد. س. ريتشاردز، الشركة المتحدة- بيروت : ١٩٩٨م، ص١١٧، وسيشار اليه لاحقاً بـ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الذي وصل الرملة يوم الأربعاء ٢٠ رمضان ٤٩٢هـ/ ١٠ آب١٠٩٩م، ووصلت قوات ريموند دي سان جيل الذي لم يرغب في أن يتخلى عن الوجود الصليبي في أختبار الثبات خشية أن يقع على عاتقه عبء أنتهاء الحلم الصليبي[١]. وقد تمركز الصليبيون[٢] في أبلين[٣]، وتمكنوا من مباغتة الفاطميين في عسقلان، بمساعدة قطيع الماشية الفاطمي -الذي سبق أن أستولوا عليه- الذي ضاعف قوتهم العددية بما أحدثه من غبار، فدب الرعب في قلوب المسلمين، وبادروا إلى الإنسحاب حال بدء المواجهة صبيحة يوم ٢٢رمضان ٤٩٢هـ/ ١٢ آب ١٠٩٩م، لينتصر الصليبيون في اول مواجهة بعد الاستقرار الصليبي[٤]. ويمكن إرجاع الإنسحاب الفاطمي عدم وحدة وتجانس القوات الفاطمية سواء من حيث السيادة أم العرق أم الولاءات والإنتماءات الدينية والسياسية. وإصرار الافضل على إنتظار وصول الأسطول الفاطمي. وقد سارع الصليبيون إلى استثمار نصرهم بفرض حصار على عسقلان، حيث لم تبد حاميتها أي مقاومة، بل تفاوضوا حول شروط الإستسلام سراً مع ريموند دي سان جيل، ولم ينقذ المدينة الإ الخلاف الذي دب بين ريموند دي سان جيل وغودفروي حول سيادة المدينة إذ أعتبرها الأول حقاً

---

(١) انظر:

Gesta Version, p.١٧٢

وانظر ايضا: بوديس، الصليبيون، ص ٢٠٧

(٢) وفي رواية توديبود لم يتجاوز عددهم ١٢٠٠ فارس و٦٠٠٠ راجل. توديبود، تاريخ الرحلة، ص٣٤٢.

انظر :

Hill, Raymond IV, pp. ٢٦٢-٢٦٤; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٧; Gesta Version, p.١٧٢; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٦٠

(٣) أبلين(يبنى): كانت في فترة الدراسة قلعة منفردة لايحيط بها مدينة تحيطها القبائل البدوية. وتقع بالقرب من عسقلان إلى الجنوب الغربي من الرملة في منتصف الطريق التي تصل غزة جنوبا بيافاً شمالا. انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٢٦٢-٢٦٤; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٧

ولمزيد من المعلومات في المعاجم الجغرافية العربية أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٧٩، وفي المصادر الجغرافية الحديثة أنظر: الموسوعة الفلسطينية، ج٤، ص٦٢٤-٦٢٥وج٣، ص ٥٨٦

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة، ص٣٤٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٥؛ ابن ميسر، المنتقى، ص٦٨؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٨٩؛ الحريري، الإعلام، ص٦٦

انظر:

Hill, Raymond IV, pp. ٢٦٢-٢٦٤; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٧٧-٧٨; Gesta Version; pp. ١٧٢-١٧٣; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٦٠-٤٦١

http://www.al-maktabeh.com

شخصياً وأعتبرها الثاني حقاً للدولة الناشئة، وأنسحب ريموند دي سان جيل ورفض إستلام المدينة، وأبلغ أفراد الحامية أن قليلاً من المقاومة كافياً لرد الحصار عن المدينة[١]، وهوما حدث فعلا إذ أضطر غودفروي إلى رفع الحصار عنها[٢]، وهوما تكرر في حصارمدينة أرسوف في العام نفسه. كما بدأ غودفروي بتوزيع المناطق المفتوحة على من تبقى من فرسان الحملة على شكل اقطاعات بهدف كسب تاييدهم وولائهم، وكان أكثرهم حظوة ونصيبا تنكريد[٣]، الذي حصل على إمارة وراثية ضمت طبرية والجليل وحيفاً وتوابعها، وتفرغ غودفروي مبدئياً للشان الداخلي، وحل مشكلاته واهمها قلة الفرسان إذ لم يبق لديه من مقاتلي الحملة الصليبية الا حوالي ٣٠٠ فارس و٢٠٠٠ من الجنود المشاة[٤]، و قلة المدن التي تحت سيطرة الصليبيين وتباعدها(أنطاكية، يافا، حيفا، طبرية، القدس) ووقوعها في وسط أراضٍ معادية يسيطر عليها المسلمون، والإنتقال من مكان إلى آخر يشكل خطورة كبيرة سواء على الأفراد أم الجماعات " كثير يقتل من قبل المسلمين ولكن أناس أكثر بسبب شدة الحرارة والعطش"[٥]. أضف إلى ذلك قلة الموارد المالية، و الشح الغذائي؛ إذ رفض الفلاحون زراعة الحقول حتى يعاني الصليبيون من الجوع، "فقد فضلوا المجاعة على أن يزودوا الصليبيين باي شيء"[٦]، وهذه إشارة مبالغ فيها، وربما يرجع السبب الحقيقي إلى خلوالريف من المزارعين الذين هاجروا إما من أمام الزحف الصليبي اومن القتل والتدمير الذي رافق عبور الصليبيين لأراضيهم، كما أن القدس مدينة زراعية فقيرة لوقوعها في مناخ شبه جاف

---

(١) انظر:

Gesta Version, p. ١٧٢; Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٦٠-٤٦١

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٩; Gesta Version, p.١٧٢

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٧٩; Gesta Version, p.١٧٢; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٦٣

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٦٠

وانظر ايضا: بوديس، الصليبيون، ص٢١٣

(٥) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣

(٦) وأغلبهم من مسلمين أنظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٧١

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعدم توافر المياه فيها[1] والاهم هوالفوضى الأمنية: فالقدس مدينة أسوارها مبعثرة قليلة السكان، متباعدة المنازل، مما شجع السكان المحليين على مهاجمة المدينة ليلا والبطش بالصليبيين في منازلهم، فسارع الكثيرون إلى ترك ممتلكاتهم والعودة إلى أوروبا[2].

أعتمد الصليبيون مبداً الملكية الفردية، فقد أصبح من حق أي جندي صليبي ملكية أي منزل اوقلعة اوأرض ما دام قد رفع على المدخل ما يشير إلى شخصه، وكان مسلموالقرى المحيطة يشنون الهجوم على الصليبيين ويرعبونهم[3]، وكرد فعل على تصرفهم هذا ومكأفأة لمن تمسك بالبقاء في المدينة المقدسة أصدر غودفروي دي بويون قانوناً لتنظيم الملكية في المدينة وحصرها في من تبقى فيها، ونص القانون على أن كل من وضع يده على منزل اوأرض يحرثها لمدة سنة ويوم تصبح ملكا له، وكل من يغيب عن منزله اوأرضه لمدة سنة ويوم يفقد ملكيتها ولا يحق له المطالبة بها نهائيا، وقد عين لإجل هذه الغاية وضبط الملكيات عدد من المحاسبين الإداريين[4].

كما حاول غودفروي دي بويون إقناع الحجاج القادمين إلى القدس بالبقاء فيها وإغرائهم بأمتلاك الضياع والاراضي، وقد نجح في تحقيق ذلك بعض الشيء كما حدث مع الحجاج القادمين برفقة بلدوين وبوهيمند ودايمبرت سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م[5]. وقد دار خلاف بين السلطتين الدينية والمدنية إثر الإستيلاء على القدس لإدارة المدينة وتنظيم شؤونها، وأنتهى لصالح السلطة المدنية بإعلان غودفروي حاكما للمدينة المقدسة، وسارع رجال الدين بعد ذلك لإختيار بطريرك من بينهم ليشغل منصب البطريركية الشاغر، وتم الإتفاق على أن يلي ذلك المنصب أرنولف ماركلون وذلك في٤٩٣هـ / ١٠٩٩م، على الرغم من كل ما كان يحاط بسيرته من غموض

---

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧١

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١١٢

(٣) دانيال الراهب، وصف، ص١٠١. وانظر ايضاً:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٧٣

(٤) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٧

(٥) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٦٥-٤٦٩

http://www.al-maktabeh.com

وشبهات[1]، لكنه لم يستمر في منصبه طويلا، فبعد وصول المندوب البابوي دايمبرت(Daimbert)[2]، الذي أرسله البابا أوربان الثاني في صيف ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م مندوبا بابوياً بدلا من أدهيمار، وتوجه إلى الاراضي المقدسة بمساعدة أسطول من جمهورية بيزا كان لصليبيون قد استولوا على بيت المقدس عندما وصل إلى اللاذقية، وقد سارع بوهيمند أمير أنطاكية إلى استقباله والترحيب به[3]، رغبة منه في استخدام الإسطول البيزي لإعادة السيطرة على اللاذقية - التي استولى عليها ريموند دي سان جيل وأعادها إلى السلطة البيزنطية -[4]، وقد وجدوا معارضة كبيرة من القادة الصليبيين أمثال ريموند دي سان جيل وروبرت النورماندي وروبرت كونت الفلاندرز خشية تعكير العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية[5].

غادر دايمبرت وبوهيمند اللاذقية بإتجاه جبلة - بانياس حيث أدركهم بلدوين، وتوجه ثلاثتهم إلى بيت المقدس، مروراً بانطرطوس ومنها إلى بيروت - صور – عكا، حيث صادفوا العديد من المتاعب أهمها برودة جبال لبنان، والشعور العدائي الذي قوبلوا به من الأهالي، الإ أنهم حصلوا على مساعدة وحيدة من حاكم طرابلس ابن عمار[6] خففت من معاناة الرحلة إلى بيت المقدس التي وصلوها في ٢٧ ربيع الأول ٤٩٢هـ/ ٢١ كانون الثاني ١٠٩٩م[7].

---

(١)انظر:

Hill, Raymond IV, p. ٢٥٧

(٢) دايمبرت أوف بيزا: رئيس أساقفة بيزا ومن الاتباع المخلصين للبابا أوربان الثاني، وحضر إلى اللاذقية في ٤٩٢هـ/١٠٩٩م برفقة ١٢٠ سفينة أعملت النهب في اراضي الامبراطورية البيزنطية وسارع إلى الانضمام إلى بوهيمند. واختير بطريركا للقدس في صفر ٤٩٣هـ/ كانون الأول ١٠٩٩م.

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨٠; William of Tyre History of Deeds, p.٩٩

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٨٠; William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٤

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٧٩; William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٢

(٥) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٥

(٦) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٥

(٧) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد حققت زيارة بوهيمند وبلدوين إلى القدس فوائد كثيرة لغـودفروي منهـا إنضـمام عـدد مـن الجنـود الـذين رغبوا بالبقاء قي القدس إلى قواته، كما تمكن من إقناع الإسطول البيزي بمساعدته في التوسع[١]، وفي اواخر كـانون الثاني تم إعلان دايمبرت بطريركا على بيت المقدس، وقام كل مـن غـودفروي وبوهيمنـد بالتنـازل لـه عـن جميـع ممتلكاتهم، ليقوم هوبإرجاعها لهم على شكل هبات كما يفعل السيد الاقطاعي[٢]. كما تم تحديد المصادر الماليـة التي تمكن البطريرك من إدارة مؤسسته، وتم تسليمه الممتلكات التي كانت تخص بطريركية القدس بالاضافة إلى ممتلكات أخرى[٣]. وغادر كل من بوهيمند وبلدوين المدينة المقدسة في خط لم يكن ثابتـاً حيـث توسـعوا أحيانـا الداخل وعادوا أحياناً أخرى إلى الخط الساحلي نهر الأردن – بيسان – طبرية – بانياس – البقاع-بعلبك –الساحل السوري –أنطاكية[٤].

مع نهايات صـفر ٤٩٣هــ/ كـانون الأول١٠٩٩م- ربيـع الاول ٤٩٣هــ/ مطلـع شـباط ١١٠٠م حـدث نـزاع بـين غودفروي والبطريرك دايمبرت حول ملكية برج داود وجزء من مدينة يافـا، وقـد بلـغ هـذا النـزاع حـد الإشـتباك المسلح، وانتهى بالإتفاق على أن يتخلى الدوق غودفروي عن الجزء الرابع من مدينـة يافـاً إلى كنيسـة القيامـة. و يسلم البطريرك مدينة القدس مع برج داود للدوق غودفروي مشروطا بان يتمتع الدوق بالمدينة وقلعتها، حتـى يتسنى له توسيع المملكة، والسيطرة على مدينة اومدينتين أخريين، وإذا ما مات الدوق في تلـك الأثنـاء مـن دون وريث شرعي، فان جميع الممتلكات السابقة تعود إلى البطريرك دون مشقة[٥].

(١)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٦

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨٢; William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٦٦

(٣)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp.٤٦٥-٤٦٦

(٤)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٦٦-٤٦٧

(٥) لمعرفة المستندات التاريخية التي استند عليها البطريك في مطالبه سالفة الذكر والدوافع التي دفعت غودفروي بالقبول بمثل هذه الشروط والمتمثلة برغبته بالإستفادة من الأسطول الجنوي الذي كان برفقة البطريرك. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٦٧-٤٧١

http://www.al-maktabeh.com

كما أستغل غودفروي زيارة بلدوين وبوهيمند لتنظيم مؤسسات الدولة الناشئة على النحوالتالي[1]:

مجلس الملك: ويضم إلى جانب الملك كبار القادة، ويصدر القوانين والتشريعات

مجلس القهرمان: يرأسه قهرمان(صنجيل) القدس، ويضم أعيان المدن الكبار وأختصاصه متابعة الشؤون المالية من واردات ومصروفات.

مجلس القضاء، يرأسه أحد القضاة في كنيسة القيامة، وهويختص بالدعاوى المفروضة ضد سكان المدينة الاصليين وما حولها[2]. وقام الصليبييون منذ بداية التأسيس بتسجيل الدعاوى والقرارات والأنظمة والتعليمات والاحتفاظ بها على شكل سجلات داخل كنيسة القيامة[3].

توسع حدود الدولة:-

ضمت الدولة الصليبية الناشئة أجزاء صغيرة متباعدة وهي بيت لحم واللد والرملة ويافاً أضافة إلى القدس، وتولى تنكريد مهمة إستلام نابلس من أهلها بعد موجة الرعب التي سادت المدينة إثر سقوط بيت المقدس، ليجدها شبه خالية من المسلمين الذين يشكلون غالبية أهل الضياع[4].

(١) انظر:

Jonathan Riley-Smith, the Atlas of The Crusades, Times Books- London, ١٩٩٠, p. ٣٦

وسيشار اليه لاحقاً بـ:

Smith, the Atlas

(٢) انظر:

Harold S. Fink, the Foundation of the Latin States ١٠٩٩-١١١٨, vol.i, p. ٣٣٢, in Setton, Kenneth Meyer, A History of The Crusades, ٦vol, University of Wisconsin Press- Madison, ١٩٦٩

وسيشار اليه لاحقاً بـ:

Harold S. Fink, the Foundation of the Latin

(٣)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٧٢

وأنظر ايضاً:

Harold S. Fink, the Foundation of the Latin, p. ٣٣٢

(٤) ابوشامة، الروضتين، مج٢ ج٣، ص٢٠٣. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p.٤٥٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

كما كان ريموند قد وصل إلى أرسوف- بعد تخليه عن غودفروي في حصار عسقلان- وفرض عليها حصاراً في آخر رمضان ٤٩٣هـ/ منتصف آب ١٠٩٩م، حتى شارفت على الإستسلام، الإ أن توجه غودفروي من عسقلان إلى أرسوف جدد صراع السيادة بين الطرفين، مما دفع بريموند إلى رفع الحصار وتحريض السكان على مقاومة قوات غودفروي الذي أضطر في النهاية إلى رفع الحصار عن المدينة، بعد أن ترك في الرملة حامية صغيرة لإزعاج أهالي أرسوف[١] وقد كرر محاولة فرض حصارجديد على أرسوف في جمادى الأولى ٤٩٣هـ/ آذار ١١٠٠م فشل في نهايته بسبب تدني المخزون الغذائي لجنوده، مع وفرة غذائية لحامية أرسوف تمكنهم من الصمود لحصار طويل[٢].

أثناء حصار أرسوف الأخير قدم إلى غودفروي مجموعة من الزعماء المحيطين بنابلس[٣] حاملين معهم هداياً من الخبز والنبيذ التين والزبيب بهدف استكشاف قوات غودفروي، وبدلا من أن يلاحظوا ضعف وفقر قواته نرأهم يحولون الوضع المزري للقوات الصليبية إلى اثبات عظمة وهيبة غودفروي وقواته[٤].

تمكن تنكريد -من جانب آخر – بسط سيادته على منطقة الجليل التي كانت تعاني من فراغ سياسي خلفه الفاطميون إثر هزيمتهم في عسقلان، فأحتل بسهولة طبرية التي لم يكن فيها الإ قلة من السريان بعد هروب أهلها المسلمين، وهوما تكرر في بيسان[٥]. ولم يمنعه من الإستمرارفي التوسع الإ قلة الرجال، فاكتفوا بالإحتفاظ

---

(١) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٧٢

(٢) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٧٢

ويشير ابن الأثير في رواية إلى أن الحصار كان على عكا. ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٣

(٣) يقتصر ذكر القبائل المحيطة بنابلس على بقية من مضر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٩٢

(٤) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٧٢-٤٧٣

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨١

http://www.al-maktabeh.com

بحاميات في بيت المقدس وبيت لحم واللد والرملة والخليل. وكان يسيطر على الخليل وريفها عشية الاحتلال الصليبي لها القبائل العربية من بني جرم[١] المعروفين بجذيمة وهم "ببلاد غزة والداروم[٢] مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل"[٣] إلى أن تمكن تنكريد من فرض سيادته الكاملة على المدينة، وظلت الأراضي خارج المدينة تحت سيطرة العرب[٤]. ولم يتمكن الصليبيون من فرض سيادتهم الكاملة على المدينة إلا ببناء حصن الخليل في ٤٩٣هـ/ ايار ١١٠٠م[٥]، وبعد عقد غودفروي أتفاقيات تجارية مع شيوخ القبائل، فمن المعروف أن القبائل في الخليل وغيرها من المدن الفلسطينية لها أمتداداتها في شرق الأردن، ومن ثم كان من الصعب أن تجري الأحداث في مكان الإ ويكون لها إنعكساتها على القبائل العربية المقيمة في شرق الأردن لضمان مسيرها، وهوما يمكن تعميمه على مناطق[٦] يافاً ونابلس وبيسان وطبرية، أما الأراضي والمزارع المحيطة بها فقد ظلت في يد أصحابها العرب[٧]. وقد أشار ابن ميسر والمقريزي إلى هدم الصليبين للمشاهد في الخليل بعد سقوط القدس مباشرة[٨]، كما أشار الرحالة سايولوف إلى أن أهالي المدينة قد خربوها قبل الهجوم الصليبي - وهوالوضع نفسه في

---

(١) جرم: ينتسبون إلى جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء. ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص ١٠٧

(٢) الداروم : حصن منفرد ليس حوله مدينة على الطريق من غزة إلى مصر عرف بهذا الاسم نسبة إلى دير كان بها. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨١

وانظر ايضاً:

J. Sourdel-Thomine, 'Darum', E.I.[٢], vol.i, p. ١٦٣; Le Strange, Palestine, p. ٤٣٧

وفي المراجع الجغرافية الحديثة أنظر: الموسوعة الفلسطينية، ج٣، ص٥٨٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٨

(٤) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣، دانيال الراهب، وصف، ص٩٣

(٥) انظر:

M. Sharon, "AL-KHALIL", E.I.[٢], vol. iv, pp. ٩٥٥-٩٦١; Cahen, Claude, An Introduction to the First Crusade", Past and Present ١٩٥٤, pp. ٦-٢٩

وسيشار اليه لاحقاً بـ

Cahen, Claude, An Introduction

وانظر أيضاً: الموسوعة الفلسطينية، ج٣، ص٥٨٦

(٦) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣؛ دانيال الراهب، وصف، ص٩٣

(٧) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣؛ دانيال الراهب، وصف، ص٩٣

(٨) ابن ميسر، المنتقى، ص٦٦؛ المقريزي، أتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

الناصرة[1] وبيت لحم – وعلى الأغلب أنها كانت خالية من السكان عندما دخلها الصليبيون بسبب خراب كبير أصاب المدينة في مطلع القرن الحادي عشر[2].

توجه تنكريد في رجب ٤٩٣هـ/ ايار ١١٠٠م للسيطرة على سواد طبرية الذي كان تابعاً لحاكم دمشق، وقد أرسل حاكم دمشق مجموعة من الفرسان لمساعدة أهالي السواد وهم عرب من آل مرا [3] وبنو زبيد[4]، الا أنهم لم يتمكنوا من الاستمرار فرجعوا إلى دمشق، وأعمل تنكريد في التخريب والتدمير وتمكن من فرض سيادته على الاقليم الذي تعهد أهله بدفع جزية سنوية ثابتة وإعلان التبعية ل تنكريد[5]، وتشير روايات الرحالة الصليبين إلى بقاء المنطقة خطرة وغير آمنة فأهلها العرب المسلمون " يستغلون مخأضات الأنهار لمهاجمة المسافرين"[6].

بما أن الصليبيين يعيشون في محيط معادٍ من القوى الإسلامية فقد عمل غودفروي على تأمين الموانئ التي تمدهم بالمؤن والرجال من أوروبا، ولما كان ميناء يافا الوحيد التابع للسيادة الصليبية مكشوفاً وضعيف الإستحكامات، فقد ركّز جهوده عليه حتى أصبح أقوى الموانئ[7]. وفي عام ٤٩٣هـ /١١٠٠م بدأ أستخدام يافا كمركز لشن الغارات على المؤانئ الإسلامية المجاورة مثل عسقلان وعكا التي أضطر حكامها على إثر هذه التطورات إلى دفع جزية سنوية مشتركة بلغت قيمتها خمسة الآف دينار[8]. وتحولت يافا إلى نقطة لعرقلة الطرق التجارية الداخلية، مما دفع شيوخ القبائل في الداخل إلى عقد إتفاقيات مماثلة لضمان سلامة مرور القوافل[9]، كما استخدام الصليبيون

---

(١) الناصرة: تقع على بعد ١٤١كم شمال القدس، مطلة على الجليل، وهي مدينة اهلها نصارى. سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣. وانظر ايضاً:

F. Buhl, " Nasira", E.I.٢, vol.vi, pp.١٠٠٨- ١٠٠٩

(٢) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣، دانيال الراهب، وصف، ص٩٣.

(٣) آل مرة من امراء بني ربيعة. اليعقوبي، البلدان، ص١٦٤؛ العمري، مسالك الابصار، ص١٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣١٧-٣١٨؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص٢٠٧-٢٠٨

(٤) العمري، مسالك الابصار، ص١٣٨؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣١٧-٣١٨، ص٤٣٥؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص٢٠٧-٢٠٨

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٤.

(٦) دانيال الراهب، وصف، ص٩٣

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٤

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٤

(٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٤

http://www.al-maktabeh.com

القبائل أحيانا لصالحهم في القتال "كانون يستعينون بالعرب لخفتهم على خيلهم "[1] -وبالمقابل كان البدو لايوفرون اياً من الجانبين وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بنهب وسلب قوافل التجار والحجاج[2]-، ولكن يمكن القول أن هذه التطورات سأهمت بشكل عام في توفير بعض الأستقرار والرفاه الإقتصادي للمملكة الناشئة[3].

عانى غودفروي[4] وجنوده طوال ذي القعدة ٤٩٣هـ / ايلول ١١٠٠ م من فقر شديد حاول تجاوزه كما في العام السابق من خلال القبائل، فأرسل الكشافة إلى مناطق شرقي الأردن، وقد وصلته الأنباء بوجود قبائل تعيش بدون دفاعات كافية[5]، وعلى الفور أستدعى ما توفر لديه من قوات وشن هجوماً سريعاً وخاطفاً عليها ليعود بغنائم وفيرة من القطعان وأعداد كبيرة من الأسرى[6]، وعقد غودفروي أتفاقية سلام أستهدفت تامين طرق التجارة مع أحد أمراء القبائل العربية(لايذكر أسمه ولا أسم قبيلته) قدم فيها الأمير العربي هداياً من الذهب والفضة والخيول[7]، ومع أنه وصل غزة واعاد بناء قلعتها المهجورة الإ أنه لم يعتبران لها أهمية وفضل عليها عسقلان[8].

---

(١) ابن شداد، النوادر، ص١٩٧

(٢) مصطفى الحياري، الإمارة الطائية، ص٥٦-٥٧؛سعيد عاشور، المجتمع الإسلامي، مؤتمر بلاد الشام١٢، ص٢٢٩

(٣) انظر:

Harold S. Fink, The Foundation of the Latin. pp. ٣٤٠

(٤) في ذي القعدة ٤٩٣هـ/ ١٥ آب ١١٠٠م توجه غودفروي لفك أسر بوهميمند من الدانشمنيين وبعد أن فك الدانشمنديون حصار ملطية حال سماعهم بنبأ قدومه، وقد طاردهم لمدة ثلاثة ايام دون تحقيق فائدة تذكر، وعاد لإستلام ملطية من حاكمها الأرمني، ثم سرعان ما غادرها عائداً إلى القدس. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤١٨

أنظر:

Fulcher of Charter A History of the Expedition, pp. ٨٤-٨٥; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٧٣-٤٧٤

(٥) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p.٤٧٥

(٦) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٩١، انظر:

William of Tyre History of Deeds, p. ٤٧٥

(٧) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٧٥

الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٩١

(٨) انظر:

William of Tyre History of Deeds, p. ٤٧٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبدأ المسلمون في المدن الساحلية مثل أرسوف وعسقلان بشن الغارات على المراكز الصليبية القريبة وخاصة في يافا التي لم تلبث أن وصلها في شعبان ٤٩٣هـ/ حزيران ١١٠٠ اسطول بندقي، عرض خدماته بشرط أن يكون لهم ثلث كل مدينة يحتلونها يتخذوه حياً تجاريا[١]. وفي ٥ شعبان ٤٩٣هـ/ ١٥ حزيران ١١٠٠م، فرض البنادقة برفقة تانكرد ودايمبرت حصاراً على عكا حتى وصلتهم أنباء وفاة غودفروي في ٨ شعبان ٤٩٣هـ/ ١٨ حزيران ١١٠٠م، فأقترح دايمبرت رفع الحصار عن عكا والتوجه إلى حيفا[٢]- أعتقاداً منه بان الاستيلاء على حيفاً التي كان معظم سكأنها من اليهود أسرع وخاصة أنه لم يرغب في أن يعود الأسطول البندقي دون تحقيق فائدة تذكر- وعندما اوشكت المدينة على السقوط، وصلت الأنباء بان غودفروي اوصى بالمدينة لبلدوين، فهدد تنكريد بالإنسحاب – بسبب العداء الشخصي بين الطرفين - لولا تعهد البطريرك دايمبرت بمنحه المدينة -التي سقطت بايدي الصليبيين في شوال٤٩٣هـ/ آب ١١٠٠م - خالصة له[٣].

(١) وإذا نجح البنادقة في الإستيلاء على طرابلس كانت لهم المدينة بكاملها.

William of, Tyre History of Deeds, p.٤٨٥

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨٦; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٥-٤٨٦

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨٦; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٥-٤٨٦

http://www.al-maktabeh.com

عهد بلدوين الاول٤٩٣هـ/ تموز١١٠١م- ٥١١هـ/ ٢٥ اذار ١١١٨م:

ومع غياب شمس الأربعاء ٩رمضان ٤٩٣هـ/ ١٨ تموز١١٠٠م، بدأ التاريخ الحقيقي للمملكة الصليبية، فقد قرر فرسان المملكة نقل السلطة إلى بلدوين أمير الرها بدلا من البطريرك دايمبرت لإقامة مملكة وراثية علمانية[١] تتمكن من مقاومة الأخطارالسياسية والإقتصادية والعسكرية التي تحيق بهم على غرار ماعهدوه في أوروبا، وتحقيقاً لهذا الهدف أتخذوا الخطوات التالية:

١: فرضوا سيطرتهم على برج داود ووضعوا ايديهم على ممتلكات البطريركية

٢: أرسلوا سفارة سرية إلى الرها ضمت أسقف الرملة وأثنين من الفرسان[٢].

وطالب دايمبرت بطريرك القدس وتنكريد - بعد حصار حيفا[٣]- بتنفيذ الإتفاق المبرم بين البطريرك وغودفروي، الإ أن مجموعة من العوامل توافرت لإضعاف موقف البطريرك وتمثلت بـ:-

١: سيطرة الفرسان على برج داود والمراكزالحيوية في المدينة

٢: إنقسام رجال الدين أنفسهم إلى فريقين ايد غالبيتهم _وهم المؤيدون لبطريرك المدينة السابق أرنولف مالكورن_ موقف الفرسان[٤]. ..

---

(١) انظر:

Harold S. Fink, The Foundation of the Latin, p. ٣٤٤

(٢) على الرغم من أهمية هذه الأحداث الإ أنها ترد مختصرة وخاصة عند وليم الصوري -الذي يمثل قمة الكتابة الصليبية - "بقي العرش شاغراً لمدة ثلاثة أشهر، وأخيراً جرى أستدعاء النبيل بلدوين كونت الرها وشقيق الدوق من والديه ليخلف أخاه في الإعتناء بالمملكة التي أستحقها بحق الوراثة وكان ذلك بدافع الرفض لرغبات الدوق الأخيرة، اوبالموافقة العامة للقادة الذين قلت أعدادهم الان كثيراً. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٧٩-٤٨٠

(٣) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٠-٤٨١

(٤)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p٤٧٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

٣: غياب بوهيمند أمير أنطاكية حليف دايمبرت[١] في أسر الدانشمنديين[٢]

في تلك الأثناء كان أسقف الرملة ورفيقاه يحثان الخطى نحوالرها التي وصلاها في اواخر منتصف شعبان ٤٩٣هـ/ آب ١١٠٠م، في رحلة أستغرقت قرابة الأربعين يوما[٣]، وقد استغرقت رحلة العودة برفقة بلدوين المدة نفسها تقريبا[٤].

وقد مرت رحلة بلدوين نحوالتتويج بعدة مراحل على النحوالتالي[٥]:-

المرحلة الأولى : الرها- أنطاكية ومنها نقل زوجته ومتاعه الثقيل بحراً إلى يافاً الميناء الوحيد تحت السيادة الصليبيبة في فلسطين[٦]، وهدف من ذلك إلى تشتيت أنظار القوة الإسلامية في حال مراقبتها له، والتخلص من

---

(١)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p٤٨١

(٢) لمعرفة تفاصيل أسر بوهيمند. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٨٤-٨٥; William of Tyre, History of Deeds, pp.٤٧٣-٤٧٤

وانظر ايضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام(٤٩١-٥٠٠) ص٢٤.

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٠٣; William of Tyre, History of Deeds, p.٤٨٣

وأمضى بلدوين طيلة شهر ايلول في تنظيم أمور الرها والإستعداد لرحلة التتويج في بيت المقدس

(٤) انظر:

Fulcher of Charter A History of the Expedition, p. ١٠٣

٧٠٠ راجل وعند،

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٨٣

(٥) تجدر الإشارة إلى أن هذه الأحداث وعلى الرغم من أهميتها وتأثيرهاعلى تطور الأحداث تختصر في الرواية العربية على النحوالتالي " في هذه السنة < ٤٩٤هـ / ١١٠٠م> وصل كندفري صاحب بيت المقدس إلى ثغر عكا، وأغار عليه فأصابه سهم فقتله، وكان قد عمّر يافاً وسلّمها إلى طنكري، فلما قتل كندفري سار أخوه بغدوين القمص صاحب الرها إلى بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فجمع شمس الملوك دقاق عند خبر عبوره ونهض اليه ومعه جناح الدولة صاحب حمص فلقوه بالقرب من ثغر بيروت فسارع نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر به وقتل بعض أصحابه". ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٤-٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٣

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٣; William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٨٣

http://www.al-maktabeh.com

حمل ثقيل يعيق حركته، ولم يسلك هونفسه الطريق البحرية لضعف الاسطول الصليبي آنذاك وسيطرة الفاطميين على الساحل الشامي، وعدم قدرته على خوض غمار حرب بحرية.

المرحلة الثانية: أنطاكية – اللاذقية - جبلة – بانياس- المرقب – طرطوس – عرقة – طرابلس، وكان عبوره لهذه المناطق سهلا للغاية(١)، وقد اقام بلدوين بسهول طرابلس يومين ليغادرها متجها إلى جبيل، وعلى نهر الكلب هناك بين الصخور الوعرة وهي بقعة " لايمكن المرور منه بسلام بسبب وجود بعض الرجال من المسلمين الذين بإمكأنهم منع كل الناس من المرور من هناك"(٢).

وقد تجمع السلاجقة ومجموعة من الأهالي بقيادة عضد الدولة التنوخي(٣) لأعاقة تقدم بلدوين وحجزه بين الجبال والبحر مما جعله يتعرض لهجمات طوال الليل من السلاجقة، وقتل كثيرون من رجاله بالاضافة إلى هطول الامطار، كما أنه لم يتمكن وجنده من سقاية خيولهم على الرغم من قربهم من الأنهار. وجهّز بلدوين في صباح اليوم التالي قواته متظاهراً بالإنسحاب، فتمكن من إخراج السلاجقة من الجبل إلى السهل وتمكن من مهاجمتهم، وبذلك حقق أنتصاراً على دقاق وأكمل عبور المنطقة بيسر وسهولة(٤).

المرحلة الثالثة: بيروت – صور – صيدا، وقد أسرع حكامها إلى أمداده بأحتياجاته وهي "ايماءة تدل على الخوف أكثر من المحبة "(٥).

---

(١) على الرغم من وجود القوى المعادية له غي هذه المناطق مثل تنكريد في أنطاكية، ووريموند دي سان جيل في اللاذقية والقوى الإسلامية في بانياس والمرقب وعرقة. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٣; William of Tyre, History of Deeds, pp.٤٨٣-٤٨٤

(٢) الحاج بورشارد، وصف، ص٥٠.

(٣) على الرغم من التعارض العقائدي بين التنوخيين الدروز والسلاجقة السنة، بل أن الأمر تجاوزوه إلى أن منح شمس الدولة دقاق ولاية صيدا إلى عضد الدولة كمكأفاة له لإعاقة تقدم ريموند دي سان جيل عند نهر الكلب. ابن القلانسي، ذيل، ص٢٢٥، السجل الأرسلاني، ص١٨٥-١٩٧ نقلا عن عباس أبوصالح، تاريخ الموحدين، ص١٠٧، وقد بلغ اوج الاهتمام بالإمارة التنوخية مع وصول الحملة الصليبية الثانية لأنها تفصل بين الإمارات الصليبية ودمشق التي كانت تمثل هدف الحملة الصليبية الثانية، كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص١٠٠.

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٦; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٤-٤٨٥

(٥) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

المرحلة الرابعة: قيسارية – أرسوف – يافاً حيث أجري له أحتفال ديني كبير ونودي به ملكا، ومنها إلى- بيت المقدس التي وصلها يوم السبت ٦ محرم ٤٩٤هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١١٠١م، وخرج لإستقباله جميع أهالي المدينة بإستثناء دايمبرت الذي أعتكف في قصره ينتظر مصيره[١] وهنا يتساءل الباحث: لماذا تستغرق رحلة سرية خفيفة العدّة والعتاد لثلاثة فرسان المدة الزمنية نفسها التي يحتاجها بلدوين فيما بعد مع قرابة ٢٠٠ فارس و٨٠٠ راجل[٢]، وهي المدة الزمنية من يوم الثلاثاء ٢٦ ذوالقعدة ٤٩٣هـ/ ٢ تشرين الأول إلى يوم السبت ٦محرم ٤٩٤هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١١٠١م مع أنهم محملون بالعدة والعتاد ويسيرون في محيط معاد؟. ولعل السبب يعود إلى المناخ، فمن المعروف أن الموسم المطري في بلاد الشام يبدأ تاثيره من نهايات شهر تشرين الثاني، وهوايضاً فترة تسريح للجند السلجوقي، ولا بد من حصوله في هذه الأثناء على مساعدات من الأهالي تمثل اوجها في تقديم أبن عمّار صاحب طرابلس المؤن والغذاء ومستلزمات الراحة كافة لدى عبور هذه القوات أراضيه، بل أنه سارع إلى إبلاغه عن تحركات دقاق ملك دمشق وأستعداداته لمهاجمته بالقرب من نهر الكلب.

ولما كان بلدوين مدركاً لطبيعة الصراع السياسي في المملكة فأنه لم يطالب مباشرة بتتويجه ملكا في القدس، كما لم يتخذ أي مسمى سياسي، بل فضل البدء بجولة أستكشافية ما بين الاربعاء ١٠ -١١ محرم ٤٩٤هـ/ ١٤-١٥ تشرين الثاني ١١٠١م[٣] هدف من خلالها إلى ١: منح دايمبرت فرصة لتجنب المواجهة معه وان يتخذ بنفسه قرار تتويج بلدوين الذي رغب في أن يكون ملكا شرعياً ترعاه الكنيسة وتبارك حكمه[٤].

---

(١) انظر:

William of Tyre History of Deeds, pp. ٤٨٥-٤٨٦

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٠٣

٧٠٠ راجل عند وليم الصوري. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p.٤٨٣

وعلى كلا الحالتين الرقم مبالغ فيه فالقدس نفسها وهي التي دخلها العدد الأكبر من الصليبيين لم يتوافر فيها مثل هذا العدد إلا أذا كان جنود بلدوين من ابناء الرها الأرمن.

(٣) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٨٧

(٤)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٨٨

http://www.al-maktabeh.com

٢: التعرف على مناطق الرعي والماء في المنطقة، وإستكشاف الأراضي الزراعية وذلك تهئية للموسم الزراعي القادم[١].

٣: بث الرعب بين القبائل العربية التي أعتادت مهاجمة الحجاج طوال الطريق المؤدية إلى القدس[٢].

لقد توجه بلدوين إلى عسقلان نقطة الإزعاج الرئيسية للقدس[٣]. وفرض عليها حصاراً مؤقتا[٤]، هدف منه التعرف على حجم الحامية الفاطمية في المدينة، لينتقل إلى الخليل يوم الجمعة ١٢محرم ٤٩٤هـ/ ١٦ تشرين الثاني ١١٠١م، التي شكلت قبائلها مصدر قلق للحجاج الغربيين[٥]، فعبر بلدوين ريف الخليل الخصب- ويقصد به الجهة الشمالية الغربية فالجهة الجنوبية الشرقية خالية من السكان بسبب قلة الموارد المائية وكونها منطقة صراع مستمر على الجبهة المصرية - ووجد القرى قد هجرها أهلها المسلمون ليختبئوا في الكهوف الجبليّة، ولم يتمكنوا من الوصول اليهم الإ بمساعدة السريان، فأشعلوا النيران على مداخل الكهوف وأجبروا الأهالي على الخروج بما يملكون[٦]، ويشير الشارتري إلى أنهم عانوا من الجوع والعطش في هذه الرحلة بسبب موقف السكان المعادي، ولكن على الأرجح أن المنطقة كانت تعاني من الجفاف فلا توجد أي بوادر للمقاومة عند الأهالي قياسا إلى العدد القليل من فرسان بلدوين، وخير من يصف هذا الوضع قول الشاعر (على البحر الطويل):-

---

(١)انظر:

Fulcher of Charte A History of the Expedition, p. ١٠٧; William of Tyre History of Deeds, p. ٤٨٧

(٢)انظر:

Fulcher of Charter A History of the Expedition, p. ١٠٧

(٣)ابن القلانسي ذيل تاريخ، ص٢٢٧. انظر:

Fulcher of Charter A History of the Expedition, p.١٠٧

(٤) وهنا يتساءل الباحث لماذا لم تبادر الحامية الفاطمية في عسقلان بمهاجمة بيت المقدس في فترة الفراغ السياسي مابين وفاة غودفروي ووصول بلدوين إلى السلطة؟ ثم لماذا لم يقوموا بالقضاء على بلدوين وفرقته الاستكشافية؟

(٥) ومن ناحية أخرى فقد كانت هذه القبائل العربية المسلمة إلى جانب المسيحيين الشرقيين أدلاء ومصدر للمعلومات والأخبار أنظر بورشارد، وصف، ص٣١، ١١٨. ويشير الدويهي إلى أن القبائل المجتمعة حول اللد هي التي استهدفها بلدوين. الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٩٢. انظر:

E. Honigmann, "Ramla", E.I.٢, vol. vii, pp. ٤٢٣-٤٢٤

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٨; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٧-٤٨٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

أأحبابنا بالشام، عفتم جوارنا فجأوركم في أرضها الخوف والقحط[(١)]

بل أن هؤلاء البدو سارعوا إلى جانب السريان بتوجيه بلدوين وفرسأنه نحو منطقة البحر الميت(بحيرة لوط) [٢] وغور الأردن، وهي منطقة توصف بأنها قاحلة جرداء "بسبب الابخرة والدخان الذي يخرج من هذا البحر، لدرجة أن الأعشاب والحشائش من جميع الانواع أصبحت لا تنمو عبر هذه الأراضي الواسعة. .. ويستثنى من ذلك الأراضي القريبة من أريحا"[(٣)] ووصلوها في ١٧ محرم ٤٩٤ / ٢٠ تشرين الثاني ليجدوا السكان ولوا الأدبار ولم يبق الإ العبيد[(٤)]. واتجهوا بعد ذلك في ٢٢ محرم ٤٩٤هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١١٠١م إلى شرقي الأردن فعبروا الكرك والطفيلة، وكان رد فعل الأهالي كسابقيهم أي الهروب من المواجهة، وفي ٢٨ تشرين الثاني ١١٠٠م وصلوا وادي موسى[(٥)]، وبعد أن تموّنوا من الوادي قرروا العودة في الخط نفسه الذي جاءوا منه[(٦)]، وينفرد ابن الأثير بالإشارة إلى أن دقاق صاحب دمشق " نهض في عسكره وقاتل الفرنج وأنتصر عليهم "[(٧)] وهذا سبب أنتهاء حملة بلدوين في شرقي الأردن ليصل إلى القدس ويتوج ملكا يوم الأثنين ١٩ربيع الأول ٤٩٤هـ/ ٢١ كانون الثاني ١١٠١م[(٨)].

---

(١) طلائع بن رزيك(ت ٥٥٦ هـ /١١٦٠م)، ديوان طلائع بن رزيك الملك الصالح، تحقيق محمد هادي الأميني، المكتبة الاهلية-النجف، ١٩٦٤م، ص٨٥، وسيشار اليه لاحقاًبـ طلائع بن رزيك، ديوان.

(٢)انظر:

R. Hartmann, "Bahr Lut", E.I.٢, vol. i, p. ٩٣٣

(٣) الحاج بورشارد، وصف، ص١١٨

(٤)انظر:

Fulcherof Charter, A History of the Expedition, p.١٠٨; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٧-٤٨٨

(٥) وادي موسى كان في فترة الدراسة وادي جميل ملئ باشجار الزيتون بنى فيه الصليبيون العديد من القلاع مثل سلع وهرمز وطفيل. انظر:

Fulcherof Charter, A History of the Expedition, p.١٠٨

وانظر ايضاً: لانكستر آثار الاردن، ص١٣٧. انظر:

Le Strange, Palestine, ٥٤٨

(٦)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٠٩; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٧-٤٨٨

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٣

(٨)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٨٨

http://www.al-maktabeh.com

وتجدر الاشارة إلى طبيعة السلاجقةيب السكاني في المناطق سالفة الذكر التي تتشابه في كون الغالبية قبائل بدوية رحل أنقسمت بين المسلمين والسريان[1] مع وجود ذكر لطائفة من الرهبان اليونان بالقرب من البحرالميت[2]، ولم يكن ولاء هذه المجموعات محدداً وواضحاً ومنهم من عرب زبيد[3]بنو فهيد[4] وبنو جشم[5] وبنو قضاعة[6] وبنوعوف[7] الذين تمتد منازلهم ما بين غزة وبلاد الشراة[8]، أما مؤاب(الكرك) ووادي موسى والشوبك فتسكنها قبائل زبيد[9]وبنو عقبة[10] وبنو صخر[11] وبنوزهير[12]. وقد عبر بلدوين المنطقة كلها بقوة استكشافية لم تتجاوز العشرة فرسان[13]، مما يشير إلى أن ما كان يقوم به البدو ضد الحجاج الغربيين لا يتعدى حملات السلب والنهب والتكسب من الإغارة التي اعتادت القبائل القيام بها[14].

واتضحت صورة المملكة في ذهن بلدوين، وقد كون من هذه الرحلة خطة للعمل في المرحلة القادمة قامت على مايلي:-

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦١. ولمزيد من المعلومات عن القبائل وبطونها التي استقرت في بلاد الشام وخاصة فلسطين وشرقي الأردن انظر مصطفى الحياري، الإمارة الطائية، ص٣٣.

(٢) الحاج بورشارد، وصف، ص ١١٤- ١١٥

(٣) بنو زبيد: هم من بن سعد العشيرة بن مذحج واكثرهم بالشام. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢١٣.

(٤) العمري، مسالك الابصار، ص١٠٩

(٥) بنو جشم: من بطون جرم وهم غير معروفين عند النسابة. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢١٤.

(٦) بنو قضاعة: من بطون جرم، العمري، مسالك الابصار، ص١٠٧.

(٧) بنو عوف: من بطون جرم يسكن الداروم منهم آل نادروآل سهل وآل عيسى. العمري، مسالك الابصار، ص١٠٨.

(٨) العمري، مسالك الابصار، ص١٠٨؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٥٣؛ العييني، عقد الجمان، ج١، ص١١١.

(٩) العمري، مسالك الابصار، ص١١٢.

(١٠) بنو عقبة: بطن من جذام. العمري، مسالك الابصار، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٧؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٤.

(١١) بنو صخر، من بطون جذام ويضم اليهم العمري هنا الدعيجيون والعطويون، والصويتيون. العمري، مسالك الابصار، ص١٠٩

(١٢) بنو زهير: وهم من جذام. العمري، مسالك الابصار، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٨٧.

(١٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٠٩; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٧-٤٨٨

(١٤) دانيال الراهب، وصف، ص٧٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

ضرورة ربط اجزاء المملكة مع بعضها، فقد كانت المملكة عند تولي السلطة عبارة عن أجزاء متناثرة متباعدة.

ضرورة تهديد الوجود الفاطمي في الساحل وخاصة عسقلان المصدر الرئيس للهجمات الفاطمية.

التعرف على منطقة جديدة يمكن أن يهدد من خلالها السلطة الفاطمية وفي الوقت نفسه يستثمرها اقتصادياً وهي منطقة شرقي الأردن.

التعرف على أماكن زراعية جديد يمكن أستغلالها لتوفير الاحتياجات الغذائية للمملكة الناشئة وخاصة في غور الأردن.

التعرف على مناطق تركز المسيحيين الشرقيين بهدف استقطابهم لرفد المجتمع الفرنجي الناشئ[١] وهم قوة يمكن استغلالها في حال عدم توافر مساعدة غربية.

ضمت المملكة الجديدة تحت السيادة المباشرة لبلدوين: القدس- ويافا -وأرسوف بالاضافة إلى حيفاً - وطبرية[٢].. ويلاحظ أن بلدوين أمضى طيلة فصل الشتاء في تنظيم إدارة المملكة، وهي سياسة أستخدمت فيما بعد عندما أتسعت وتشعبت المملكة: الشتاء للادارة والربيع للغزو.

وسارع بلدوين في جمادى الأولى ٤٩٤هـ/ ربيع ١١٠١م، سارع بلدوين إلى مهاجمة قبيلة عربية[٣] تعبر نهر الأردن في رحلة طبيعية للقبائل بعد موسم الشتاء، فقتل وسبى من أبناء القبيلة، وكان من ضمن الأسرى زوجة شيخ القبيلة التي دنت ولادتها، فخلف بلدوين مع مولودها جارية ترعاه وأمن احتياجاتها من مأكل وملبس، ولما وجدها زوجها تعهد برد المعروف إلى بلدوين متى سنحت له الفرصة[٤]. ويمكن الجزم بان هذا التصرف

---

(١) بورشارد، وصف، ص١٧٣، ١٧٦. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٠٨

(٢) التي تنازل تنكريد عنهما لصالح بلدوين حال سماعه بقدوم الاخير من الرها والذي تزامن مع توجيه دعوة له من سادة أنطاكية ليدير المدينة في غياب خاله بوهيمند. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١١٣; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٤٨٩-٤٩٠

(٣) على الأرجح أنها من قبيلة طئ العربية التي كانت تقيم في جنوب بلاد الشام

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١١٣; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٤٨٩-٤٩٠

وكان الغرب في تلك الاثناء قد وجه حملة صليبية جديدة لاقت حتفها في الاناضول لمعرفة المزيد عن تفاصيل هذه الحملة. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٢٣; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٨٩-٤٩٠

http://www.al-maktabeh.com

الأخلاقي من بلدوين لابد وأنه كان بناء على نصيحة من الأعالي الذين يعرفون أخلاق بعضهم بعضاً ويقدرون تأثير إكرام المرأة العربية على رجلها بغض النظر عن الأثار النفسية والمادية للغزو، وهوما جنى ثماره لاحقا.

وهذه الحملات على الرغم من صغر حجمها، دفع تزامنها مع بدء الموسم الزراعي حكام عسقلان وقيسارية وصور وصيداً وعكا إلى المبادرة بعرض الهدنة على بلدوين الذي قبلها لأنها حملت معها جزية مالية كانت مملكة بيت المقدس الفقيرة بأشد الحاجة اليها[1]، وهولايملك القوة التي تسمح له بالهجوم على مثل هذه المدن الحصينة، لذا ما أن وصل أسطول جنوي إلى يافاً في جمادى الأولى ٤٩٤هـ/ منتصف آذار ١١٠١م، انتقل بناء على دعوة بلدوين في منتصف نيسان للقيام بفرائض الحج في القدس، حتى عقد معاهدة مع الجنويين تضمن مساعدتهم له في حملته التوسعية مقابل حصولهم على ثلث الغنائم، وعلى شارع يكون مركزاً تجارياً لهم في كل مدينة يستولي عليها الملك بمساعدة الأسطول الجنوي، وأسفر هذا الإتفاق عن فرض حصار على أرسوف التي بدأ الصليبيون في إزعاجها أعتباراً من شباط عندما أخذوا بعض أهالي المدينة أسرى عند خروجهم لمزارعهم القريبة، لتستسلم المدينة في اواخر جمادى الآخرة ٤٩٤هـ/ اواخر نيسان ١١٠١م[2]، ومنها اتجهوا إلى قيسارية التي أبدت مقاومة عنيفة حتى تم الإستيلاء عليها بالقوة يوم الجمعة ١٧ رجب ٤٩٤هـ/ ١٧ ايار ١١٠١م، بعد حصار دام قرابة خمسة عشر يوما، واوقع الجنويون فيها مجزرة رهيبة " وفي أخر رجب منها فتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها، وأعأنهم الجنويون عليها"[3].

---

(١) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٩٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p١١٣ ،William of Tyre, History of Deeds, p٤٩٤-٤٩٥

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام(٤٩١-٥٠٠هــ)، ص٣٦، النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p١١٣, William of Tyre, History of Deeds, p٤٩٥-٤٩٦.

مكتبة المهتدين الإسلامية

شهدت الفترة الواقعة ما بين شهري حزيران وآب هدوءاً نسبياً، حتى ١١ ذوالقعدة ٤٩٤هـ/ ٧ أيلول ١١٠١م، حيث بدأت المواجهة مع الفاطميين في موقعة الرملة الأولى التي بدأ التجهيز لها في عسقلان منذ بداية الربيع بقيادة سعد الدولة القواسمي (حاكم بيروت السابق)(١)، وأضاعوا عدة أشهر بإنتظار أمدادت جديدة من القاهرة والتصدي لغارات الباحثين عن الطعام من الصليبيين " الفقراء والمعوزين"(٢)، إلى أن قرروا في ايلول التوجه إلى الرملة - بإعتبارها منطقة متوسطة يمكن استخدامها لتهديد كل من بيت المقدس ويافاً في وقت واحد-، وكان بلدوين قدر منذ البداية أن هذه التجهيزات ليست مجرد غارة محلية(٣)، لذا توجه بلدوين إلى الرملة مع بداية الربيع، فوجدها مدينة بلا دفاعات وخالية من السكان، ولم يتمكن سوى من تحصين قلعة واحدة، ولما تأخر التحرك الفاطمي غادر المدينة بعد أربعة وعشرين يوما متجها إلى يافاً و اقام فيها سبعين يوما(٤)، ويمكن القول أن التأخر الفاطمي جاء مناسباً، فمع بداية ايلول غادر الأسطول الجنوي عائداً إلى دياره، كما وصلت أنباء القضاء التام على الحملة الصليبية القادمة من الغرب في الأناضول. وحدثت المواجهة العسكرية صباح يوم ١١ ذوالقعدة ٤٩٤هـ/ ٧ ايلول ١١٠١م في السهل الواقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، وعلى الرغم من التفاوت الكبير في ميزان القوة العددية لصالح الفاطميين، كانت نتيجة المواجهة لصالح الصليبيين(٥) الذين تمكنوا

---

(١) سعد الدولة القواسمي: المعروف بالطواشي، اسند اليه الافضل الجمالي قيادة القوة المتجهة إلى فلسطين ابن ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٦-٢٢٧؛ ميسر، المنتقى، ص٧٤

(٢) وهذه إشارة إلى سوء الاوضاع الاقتصادية للصليبيين في القدس. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٤٧٢, ٤٧٩

(٣) مما يشير إلى وجود غارات سابقة كانت تشنها الحامية الفاطمية، وكأنها روتينية لا تحدث أثراً يذكر لذا غيبت المصادر ذكرها. انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٩٨

وانظر ايضاً:

E. Honigmann, " Ramla", E.I.٢, vol. vii, pp. ٤٢٣-٤٢٤

(٤)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٩؛ ابن ميسر، المنتقى، ص٧٤. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٢٠; William of Tyre, History of Deeds, p. ٤٩٨

(٥) في أثناء المعركة كانت أحدى الفرق الفاطمية قد الحقت الهزيمة بإحدى الكتائب الصليبية ولاحقتها حتى يافاً وهناك سرت إشاعة مفادها أن الملك قد قتل وقرر صليبيو المدينة إرسال رسالة إلى تنكريد ليحكم المملكة وسرعان ما غادر بلدوين موقع الرملة ليتجه إلى يافاً وهناك تمكن من القضاء على بقاياً الفاطميين؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٤٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٢١; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٥٠٠-٥٠١

http://www.al-maktabeh.com

من مطاردة فلول الجيش الفاطمي حتى أسوار عسقلان[1]. وأمضى بلدوين الفترة الواقعة ما بين شهري ذوالقعدة ٤٩٤هـ/ ايلول ١١٠١م إلى رجب ٤٩٥هـ/ ايار ١١٠٢ في تنظيم الشوؤن الإدارية والمالية للدولة الناشئة[2]. وقد سارع الأفضل بن بدر الجمالي في آخر رجب ٤٩٥هـ / ربيع ١١٠٢م بالأستعداد لهجوم جديد بقيادة ابنه شرف المعالي متخذا خط سير الحملة السابقة نفسه ولكن بخطوات أسرع من[3] عسقلان – الرملة – اللد واليازور ويشير الشارتري إلى أن الجيش الفاطمي أثناء إقامته بالقرب من الرملة قام بمضايقة المسيحيين المحليين وحرق حقول القمح مما دفع بهم إلى الإستعانة بالصليبيين[4]، وعلى الرغم من أن بلدوين قد أستعد مبكراً لهذه المواجهة الإ أن الإنتصارات السابقة جعلته يغتر ويستخف بالفاطميين مما "أضعف تكتيكه الحربي"[5]، فسارع من دون نظام برفقة قلة من فرسأنه لم يتجاوز عددهم مائتي فارس، وما بين الرملة واليازور شن الجيش الفاطمي عليه هجوما سريعا، فلجأ بلدوين إلى الرملة في ٢٧ رجب ٤٩٥هـ / ١٧ ايار ١١٠٢م، وعلى الرغم من ضعف تحصينات المدينة لم يكمل المسلمون مبادرة الهجوم بل أجلوها إلى صباح اليوم التالي[6]، وهنا نجد بعض الإختلاف في الروايتين العربية والصليبية، فتشير الأولى "وأنهزم إلى الرملة في ثلاثة نفر، وتبعوه وأحاطوا به فتنكر وخرج على غفلة منهم وقصد يافا، وأفلت منهم فكان أختفى في أجمة قصب حين تبع وأحرقت تلك الأجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها وحصل بيافا، فاوقع في أصحابه وقتل وأسر من ظفر به في الرملة من رجاله وأبطاله، وحملوا إلى مصر في آخر رجب من السنة "[7]، وتتابع الرواية الصليبية الأحداث بقولها أن بلدوين حصل

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٧٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٢٢; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٠١

(٢)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٥٠١

(٣)ابن لأثير، الكامل، ج٨، ص٤٧٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٢. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٢٥; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٠١-٥٠٢

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٢٨

(٥)انظر:

Harold S. Fink, The Foundation of the Latin, p. ٣٧٠; Smail, Crusading Warfare, p. ٢٥٠

(٦)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٥٩. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٢٨-١٢٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٠٣-٥٠٤

(٧)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٥٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (٤٩١-٥٠٠هـ)، ص٤٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

في تلك الأثناء على مساعدة من شيخ العرب الذي سبق لبلدوين وأكرم زوجته[1]، وبذلك لم يتمكن الفاطميون من الأمساك به لتسقط الرملة بيد الفاطميين في ٢٩ رجب ٤٩٥هـ/ ١٩ ايار ١١٠٢م، ومما زاد من صعوبة موقف بلدوين ورود انباء عن غرق قرابة أربعين سفينة محملة بالمؤن والرجال قادمة للمساعدة من الغرب الأوروبي[2]، فقرر التوجه إلى أرسوف التي وصلها في٢٩رجب ٤٩٥هـ/ ١٩ ايار ١١٠٢/ مستخدما أحد المسيحيين المحليين كرسول بينه وبين القوات الأخرى، وتجمعوا في أرسوف، ومنها تمكن من الدخول إلى يافاً بحراً بالتزامن مع وصول سفن انجليزية تحمل حجاجاً، فتعاون معهم في شن هجوم معاكس ألحق الهزيمة بالفاطميين يوم الثلاثاء٨ شعبان ٤٩٥هـ/ ٢٧ ايار ١١٠٢م[3]. وقد حاول الافضل بن بدر الجمالي متابعة إرسال الحملات، الإ أن الخلافات الشخصية قد أفشلتها، أضافة إلى حصول بلدوين على مساعدة من أميري الرها وأنطاكية اللذين وصلاً في طريق حجهما[4]، وتختصر الرواية العربية الأحداث على النحوالتالي" خرجت العساكرمن مصر إلى البر، والأسطول في البحرمع شرف المعالي ولد الأفضل شاهنشاه، وكتب في أستدعاء المعونة على الجهاد وبنصرة العباد والبلاد بإنفاذ العسكر الدمشقي فأجيب إلى ذلك، وعاقت عن مسيره أسباب حدثت وصوادف صدفت، ووصل أسطول البحر ونزل على يافاً آخر شوال، و اقام اياما وتفرق الأسطول والعساكر إلى الساحل، وكانت الأسعار بها قد أرتفعت، والأقوات قد قلت فصلحت بما وصل الأسطول من غلة ورخص الأسعار الإ أن غارات الفرنج متصلة عليها"[5]. وكانت آخر النجدات الأوربية للمملكة في شتاء هذا العام ٤٩٥هـ /١١٠٢م، وهي رحلة فاشلة لم تأخذ بعين الإعتبار عامل المناخ، إذ أجبرت الرياح بعض هذه السفن على الجنوح على شاطئ صيدا فقامت السلطات

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٢٨-١٢٩; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٠٤

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٤-٤٦٥. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٠٤

(٣)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.١٢٨-١٢٩; William of Tyre, A History of Deeds pp.٥٠٥-٥٠٦

(٤)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٠٥

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٥

http://www.al-maktabeh.com

الفاطمية في عكا وصيداً وعسقلان بنهبها وبيع من فيها كعبيد في القاهرة[1]، فقد أمضت مملكة بيت المقس سبعة شهور كاملة – فصلي الشتاء والخريف – دون أي اشتباك خارجي. وأستأنف بلدوين نشاطه من جديد في ٤٩٦هـ/ ربيع ١١٠٣م وذلك بحصار مدينة عكا[2]، الذي أضطر إلى رفعه لمناعة المدينة ووصول المساعدات اليها من صور وصيدا[3]، وذلك بعد أن دمر الريف المحيط بالمدينة[4]، عائداً إلى يافاً عبر قيسارية[5] ويمكن القول أن السبب الرئس وراء فشل حصار عكا هوعدم وجود قوة بحرية مساندة له. ولا يعني ذلك توقف الغارات على المدن والريف خاصة فهي تمثل المصدر الأساسي لحصول جنده على غذائهم الذي تضيق القدس وما حولها عن تأمينه لهم، ومن الامثلة على ذلك الغارات التي شنها عبر ممر صور في رحلة عودته إلى القدس التي أسفرت عن إصابته بجرح كاد أن يقتله[6]. وقد بقي الحلم بالإستيلاء على عكا في ذهن بلدوين لربط المملكة عبر ميناء قوي بالغرب الأوروبي على الرغم من أن موانئ عكا وصور وصيداً وبيروت وعسقلان، - التابعة شكلياً للسلطة الفاطمية - كانت تدفع جزية سنوية ثابتة للصليبيين، ولم تشكل يوما خطراً عليهم[7].

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٠٦-٥٠٧

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٣٠; William of Tyre History of Deeds, p. ٥١٠

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٥

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٣٠

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٣٠; William of Tyre, History of Deeds, p. ٥١٠

(٥) وفي تلك الاثناء وردت الانباء عن خروج بوهيمند أمير أنطاكية من الأسر.

أنظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٥٠٩-٥١٠

(٦)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٥١١

(٧)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٣١

مكتبة المهتدين الإسلامية

لقد عاود صليبوالقدس نشاطهم في جمادى الآخرة ٤٩٧هـ/ آذار ١١٠٤م مع وصول أسطول جنوي، فقد تفاوض بلدوين مع قائد الاسطول حول حصار عكا[1]، وكدليل على بدء التنظيم في مملكة القدس قام بلدوين بتسجيل الإتفاق الذي عقده مع الجنويين ليتخذ فيما بعد نموذجاً للمعاهدات مع االقادمين من الغرب، وقد نص على أن يأخذ الجنويين ثلثا دائما من مجموع عائدات الميناء ومن الواردات المنقولة بحراً، ولهم ايضاً كنيسة خاصة بهم. و شارع واحد خاصة بهم[2].

وبعد حصار بحري وبري لعكا دام عشرين يوما، وفقد أفراد الحامية الفاطمية الأمل بوصول نجدة أضطروا إلى الإستسلام اواخر رجب ٤٩٧هـ/ اواخر نيسان ١١٠٤م[3]، ويمكن القول أن رداءة الموسم الزراعي وتدمير الريف المحيط بعكا على مدى أربع سنوات متتالية ورحيل الفلاحين عنها، أضعف أحتياط المدينة الغذائي، وبالتالي أضعف قدرتها على الصمود - على الرغم من إشارة ابن القلانسي إلى أن السنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م هي سنة رخاء أقتصادي[4].

وفرض الصليبيون بإستيلائهم على عكا سيادتهم على الشاطئ الفلسطيني بإستثناء عسقلان. وقد التزم بلدوين بتنفيذ بنود إتفاقه مع الجنويين، بل أنه توسع في تطبيقه على أرسوف وقيسارية التي سبق للجنويين المشاركة في الإستيلاء عليهما[5]، في خطوة تدل على مدى الفائدة التي حققها الصليبيون من الإستيلاء على عكا.. وقد أشار لخص ابن تغري بردي ضعف موقف الفاطميين وردة فعلهم على التوسع الصليبي بقوله " يتناهى[6] في العظمة

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٣١; William of Tyre History of Deeds, p. ٥١٢

(٢)انظر:

William of Tyre, History of, History of Deeds, p. ٥١٢

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٧٢؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص٣٣.

انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٥١٣

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٣٢؛ ابن جبير، رسالة أعتبار، ص ٢٧٩؛ ابوالفداء، المختصر، ص٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٥

(٥)انظر:

William of Tyre History of Deeds, p. ٥١٣

(٦) الحديث عن الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام بأمر الله (٤٩٥ /١١٠١ - ٥٢٤هـ/١١٣٠م)

http://www.al-maktabeh.com

ويتقاعد عن الجهاد. ... وكان فيه تهاون في أمر الغزووالجهاد حتى أستولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في ايامه... ولم ينهض لقتال الفرنج البتة، وان كان أرسل مع الإسطول عسكر فهوكلا شيء"[1].

هذا وقد قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بمحاولته الأخيرة لإستعادة الساحل الشامي في، ٤٩٨هـ /صيف ١١٠٥م، بقوة برية بلغت خمسة الآف جندي مصري بالاضافة إلى القبائل العربية وخاصة المحيطة بعسقلان ومساندة من طغتكين حاكم دمشق[2]، وأسطول بحري كبير بقيادة ابنه سناء الملك حسين، وقد اختار بلدوين الرملة موقعاً يستقرفيه لمواجهة القوة الفاطمية السلجوقية كنقطة متوسطة بين يافاً والقدس، ولم يحصل بلدوين في هذه الأثناء على أي مساعدة غربية، وأنما حصل على مساعدة من أرتاش بن تاج الدولة تتش (ت بعد ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م) [3]، المطالب بحكم دمشق[4]، ودارت رحى المعركة يوم الأحد ١٥ ذوالحجة ٤٩٨هـ/ ٢٧ آب ١١٠٥م، وألحقت خسائر كبيرة في الجانبين " فلما رأى المسلمون أنهم تكأفؤوا في النهاية قطعوا الحرب"[5]، وقد تعرض الأسطول الفاطمي في رحلة عودته قبالة شواطيء صور وصيداً لعاصفة هوجاء مكنت الصليبيين من الإستيلاء عليه[6]. وفي تلك الأثناء التي كان بلدوين يصارع الفاطميين في الساحل كان هيو(Hugh of Tiberias) [7] حاكم طبرية يعمل على توسيع إمارته بإتجاه شمال غرب سواد طبرية مستهدفاً مدينة صور[8]، وشيد لهذه

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٥

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٧٩؛ ابن ميسر، المنتقى، ص٧٥

(٣) ارتاش بن تاج الدولة تتش: كان اخوه دقاق قد انفذه إلى بعلبك، فأعتقل بها، فلما هلك دقاق في سنة سبع وتسعين، راسل طغتكين اتابك، فاقامه في منصب أخيه يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة سبع وتسعين واربعمائة ف اقام إلى ان خرج منها سرا في صفر سنة ثمان وتسعين، لاستشعار استشعره من طغتكين وزجته ام دقاق، فتوجه إلى بلدوين ثم إلى الرحبة إلى ان هلك.. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤١

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٠-٢٤١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٨٥

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٠-٢٤١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٨٥

(٦)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٥٢٢

(٧) هيو أوف سانت أومر Hugh of Tiberias: لم أعثر له على تعريف باستثناء أنه سيد طبرية أحد كبار بارونات بلدوين الأول. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٧٠, ١٩٠

(٨)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٢٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

الغاية قلعة تبنين[1] عام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥[2]، وحصن عال(علعال)[3] في سواد طبرية التابع لمملكة دمشق[4]، ليشن من خلاله غارات على ريف دمشق، إلا أن رد طغتكين كان سريعاً إذ باغت هيو وهوعائد من إحدى غاراته وقتله في٥٠٠هـ / صيف ١١٠٦[5]. وعانى بلدوين من مشكلة جديدة وهي تعرض مدينة القدس إلى زلزال تدميري في ٥جمادى الأولى ٤٩٨هـ/ ٢٣ كانون اول ١١٠٥م[6]، ولايخفى ما يتبع مثل هذه الكوارث الطبيعية[7] من تدمير لا يستطيع بلدوين بما يملك من قوة بشرية ومادية ضيئلة تحمل تبعاته. واقتصرت المناوشات الفاطمية الصليبية

---

(١) تبنين : بلدة في جبل بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٤، وقد أرّخ لهذه القلعة المؤرخ وليم الصّوري الذي عاصر الحروب الصليبية وشهدها وسجّل وقائعها بنفسه. وذكر أن قلعة تبنين قد شيّدها(هوغ ري سان اومير) الحاكم الصليبي لمدينة طبريا في فلسطين عام٥٠١هـ/ ١١٠٧م. وورد ايضاً في بعض كتب التاريخ أنها بنيت عام٤٩٨هـ/ ١١٠٤م ولعله بدا في بنائها عام٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وانتهى عام٥٠١هـ/ ١١٠٧م.

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٤٩-٥٥٠

(٢) بورشارد، وصف، ص٥٩

(٣) علعال : وهي جبل بالشام مشرف على البثنية، وتعتبر جزءاً من سهل حوران، ابن القلانسي ذيل تاريخ، ص٢٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٤٦.

انظر:

D. Sourdel, 'Bathaniyya', E.I.٢, vol.i, p. ١٠٩٣

(٤)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤١؛الذهبي، تاريخ الاسلام(٤٩١- ٥٠٠هـ)، ص٧٠، ٧٥

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٢٥

(٥)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤١; William of Tyre, History of Deeds, pp. ٥٢٥-٥٢٦

يرد مقتله في أحداث ١١٠٧ عند ابن الأثير، الكامل،ج٨، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٩

(٦)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤٠

(٧) تعرضت بيت المقدس في الفترة الواقعة ما بين شباط وآذار ١١٠٦م لعدد من الظواهر الطبيعية مثل المذنبات وخسوف القمر وكسوف جزئي للشمس كما شعروا بهزة أرضية في نهاية العام. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤١

وانظر:

Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p. ١٤٠

http://www.al-maktabeh.com

بعد ذلك على إغارة فاطمية على قافلة للحجاج بين يافاً وأرسوف في يوم الجمعة ٢٠ صفر ٥٠٠هـ / ١٩أكتوبر ١١٠٦م، ثم أغاروا على قوة أستطلاعية صليبية قرب الرملة، وقد كان بلدوين قد عزم على الرد على هذه الغارات بمهاجمة عسقلان نفسها الإ أنه عدل عن هذه الفكرة لعدم وصول قوة بحرية من أوروبا في ذلك العام[١]..

أخذ الصليبيون في العام التالي ٥٠٠هـ-٥٠١هـ / ١١٠٧م زمام المبادرة فهاجموا الريف في السواد -ومن أشهرها آل مرا[٢] -وجبل عوف[٣]. -" وينزله قوم من بني عوف من جرم من قضاعة فعرف بهم-"[٤] وفيها تزايد فساد في أعمال السواد وحوران[٥] وجبل عوف وكلها اراض لإنتاج القمح بالاضافة إلى أنها مصدر تموين بالخضروات سكأنها عرب من آل مرا وبنو زبيد، وانتهت الأخبار بذلك وشكا أهلها إلى ظهير الدين أتابك فجمع العساكر ومن أنضاف اليه من السلاجقةمان،.... وأتصل الخبر ببغدوين فنهض اليه من طبرية ونهض أتابك إلى حصن بالقرب من طبرية.... "[٦]. وتجدر الإشارة إلى أن موسم الصيف يعتبر وقتا نموذجياً للنهب في هذه المنطقة إذ تشهد حركة تجارية واسعة بين القبائل وأهالي الريف والمدينة كما أشار إلى ذلك الرحالة في وقت لاحق " وقد تعود المسلمون الأجتماع بإنتظام طوال فصل الصيف بسب جمال المكان وكانوا يقومون بنصب الخيام"[٧]، وقد أعتادت القبائل التوجه إلى البرية شتاء حيث تكثر المراعي أما في فصل الصيف فأنهم يعيشون حول المرتفعات

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٣-٢٤٤

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص١٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٦،

(٣)جبل عوف(الربض) : بني عليه فيما بعد قلعة الربض، وتقتصر اهميتها فترة الزراعة على الاهمية الاقتصادية باعتبارها منطقة زراعية خصبة. ابن القلانسيـ ذيل تاريخ، ص٢٤٣-٢٤٤؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص٥٨؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٢٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٩

(٥) حوران: حوران عبارة عن اقليم جغرافي متكامل يضم الهضبة الواقعة بين حوض دمشق في الشمال ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض وادي الازرق ووادي السرحان في الجنوب والجنوب الشرقي كما تمتد بين جبل الشيخ وهضبة الجولان في الغرب والجنوب الغربي والبادية من الشرق ولقد كانت حوران تضم جبل العرب وجبل الجادور وجبال اللجاه وجبال الجولان وعجلون وسهل عجلون وسهل حوران وسهل النقرة. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري،مج٣، ص٣٤٤

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٣-٢٤٤

(٧) بورشارد، وصف، ص٧٤ و١٧٤؛ ثيودوريش، وصف، ص١٣٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

المحيطة بالمدينة هربا من حرارة الصيف ولكثرة الاعشاب ووفرة المياه في تلك المناطق[1]، ومع ذلك توترت الأحداث عندما هجم الشتاء "فلم يضر بالإفرنج لأنهم كانوا نزولا في أرض رملة صلبة، والسلاجقة بالضد منذلك قد كابدوهم من مقامهم شدة عظيمة، ومشقة مؤلمة، الإ أنهم لا يخلون من غارة وفائدة، وقطع ميرة عن الأفرنج ومادة صلبة، وأخذ ما يحمل اليهم"[2]. كما تعرض ريف الخليل إلى إغارة فاطمية[3]، وفي٥٠١هـ / تشرين الثاني ١١٠٨م، تعرضت عسقلان إلى هجوم من مجموعة من الحجاج القادمين من يافاً بإتجاه القدس برفقة قوة عسكرية[4]، وأزدادت هذه الأحداث في شوال ٥٠١هـ /ايار ١١٠٨م، عندما نصب طغتكين للمغيرين على ريف دمشق كميناً في الجبال الغربية من طبرية، وفقد الصليبيون الكثير من الضحاياً منهم أمير الجليل جرفاش الذي وقع أسيراً وقتل بعد أن رفض بلدوين دفع الفدية المطلوبة وهي طبرية وعكا وحيفا[5]. وقد أستغل بلدوين وصول قوة بحرية من بيزا وجنوة البندقية في ذي الحجة ٥٠١هـ / آب ١١٠٨م لمهاجمة صيداً وحصارها براً وبحرا، الإ أن أهالي المدينة - عوام المسلمين[6]- تمكنوا من الحصول على مساعدة بحرية فاطمية أضافة إلى أنهم حصلوا على مساعدة مدفوعة الأجر من قبل طغتكين حاكم دمشق[7]. وفي مطلع عام٥٠٢هـ/ ١١٠٩م قام بلدوين

(١)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٤؛ واستمرت هذه الأهمية طوال فترة الحروب الصايبية. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٤٤

(٣)انظر:

William of Tyre History of Deeds, p.٥٢٤

(٤)انظر:

William of Tyre, History of Deeds, p. ٥٢٤

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٥٨

(٦) الحريري، الاعلام، ص٧٢

(٧) الحريري، الاعلام، ص٧٢

وانظرايضاً:

William of Tyre History of Deeds, p. ٥٢٥

http://www.al-maktabeh.com

بغزوالسواد ووصل إلى جبل عوف وعقد أتفاق صلح مع طغتكين يعتبر بداية لظهور نظام المناصفات[١]، فقد نص الإتفاق على " إقتسام السواد وجبل عوف بحيث يكون ثلث دخلها للفرنج والآخر للسلاجقة والثالث للفلاحين العرب"[٢]، مما نشط الحركة التجارية بين الطرفين[٣] وهونظام عّرفه أبن جبير قائلا " لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة، فهم يتشاطرون الغلة على إستواء، ومواشيهم مختلطة "[٤] كما تصاحبه فترة هدنة مدتها اربع سنين " ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين، بعد الهزيمة الآتي ذكرها، امراً عظيما "[٥] كما سمحت لبلدوين من باب ايمأنه بمسؤوليته كراع للمسيحيين في الشرق بالمشاركة في حصار طرابلس طوال عام٥٠٣هـ/ ١١٠٩م

(١) ولا نجد الشروط والقوانين والبنود التي تضمنتها هذه المعاهدات واضحة الإ بشكلها النهائي الذي وضع في المعاهدات زمن المماليك بدءا من المعاهدة المعقودة بين الملك الظاهر بيبرس والإسبتارية سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م و٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، وبلغت اوجها في عهد المنصور قلاوون ومعاهداته مع الإسبتارية عام٦٨٠هـ / ١٢٨١، ومنها يتضح ما يلي: يتولى إدارة مناطق المناصفات نائبان أحدهما يمثل الجانب المسلم والثاني يمثل الجانب الفرنجي. أقتصر دور النائب على متابعة الشؤون المالية يعمل تحت سلطة النائب مجموعة من الموظفين تتوزع مهامهم بين جمع الضرائب والرسوم وفض النزاعات وإصدار الأحكام وفقاً للشريعة الإسلامية في حال كان الشخص مسلما ووفقاً للقانون الفرنجي إذا كان الشخص مسيحياً. ساد نوع من التفأهم الودي بين موظفي الجانبين المسلم والصليبي، يدل على ذلك بساطة الجهاز الإداري فلوشهدت مناطق المناصفات نزاعات لاحتاجت إلى جهاز أكبر وجنود أكثر.

لايسمح لاي من الطرفين بإستخدام أراضي المناصفات للهجوم على الطرف الآخر لايسمح لإهالي مناطق المناصفات بالإقامة في المناطق التابعة للنفوذ الصليبي ويسمح للفلاحين بحرية التنقل وبيع منتجاتهم مع ضرورة العودة إلى بلاد المناصفات. توضيح حدود بلاد المناصفات ومدة المعاهدة بالتقويمين الهجري والميلادي

ضمان أمن وسلامة التجار الداخلين إلى بلاد المناصفات وتحديد الرسوم الجمركية والسلع المسموح تداولها وتلك الممنوعة. محمد بن عبدالله بن نشوان بن عبد الظاهر(ت٦٩١ هـ /١٢٩١م)، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور وتناول الحقبة ما بين ٦٧٨ - ٦٨٩هـ تحقيق مراد كامل، الشركة العربية- القاهرة، ١٩٦١، ص٦-٨، وسيشار اليه لاحقاً بـ ابن عبد الظاهر،، تشريف الايام والعصور

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٢٧؛ الحريري، الاعلام، ص٧١

(٣) بورشارد، وصف، ص١٦٥

(٤) ابن جبير، رسالة اعتبار، ص٢٧٣؛ أسامة بن مرشد بن منقذ الشيرزي، (ت٥٨٤ هـ/١١٨٨م) كتاب الاعتبار، ط٢، تحقيق عبد الكريم الأشتر، المكتب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠٣، ص١٠٧ وسيشار اليه لاحقاً بـ اسامة بن منقذ، الإعتبار؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٢٧

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٣٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبمساعدة من الاسطول الجنوي مدينة جبيل بسهولة في نفس الوقت الذي اخذ فيه الصليبيون طرابلس ٥٠٣هـ/١١٠٩م [1]، بالاضافة إلى رغبته بإستغلال الاسطول الجنوي المشارك في حصارطرابلس للمسأهمة لاحقاً في حصارصور وصيداً وبيروت وعسقلان، وعلى الرغم من الإستيلاء على طرابلس تم في يوم الأربعاء٢١ ذوالحجة ٥٠٣هـ/ ٢١تموز١١٠٩م، فقد تأخر التعاون بين بلدوين والأسطول الجنوي إلى آذار ١١١٠م وذلك لعاملين هما ١: حصول صور وصيدا وبيروت على أمدادات ومساعدات من الأسطول الفاطمي الذي كان متجها لنجدة طرابلس ٢: كان فصل الشتاء منذ بدايته ماطراً جداً وخاصة شهررجب٥٠٣هـ/ شباط من عام ١١١٠م[2]. وقد أختار بلدوين بيروت لتكون نقطة هجومه الأول ففرض عليها حصاراً برياً وبحرياً لمدة خمسة وسبعين يوما ما بين رجب- شوال٥٠٣هـ/ شباط -١٣ ايار ١١١٠م، وعلى الرغم من قوة الحصار الذي فرضه الصليبيون على المدينة وقصفهم لها طيلة الحصار وتدميرهم لريفها وأحراشه[3]فأنهم لم يتمكنوا من إخضاع المدينة إلا بإغلاق مينائــها، فقد تمكن التنوخيون الدروز بقيادة عضد الدولة التنوخي[4]، من الصمود في وجه الحصار ومضايقته براً إلى أن أضطروا إلى مغادرة بيروت بعد سقوطها إلى الغرب في الجبال[5]، واثر المذبحة الهائلة التي اوقعها الصليبيون عند

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول حصار طرابلس أنظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٦٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١١٧؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٠؛ الحريري، الإعلام، ص٦٩؛ ابوالفداء، المختصر، ص٤٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٢؛ الحريري، الإعلام، ص٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث(٥٠١-٥١١٩)، ص١٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٧١

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤٥; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٥٣٢-٥٣٣

(٢)المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٤

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٣٨

(٣) تتميز بيروت بوفرة الاشجار وخاصة الصنوبرية حولها لذا يمكن القول أن هذه الاخشاب استثمرت في بناء الآت الحصار.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤٥; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٥٣٢-٥٣٣

وانظر ايضاً:

N. Elissseeff "Bayrut", E. I.[٢], vol. i, pp.١١٣٧-١١٣٨

(٤) السجل الأرسلاني، ص١٨٥-١٩٧ نقلا عن عباس أبوصالح، تاريخ الموحدين، ص١٠٧

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٩

http://www.al-maktabeh.com

دخولهم المدينة[1] حاول الفاطميون تقديم مساعدة برية لبيروت تمثلت بإرسال حوال ٣٠٠ جندي قادمين من مصر، إلا أن الحامية الصليبية الموجودة في شرق الأردن[2] تمكنت من القضاء عليهم[3]، وتأخر طغتكين عن نجدة بيروت ربما بسبب التزامه بالمعاهدة التي وقعها مع بلدوين عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م ولمدة أربع سنوات[4]. كما سارع أهالي صيدا على أثر أنباء سقوط بيروت بالتفاوض مع بلدوين، وقد أنتهى التفاوض بدفع جزية مالية له مقدارها ستة الآف دينار[5]. ولعل السبب الرئيس لقبول بلدوين بهذا الإتفاق هورغبة أفراد الأسطول الجنوي في العودة إلى بلادهم بعد أن قضوا في بلاد الشام قرابة عام كامل، بالاضافة إلى أن كونت الرها قد أرسل إلى بلدوين يستنجده في حصار مدينة ملطية وبقي فيها إلى٨ذوالقعدة ٥٠٣هـ/ ٢٩ ايار ١١١٠م، عائداً إلى القدس[6]، وفي أثناء عودته أعتدى على بعلبك وتم الإتفاق على معاهدة مناصفة مشابهة لمعاهدة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦[7]).

وصل في محرم٥٠٤هـ/ آب ١١١٠م أسطول نرويجي إلى عكا وعرض على بلدوين المشاركة " في أي مسأهمة يراها نافعة "[8].

---

(١)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٩؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث(٥٠١-٥١١٩)، ص١٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص، ٤٥؛ صالح بن يحيى، أخبار السلف،ص١٦

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٣٩-٥٤٠

(٢) هذه اول مساعدة فاطمية مباشرة من مصر وليس عبر حامية عسقلان وربما منه ومن الأحداث التي تلتها أتضحت الأهمية لدى بلدوين الأول في السيطرة على جنوب الأردن لقطع الإتصالات بين الشام ومصر.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٩

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٣

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٦٩، وهنا يوضح عبد العزيز سالم، أن من وقع الاتفاقية مع الافرنج وسارع إلى البقاء قي صيداً هم من اصحاب المصالح الاقتصادية أما نلاك ارض اوعقار. عبد العزيز سالم. تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، ط١ مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٨٦، ص١٠٤ وسيشار اليه لاحقاًـ عبد العزيز سالم. تاريخ مدينة صيدا

(٦)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٢

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٣٣-٥٣٥

(٧) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٣.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٨٤

(٨)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٣-٢٧٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعلى الرغم من أن الملك صرح برغبتـه في مهاجمـة عسـقلان مبـاشرة إلا أنـه عـدل عـن هـذا الـراي وأتجـه إلى صيدا[1]- لان الأهم بالنسبة للمملكة الناشئة هوالسلاجقةيز عـلى جلـب مـوارد ماليـة أضـافية للدولـة وشـكلت صيداً الأكثر خصوبة نموذجا مناسبا لان "الأرض المجاورة لمدينة صـيداً خصـبة جـدا، فهـي تزخـر بالمحاصـيل ذات الفائدة الكبيرة حيث يزرع فيها قصب السكر الممتاز وأشجار الكرمة، هذا إلى جانـب أنهـا تمتـاز بمنـاخ صـحي"[2] وقد توافرت غابات الصنوبر والاحراج على طوال الطريق إلى صيداً وإلى دمشق جميع الأخشاب اللأزمـة لصـناعة الآت الحصار كالابراج المتحركة والمنجنيقات والسلالم[3]. وعلى الرغم من وجود أسطول فاطمي في صـور إلا أنـه لم يجرؤ على المشاركة في حصار صيداً الذي أستمر سبعة واربعين يوما مـن يـوم الأربعـاء ٣ ربيـع الثـاني ٥٠٥هـ/١٩ تشرين الاول١١١٠م -الأحد ٢٠ جمادى الأول -٤ كانون الأول ١١١٠م، ليستسلم أهـالي المدينـة في النهايـة وفـق شروط تضمنت خروج الحامية الفاطمية من المدينة دون أن يأخذوا معهم شئياً، وان يبقى الفلاحـون لزراعـة الأ رض[4] وبعد أنتهاء موسم فلاحة الأرض عاد "إلى صيدا فقرر على من اقام بها نيفاً وعشرين الف دينار فأفقرهم

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٤٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤٠

(١)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٣-٢٧٤

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٤٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤١

(٢) بورشارد، وصف، ص٤٨

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤١

(٤) شهر كانون الثاني هـوالفترة الرئيسي لتهيئـة الأرض للزراعـة وخاصـة الحبـوب. أنظـر ابـن القلانسي ذيـل تـاريخ، ص٢٧٤؛ الدويهي، تاريخ الازمنة، ص١٠١.

http://www.al-maktabeh.com

وأستغرق أموالهم وصادر"[1] كما بنى بلدوين في هذه الأثناء حصن تـل المعشـوقة (سـكاندليون) [2] مشرفاً عـلى صور. وقد جرت مفاوضات أثناء الحصار بين أعيان صيداً الأثرياء وأحد قادة بلدوين دفعـوا لـه مبلغـا مـن المـال مقابل قتله للملك، إلا أن بعض مسيحيي المدينة أبلغوا الملك بالخطة وافشلها فأضـطر أهـالي المدينـة للاستسـلام وأقطعها بلدوين بارونية لاحد أتباعه[3]، وتبدوهذه الرواية ضعيفة، فكل خطـة للقضـاء عـلى الصـليبيين يفشـلها مسيحي شرقي، وهوراي يبدومقبولاً في بدايات الصراع، ولكن بعد أن أتضح موقف الصـليبيين وعـدم تمييـزهم في المعاملة بين المسلم والمسيحي الشرقي تضعف هذه الرواية وخاصة اننا نتحدث عن مدن تميزت بالثراء والإزدهار

---

(١) وقد جعل ابـن القلانسي ـ هـذه الاحـداث في عـام ٥٠٣هـ/١١٠٧م ، ذيـل تـاريخ، ص٢٧٤؛ ابـن الأثـير، الكامـل، ج٨، ص٥١٩؛ الحريري، الأعلام، ص٧٢؛ ابوالفداء، المختصر، ص٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث(٥٠١-٥١٠)، ص، ١٩؛ النـويري، نهايـة الإرب، ج٢٨، ص١٧٣

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٤٢-٥٤٣

ويشير أمين معلوف، الحروب الصليبية، أن صيدا هي المدينة الوحيدة التي لم تشهد مجزرة وانما نزوح كثيف إلى صـور ودمشـق اللتين كانت تغصان باللاجئين. .

(٢)تل المعشوقة(سكاندليون): وهي تحريف لكلمة اسكاندرون بعنى اسد الحقل، ويبدو من وصف مصادر الأولى لها انها كانت قلعة بسيطة البناء

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

وانظر ايضا. ابن ميسر، المنتقى، ص، ٧٨، انيس فريحة، اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، ط١، الجامعة الامريكيـة – بيروت، ١٩٥٦م، ص٧. وسيشار اليه لاحقاً بـ انيس فريحة، اسماء المدن والقرى.

وانظر ايضا:

ED., 'Iskandaruna", E. I.٢, vol. iv, p. ١٣٨

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٣٨؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٢

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

دون تمييز بين مسلم ومسيحي، وحتى ولوأفترضنا غير ذلك فلا يعقل أن المسلمين – أذا كان بينهم وبين المسيحيين عداء- أن تكون تحركاتهم مكشوفة دائما وكأنهم يخططون سراً في ميدان عام[1].

وبعد ذلك ركّز بلدوين جهوده لحل المشكلات التي كانت عالقة بين كنيستي القدس وبيت لحم وقد حسم الأمر في وثيقة مسجلة ومدونة في عام٥٠٥هـ/ ١١١١م على النحوالتالي ١: ترقية كنيسة بيت لحم إلى كاتدرائية ٢: منحها حق التملك المطلق والتصرف في بيت لحم.

٣: منحها مجموعة من القرى في عكا ونابلس، وعسقلان ٤: تبرئة الكنيسة من كل التهم التي وجهتها لها كنيسة القدس حول ملكية الأراضي الواقعة في ضواحي القدس[2]، وفي هذه الأثناء توفي غبلين بطريرك القدس وتولى بدلا منه أرنولف[3]..

وقد حاول ظهير الدين في ذي الحجة ٥٠٥هـ / تموز ١١١١م أن يقطع الطريق على الصليبين " وضايقهم مضايقة الجأتهم إلى الدخول في حكم المسالمة والموادعة فترددت المراسلات في ذلك إلى أن استقرت الحال بينهما على أن يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد[4] والحيانية[5] مضافاً إلى ما في يده، ومن هذه الأعمال التي يليها في ايدي العرب من آل الجراح"[6]. وبعد هذه الأحداث لم يبق خارج السيادة الصليبية من المدن الساحلية المهمة سوى صور وعسقلان، وقد سارع حاكم الأخيرة شمس الخلافة إلى إرسال مندوبين للتفاوض مع بلدوين طالبا عقد هدنة، وهنا أرسلت القاهرة حملة لعزل شمس الخلافة الذي أغلق أبواب المدينة أمام الفاطميين الذين لم يتمكنوا من دخولها إلا بعد أن قتل أهلها شمس الخلافة[7]. وقد سارع بلدوين يوم الأربعاء٢٥ جمادى

(١) في الفترة الواقعة ما بين ١٨تموز -٦ايلول١١١١م، فرض المسلمون حصاراً على تل باشر التابع لإمارة أنطاكية وهنا طلب تانكري مساندة بلدوين الذي أسرع للمشاركة بفرض حصار على شيزر انتهى بتراجع قوات بلدوين بسبب شح الغذاء للدواب والرجال. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٩

(٢)انظر:

William of Tyre A History of Deeds, pp. ٥٣٦-٥٣٨

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p٥٤٣

(٤) يقص بالسواد هنا سواد طبرية وهو يشمل البلاد والاراضي الواقعة شرق بحيرة طبرية. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٩

(٥) الحيانية : كورة بالسواد من أرض دمشق، وهي كورة جبل جرش قرب الغور. ابـن القلانسيـ ذيـل تـاريخ، ص٢٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٢٧.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٧-٢٧٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث(٥٠١-٥١٠هـ)، ص٢٤

(٧) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٧٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث (٥٠١- ٥١١)، ص٢٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٦

http://www.al-maktabeh.com

الأولى ٥٠٥هـ/ ٢٩ تشرين الثاني ١١١١م إلى فرض حصار على صور أستمر أربعة أشهر، أي إلى شوال ٥٠٥هـ/ نيسان ١١١٢م[١]، فعاد إلى عكا التي كنت قد تعرضت إلى هجوم من قبل بعض السكان المحليين المسلمين[٢]، وربما فشل هذا الحصار لعدم وجود دعم بحري له، حيث أعتمد فقط على سفن المملكة المتناثرة في موانئها[٣]، كما أن اهالي صور أستنجدوا بطغتكين مع أنهم " رافضة لايشهدون جمعة ولاجماعة "[٤] بدلا من الفاطميين، وقد أرسل طغتكين فرقة قوية دفعت بلدوين إلى رفع الحصار عن المدينة لخوف الفرنج على ريف المدينة "[٥]، وقد سمح طغتكين بحرية النهب ليس لجنده فقط وانما لقطاع الطرق " وخيم ببانياس وبث سراياه ورجاله الحرامية في أعمال الإفرنج، واطلق لهم النهب والقتل والإخراب والحرق طلبا لإزعاجهم وترحيلهم عنها"[٦]، وعندها وصل بلدوين إلى عكا وجاءه جماعة من عرب عسقلان الزريقيين[٧] " وكانوا مع جرم بالشام يداً مع الفرنج على المسلمين"[٨] يخبرونه بقافلة دمشقية أستولى على بعضها بنوهوبر[٩] وبنوربيعة -وجرم من قبائل غزة[١٠] ولايعني

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث(٥٠١-٥١٠)، ص٢٥؛ الحريري، الاعلام، ص٧٣؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٤؛ الحريري، الإعلام، ص٧٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٩. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٤٦

وتجدر الاشارة إلى أن الزيادة السكانية الكبيرة التي شهتها صور نتيجة الهجرات المتتابعة سأهمت بشكل كبير في صمود المدينة. .

(٢) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٨٨

(٣) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٨٤-٢٨٨

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤٦

(٤) ويشير ابن جبير إلى أنهم غالبية سكان بلاد الشام. ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢٥٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٨

(٥) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٨٨؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٥٠

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٨٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٨؛ ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢٧٣. ويشير محمد كوراني، إلى أن هذا الاجراء الذي قام به طغتكين انما كان بمساندة من اهالي جبل عامل، ولعلهم هم الذين اشار اليهم ابن القلانسي بالحرامية وقطاع الطرق محمد كوراني، الجذور التاريخية، ص٣٣

(٧) الزريقيين: بطن من ثعلبة وهم من درما آل غياث ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، ص١٠٦-١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٨

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٧٥.

(٩) بنو هوبر : بطن من جذام ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، ص١٠٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٨

(١٠) ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، ص١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذلك تحالفهم المطلق مع الفرنجة وانما هوتحالف مصالح، إذ يصفه العمري قائلاً "ولقد رايتهم في الوقائع مع من غلب"[1] - ولم يرغب بلدوين لأسباب غير واضحة مهاجمة القافلة وأعتراض طريق القبائل بـل أكتفـى بالإسـتيلاء على ما تبقى منها عند عبورها أراضي القدس[2]. ومع مطلـع ربيـع ٥٠٦هـ /ايـار ١١١٣م، في المعركـة التـي عرفـت بسن النبرة شن مودود(ت٥٠٧ / ١١١٣م)[3] أمير الموصل وطغتكين أمير دمشق هجوما عـلى سـواد طبريـة مـروراً بالبقاع وبانياس، وتجمعوا بالقرب من بحيرة طبرية وهي منطقة سـهلية خصـبة، و اقـام الصـليبيون غـرب جسرـ الصنابرة[4] وهي منطقة مرتفعة، وقبل أن تكتمل القوات الصليبية بادر بلـدوين إلى الهجـوم مـما أضـعف قواتـه وأدى إلى هزيمته[5]، وأهم ما في هذه الحادثة هوالإشارة إلى وجود مجموعة من السكان المحليين إلى جانب قوات بلدوين من عامة الفلاحين تخلوا عنه في النهاية وحاربوا إلى جانب المسلمين"هجروا قواته وبداوا بمهاجمته

---

(١)ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، ص١٤١.

(٢) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٩١

(٣) مودود (ت ٥٠٧هـ/١١١٧م): الاميربن التونكين صاحب الموصل التـي سـيطر عليهـا عـام ٥٠٢هــ/١١٠٨م، شـارك إلى جانـب طغتكين في قتال الفرنجة في معركة جسر الصنبرة ٥٠٧هـ/١١١٧م، وقتله الباطنية بعد المعركة مبـاشرة. ابـن الأثـير، الكامـل، ج٨، ص٢٥٢-٢٦٦.

(٤) الصنبرة، موضع بالأردن مقابل عقبة أفيق، جنوب بحيرة طبرية ويقع الجسرغرب بحيرة طبرية اعتادت قوات الموصل مهاجمة أراضي إمارة أنطاكية فكان تحركها نحوأراضي المملكة تحركا مفاجئا. القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٩٣-٢٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٢٥

وانظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٥٢

(٥) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٩٣-٢٩٧؛ الحريري، الاعلام، ص ٧٣ -٧٤؛ الـذهبي، تـاريخ الإسـلام حـوادث (٥٠١-٥١٠هـ)، ص٢٦.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٥٢; William of Tyre, A History of Deeds, pp.٤٥٨-٥٤٩

http://www.al-maktabeh.com

كالأعداء، وقاموا بدور نقل المؤن إلى الجيش السلاجقةي، وقد أستفادوا من هذه المساعدة في الإستيلاء على نابلس وتدميرها"[١]، فقد كان هؤلا يستغلون الحروب لصالحهم فيعملون وخصوصا ليلا كلصوص يسرقون الخيام[٢]، ليعود الجيش السلجوقي بعد ذلك إلى ديارهم في ٢ ربيع الأول ٥٠٧هـ/ ١٦آب ١١١٣م[٣]. وقد حاولت الحامية الفاطمية في عسقلان أستغلال النزاع القائم في طبرية ومهاجمة القدس، ومع أن الفرصة كانت ملائمة للإستيلاء على المدينة الإ أنهم أكتفوا بإتلاف المحاصيل المجمعة هناك والعودة إلى عسقلان[٤]، والأهم في هذه الحادثة هوإشارة الشارتري إلى أنها لم تكن فريدة من نوعها فقد أعتادوا ذلك بعد أن "حولوا المملكة بأسرها إلى حالة كبيرة من الرعب بحيث لم يجرؤ أحد على المغامرة بالخروج من الحصون"[٥]، ويمكن للباحث أن يتكهن بان هذه الحادثة لم تقم بها حامية عسقلان وإنما القبائل المحيطة بها، فهوتصرف يشبه الغارات القبلية لاعمل الحاميات، كما اننا لم نعتد الحديث عن تحرك خارجي لأفراد الحامية الإ عند حصولهم على إمدادات فاطمية اوعند تغيير الحامية.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث (٥٠١-٥١٠)، ص٢٧، ويستخدم سميل هذه الرواية للدلالة على اقامة علاقات ودية بين الافرنج والفلاحين المسلمين وهو مايتكرر ايضاً في استخدام رواية وليم الصوري عن أحداث البتراء سنة ١١٤٤. بالاضافة إلى اقامة العلاقات الودية احيانا بين اعضاء الطبقة العسكرية الحاكمة في كلا الجانبين الذين اتفقت نظراتهم وميولهم في كثير من الامور بحكم مركزهم الممتاز في المجتمع، وما اشتركوا فيه من حماس تجاه الحرب والخيول والصيد. انظر:

Smill, The Crusades, p.٤٨, ٥٥

(٢)ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٠.

انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٥٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤٩

(٣)الحريري، الاعلام، ص٧٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٦. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٥٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٤٩

(٤)الحريري، الاعلام، ص٧٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١٠٦. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٥٣; William of Tyre History of Deeds, pp. ٥٤٩-٥٥٠

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٥٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

كان عام٥٠٧هـ/ ١١١٣م، عاما أقتصادياً سيئا، حيث تضررت المحاصيل من كثرة الإضطرابات على الرغم من وفرتها لذلك العام[١]، كما شهد شهراً تموز وآب زلزلاً قوياً[٢]. وتأخرت الإمدادات الأوروبية إلى شهر ايلول، وعندما سمع مودود حاكم الموصل بأنباء وصولها قرر الإنسحاب إلى نواحي دمشق[٣]. وقد أنشغل بلدوين في حزيران من العام نفسه في فك الحصار الذي فرضه مودود على شيزر_ التابعة لإمارة أنطاكية[٤]، وحاولت الحامية الفاطمية في عسقلان بمساندة بحرية من الإسطول الفاطمي في صور إستغلال خلو يافاً من حاميتها ومهاجمتها، الإ أنهم خشوا من حصول المدينة على مساندة من القدس فأكتفوا بحرق أبواب المدينة وعادوا أدراجهم ليحاولوا الكرة مرة أخرى بعد عشرة ايام من دون أسباب واضحة ومن دون تحقيق نتيجة تذكر[٥]. وفي شوال ٥٠٧هـ/ آذار ١١١٤م أتفق بلدوين ووالي صور على معاهدة سلام على الرغم من وصول " أمدادات غذائية للمدينة.. مما أمن الطرق التجارية "[٦]، وهومايصفه أبن جبير قائلا " لا تعترض الرعاياً ولا التجار، فالأمن لايفارقهم في جميع الأحوال سلما اوحربا"[٧]. وتزايدت اوضاع المملكة الإقتصادية سوءا مع مطلع عام٥٠٧-٥٠٨هـ / ١١١٤م إذ تعرضت المحاصيل الزراعية في المملكة للتلف من قبل أسراب الجراد[٨]، كما تعرضت إلى زلزالين الأول يوم الأربعاء١٠ صفر٥٠٨هـ/ ١٥ تموز، والثاني يوم ٧ربيع الأول ٥٠٨هـ/ ١٠ آب من العام نفسه[٩]. وبعد ذلك ركّز الصليبيون نشاطهم نحوجنوب شرقي الأردن(الطفيلة – الكرك – الشوبك – معان- العقبة) بإعتبارها عمقاً

---

(١) القلانسي، ذيل تاريخ، ص٢٩١

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث (٥٠١-٥١٠هـ)، ص٣٢

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٠٠

(٤) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٤٧-٥٤٩

(٥) انظر:

William of Tyre, History of Deeds, pp. ٥٤٩-٥٥٠

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٠٠-٣٠١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٥٢

(٧) ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢٦١

(٨) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٥٤

(٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٠٥، الدويهي، تاريخ الازمنة، ص١٠٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٥٣

http://www.al-maktabeh.com

بشرياً واقتصادياً لإمداد المملكة الناشئة _ بعد أن فشلوا في إقناع الأوربيين باستيطان القدس- وعمقاً أمنياً حيث يمكن اتخاذ المنطقة نقطة برية لمقاومة الفاطميين – بدلا من الإعتماد المستمر على الدعم البحري الأوروبي – وتركّزالصليبيون بالشوبك(كرك مونتريال)[١] لحماية المصالح التجارية المتمثلة بحماية القوافل التجارية من أعتداءات القبائل بالاضافة إلى قلعة الكرك(حصن الغراب)[٢] وسلع[٣]، ومن ثم السيطرة على الطريق الجنوبية

(١) قلعة الشوبك: تقع على ارتفاع ١٣٣٠ م عن سطح البحر، وقد اطلق على هذه القلعة اسم(مونتريال – Montreal). تصف مصادر الحملة الصليبية الأولى بنائها تم في فترة قصيرة وهدفها هو مهاجمة القوافل التجارية وحماية المصالح الصليبية، لذلك يبدو ان الشكل النهائي للقلعة قد تم في فترات لاحقة. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٥٨

ولمزيد من المعلومات عن شكل بناء القلعة انظر: لانكستر هاردنج، آثار الاردن، ترجمة سليمان موسى، المطبعة الوطنية – الاردن، ١٩٧١م، ص١٣١، وسيشار اليه لاحقاً بـ هاردنج، آثار الاردن يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الاردن في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر- عمان، ١٩٨٢م، ص٢٥٠-٢٥٨، وسيشار اليه لاحقاً بـ يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري. وانظر ايضا:

M. A. Bakhit, " AL- Sjawbak", E.I.٢, vol. ix, p. ٣٧٣

(٢) قلعة الكرك(حصن الغراب): وحسب المصادر الأولى فانها كانت في بنائها ابسط من من قلعة الشوبك وبالتالي فا ن حصانة البناء الذي عرفت به القلعة قد تطور لاحقا. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٥٨

وصفه ابن جبير قائلاً" وهو اعظم حصون النصارى، وهو المعترض في طريق الحجاز، والمانع لسبيل المسلمين على البر، بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشف قليلاً، وهو شرارة ارض فلسطين، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة، ويذكر انه ينتهي إلى اربع مئة قرية" ابن جبير، رسالة اعتبار، ص؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٣؛ ولمزيد من المعلومات في المراجع الحديثة انظر: يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٢٥٩-٢٧٠. وانظر ايضاً:

J. Scliefer, "Hisin al-Ghurab", E.I.٢, vol. iii, p. ٥٠٦

(٣) سلع: وهي قلعة في الطفيلة تحتوي القلعة على انظمة مذهلة للري وأبراج للمراقبة بارتفاع يقارب "٤٠٠" متر عن سطح البحر. أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٣٦م؛ هاردنج، آثار الاردن، ص١٣٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠; Le Strange, Palestine, p٥٢٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

المؤدية إلى مصر، وقد أستغرق بنأء هذه القلاع[1]مدة قصيرة مابين٥٠٩-٥١٠هـ/ ١١١٥م - ١١١٦م[2]، ويجدر القول أن أختيار بلدوين لهذا الموقع أنما يدل على حسن دراية ودراسة دقيقة، فعلى الرغم من جدب هذه المنطقة الآهلة بالسكان، وخلوها من المراعي فقد لعبت دوراً رئيسياً في أستراتيجية الحروب في الشرق[3]، فكان يقال " الكرك شجى في الحناجر وقذى في المحاجر ورصد الطرق المسلوكة[4]. وقد قام بلدوين بزيارة الموقع بعد إنتهاء أعمال البناء وذلك في٥١٠هـ/ ١١١٦م ومنها أتجه إلى البحر الأحمر[5] حيث وصل العقبة _ المنطقة المعروفة بوادي عربة _ لاول مرة ووجدها خالية من السكان الذين هجروها --وأغلبهم بدو، ومنهم قبيلة زهير

(١) يوضح سميل أهمية القلاع عند الصليبيين "امكن على افضل نحو تمثيل الاراضي الخاضعة لسيطرتهم على الخريطة، ليس كمنطقة يحدها خط حدودي، بل كسلسلة من النقاط شكلت الاماكن المحصنة. وحين لم تكن هناك قوة ميدانية تصارعهم، فلما كان الافرنج ينحصرون داخل الاسوار للاحتماء". . .

انظر:

Smill, The Crusades, p٥٩

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦٢

(٣) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص٥٢

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص١٣٩-١٤٠

(٥) وكان يعرف في ذلك الوقت باسم بحر القلزم. انظر:

C. H. Becker, "Bahar AL-Kulzum", E.I.٢, vol.v, pp. ٩٣١-٩٣٣

http://www.al-maktabeh.com

من جذام الذين تمتد ديارهم حتى الكرك[١] - حال سماعهم بنبأ توجهه إلى المدينة. وبنى بلدوين قلعة في العقبة[٢] وأخرى في جزيرة فرعون[٣] وبذلك أشرف على شبه جزيرة سيناء[٤].

وكان تركيز الصليبيين على المنطقة الجنوبية بهدف منع أي أتصال اوأتحاد سياسي بين القاهرة ودمشق وتأمين أحتياجات بيت المقدس التموينية، والاهم تأمين بيت المقدس بالإمدادات البشرية من مسيحيي المنطقة[٥]. ولم تتحسن الاوضاع الزراعية في القدس رغم كل إجراءات بلدوين وذلك لتعرض المدينة في محرم ٥١١هـ/ ايار ١١١٧م[٦]، لهجوم زاحف لأسراب من الجراد قضت على ماهو أخضر ويابس في يوم واحد[٧]، ومايقال عن تدمير الجراد لمزروعات القدس يقال عن بلاد الشام عامة وخاصة جنوبها وصولا إلى مصر، وربما يعود لهذا السبب عدم قيام السلاجقة اوالفاطميين باي هجوم في تلك الفترة فهم جند اقطاع، كما قد يفسر خلو المنطقة من القبائل

---

(١) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٥٣. انظر:

C. H. Becker, "Bahar AL-Kulzum", E.I.٢, vol.i, pp. ٩٣١-٩٣٣

(٢) قلعة العقبة : بناها بلدوين الأول تقع جنوب بلدة العقبة، وقد تم الانشاء النهائي لها بأمر من ابوالنصر قانصوه الغورى عام ١٥١٦م كما يتضح من النقوش الموجودة على جدران الديوان الايمن. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

وانظر ايضاً: مولر، القلاع ايام الحروب. ص٣٤

(٣) جزيرة فرعون: هي جزيرة مرجانية تقع على بعد ٨ كم جنوب طابا التى تتوسط قمة خليج العقبة وتشتهر بقلعة صلاح الدين وهي التي بناء بواكيرها بلدوين في رحلته إلى الجزيرة. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

(٤) كما وأصيب بلدوين في هذه الأثناء بمرض شديد خشي عليه من الموت فيه. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٧

(٥)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

(٦) شهد هذا العام ايضاً مجموعة من الظواهر الطبيعية منها خسوف كلي للقمر في ١٣ حزيران وكسوف كلي للشمس في ٢٦ حزيران وتكررت هذه الظواهر في ١٣ كانون الأول وفي ١٨ كانون الأول ظاهرة الشفق الشمالي. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

(٧)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٦٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

اثناء تحرك الصليبيين. ولهذا السبب ايضاً ربما يعود أزدياد هجوم أهالي صور على المدينة مما ترتب عليه قيام بلدوين ببناء قلعة " لتكبح جماح أهل صور"[(١)].

لم تشهد المملكة اللاتينية أي هجوم أسلامي طوال العام، كما لم تحظ باي مساندة بحرية غربية تمكنها من المضي قدما في توسعاتها العسكرية، يضاف إلى ذلك أن الوضع الصحي لبلدوين لم يدفعه للمغامرة بإتخاذ أي خطوة هجومية فقد أزدادت الالأم عليه الناتجة عن جرح أصيب به في عام٤٩٦هـ/ ١١٠٣م وبلغت اوجها في عام٥١١هـ/ ١١١٨م عندما توجه في أذار منه إلى جنوب الأردن ومنها إلى مصر وصولا إلى الفرما[(٢)]، وذلك بمساعدة من البدو- وأغلبهم من جذام[(٣)] - المقيمين على طول الصحراء الممتدة ما بين غزة والعريش[(٤)]، سواء خوفاً من أعتدائه عليهم وخاصة بعد أخذه قافلة كبيرة[(٥)] اومقابل الأجر- وهوما يرجحه الباحث، إذ لوكان للأمر علاقة بالخوف، فرحلة بلدوين كانت عبر منطقة مكشوفة بالنسبة لهم ولكنها متاهة بالنسبة له، كماان المصادر تصف اولئك البدو بان "بعضهم أعداء بعض، ولولا خوف سطوة السلطنة لما أغمد سيف الفتنة بينهم "[(٦)]، ويختلف الباحثون في الأسباب التي دفعت بلدوين إلى التوجه نحومصر، ففي حين يرى أبن الأثير أنه كان يطمح إلى إحتلال مصر بشكل مباشر[(٧)]و على الأغلب أن بلدوين أستهدف إجبار الفاطميين على الإستعانة بحاميتي صور وعسقلان ليعود هو للأستيلاء على عليهما من دون جهد وعناء. وفي النهاية أضطر الصليبيون وخاصة بعد أن أشتد الألم

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٦٠; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٦٧

(٢)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٧; F. Buhl, "Arish", E.I.٢, vol. i, p. ٦٣٠

(٣)انظر:

F. Buhl, "Arish", E.I.٢, vol. i, p. ٦٣٠

(٤)العريش: توصف في فترة الدراسة على انها نطقة استراتيجية ما بين غزة مصر وهي منطقة يسكنها البدو الرحل وتكثر فيها الماشية. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٦٢

انظر ايضاً:

F. Buhl, "Arish", E.I.٢, vol. i, p. ٦٣٠

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٥، ص٢٠٥

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٢

(٧) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٥٨٤

http://www.al-maktabeh.com

على بلدوين إلى العودة أدراجهم في ٥١١هـ/ ٢٥ اذار ١١١٨م، وعندما وصلوا العريش في ٢ نيسان توفي بلدوين ووصل جثمأنه القدس حيث ووري الثرى في ذي الحجة ٥١١هـ/ ٧ نيسان ١١١٨م[1]، وتحاول الروايات الصليبية أن تعطي صورة مبالغاً فيها عن مشاعر الحزن لوفاة بلدوين التي أعترت السكان المحليين المسيحيين والمسلمين، على حد سواء ربما لما ارتبطت به صورة مؤسس الصليبية من التقديس. بوفاة بلدوين الأول كانت حدود مملكة بيت المقدس كالتالي:

شمالا: بيروت، جنوبا: العريش وايلة(بإستثناء صور وعسقلان)

الوظيفة	مهامها
الصنجيل(القهرمان) Senechel	١:مسؤول عن الإحتفالات وخاصة حفل تتويج الملك ٢:يشرف على بيت المال ٣:يمكن القول أنه يشبه حالياً رئيس التشريفات ووزير المالية
الكند سطبل Comesabuli	١:قائد الجيش ٢:مشارك أساسي في الإحتفالات وخاصة حفل تتويج الملك ٣: القاضي العسكري ٤: في حال غياب الملك اونائبه عن الحملة العسكرية يصبح هوصاحب القيادة المطلقة رئيس المحكمة العلياً في حال غياب الملك ٥: قائد الشرطة ٦: المسؤول عن إدارة الاراضي الملكية ٧: هوالمسؤول عن توزيع الرتب العسكرية
المارشال	ينوب عن الكندسطبل في كل شؤونه
القسطلان	المسؤول عن إدارة القلاع الملكية
اليأور	وهومسؤول عن مالية الملك الخاصة
الساقي	لايرد أسمه الإ مرتبطا بالإحتفالات
كبير كتاب الإنشاء(ديوان المحفوظات الملكية)	يحرر الوثائق ويسجلها يضع ختم الملك على الرسائل

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

شرقاً: الكرك والشوبك، غربا: البحر الابيض المتوسط. ..

الفيكونت(شحنة البلد)Viscount	١: نائب عن الملك اوالكونت في مدينته ٢:جباية الضرائب ٣: مسؤول عن المحاكم المحلية ٤: مسؤول عن الامن
المحتسب(وظيفة اسلامية)	يتولاها رجل دين مسلم مراقبة الطرقات والأسواق مراقبة الموازين والمكاييل مراقبة تجار الحبوب والدقيق والخبازين وبائعي السمك مراقبة معلمي الصبيان مراقبة الأطباء
الصاحب(الكاتب)	وهي وظائف أقتضاها تطور الحياة وخاصة الإقتصادية وقد تولاها المسلمون والنصارى على حد سواء
المستحفظ	وهي وظيفة أخذوها عن المسلمين [1]

لم يتمكن غودفروي من تنظيم الجهاز الإداري لمملكة بيت المقدس بسبب الصراع الكبير بينه وبين دايمبرت بطريرك القدس، ذلك الصراع الذي وصل إلى حد نزاع خطير على ملكية برج داود وربع مدينة يافا، وقد أضطر غودفروي في نهاية الأمر إلى التنازل عن ملكية تلك المناطق لصالح كنيسة القيامة، ولم يتم وضع حد لطموحات دايمبرت الا بوصول بلدوين الأول إلى السلطة، وتم تنظيم شؤون الإدارة في يد كبار موظفي البلاط الذين يتخيرهم الملك[2] وهم على النحوالتالي[3]:

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه الوظائف أنظر:

Mayar, The Crusaders, p. ١٦١, Runciman, A History, vol. ٢, pp. ٣٠٣-٣٠٤; Smill, The Crusades, p. ٤٥

(٢)انظر:

Smith, The Atlas, p. ٣٦

ويوضح رينيه كروسيه إلى أن السكان المحليين كانوا يشغلون الوظائف الثانوية، ولانرى منهم من تولى مناصب رفيعة، مقارنة مع الوضع في صقلية. ويشير زابوروف إلى أن النظم الصليبية التي نشأت انما كانت مزيجا ما بين ال اقطاع الغربي الاوروبي بصورته الفرنسية، وال اقطاع العسكري السلجوقي. انظر: رينيه كروسيه، صراع الشرق والغرب، ص٢٠١؛ زابوروف، الصليبيون، ص١٣٢

(٣) زابوروف، الصليبيون، ص١٣٢

http://www.al-maktabeh.com

الكونتيات التابعة للمملكة وإدارتها

تم تنظيم مملك بيت المقدس على أساس اقطاعي، فقسمت المملكة إلى اربع اقطاعيات كبيرة تحت مسمى كونتية، وقسمت الكونتيات على النحوالتالي:-

ال اقطاعية	المناطق التي تشملها
بيت المقدس	بيت المقدس، عكا، نابلس، الداروم
بارونية يافا	يافا، الرملة
بارونية صيدا	صيداً وقيسارية
بارونية شرق الأردن	الكرك والشوبك
بارونية الجليل	مركزها طبرية، حيفا، الجليل، تبنين، وهونين، وبانياس، وشقيف أرنون(١)

قسمت الكونتيات إلى اثني عشر اقطاعاً صغيراً، وكان لازاما على كل واحد من هؤلاء الأمراء أن يعترف بالتبعية لسيده ال اقطاعي، فقد طالب بلدوين الأول عند أعتلائه العرش الأمراء والفرسان بتقديم يمين الولاء والطاعة، وان يقدموا معلومات عن اقطاعاتهم وايراداتهم بما فيها المبالغ النقدية التي يقدمها سكان المدن، كما تعهدوا بتقديم الخدمة العسكرية والفرسان والمحاربين في أي وقت يطلبه الملك(٢). وأحتفظت مملكة بيت المقدس بمقاطعات مسيحية ويهودية وسامرية يحيط بها السكان المسلمون، ففي أماكن مثل القدس وبيت لحم والناصرة وجبل طابور(٣) زاد عدد السكان المسيحيين وربما كنت لهم السيطرة ايضاً على غيرهم من عناصر السكان،

---

(١) شقيف أرنون : قلعة حصينة في كهف الجبل قرب بانياس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٩، مولر، القلاع، ص٨٠

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

وانظر ايضاً: يوشع برارو، عالم الصليبين، ص٧٧

(٣) جبل طابور (الطور): يقع غربي بحيرة طبرية وهو جبل صخري وعر في إقليم الجليل شرق الناصرة مطل على سهل مرج بن عامر ويسمى اليوم جبل الطور. دانيال الراهب، رحلة، ص١٢٠، الحاج بورشارد، وصف، ص٩٤، وللمزيد من المعلوات من المعلوات في المصادر الجغرافية العربية انظر: الأدريسي، نزهة المشتاق، ص٣٤٩، العمري، مسالك الابصار، ج، ص٢١٩. انظر:

E. Hongimann, "al-Tur", E.I.٢, vol. x, pp. ٦٦٣-٦٦٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

وينطبق هذا القول نفسه على بعض المناطق الزراعية، كما وجدت مستوطنات يهودية في منطقة الجليل الزراعية[1]، وكانت هناك جماعات يهودية منظمة في معظم المدن الرئيسية في فلسطين[2]، وعلى الرغم من عدم سيادة الدين الإسلامي الإ أن اللغة العربية كانت اللغة المشتركة لجميع السكان، وفي الوقت الذي كانت الأغلبية العظمى في مدينة القدس من الغرب، استقر عدد كبير من السكان المحليين الذين جذبتهم المطامح الإقتصادية إلى المدن الساحلية بعد الغزو، ذلك أن المسلمين الذين هربوا اوطردوا أثناء حدوث الغزوعادوا ليستقروا في كل مدن المملكة تقريبا باستثناء القدس، وحيثما كان المسلمون أقل ظهوراً كان يوجد المسيحيون الشرقيون المتحدثون باللغة العربية والذين يرتدون الثياب العربية نفسها وغطاء الرأس نفسه، وكان للارمن أحياؤهم، واحتفظ الجورجيون واليعاقبة والاقباط والأثيوبيون بكنائسهم الخاصة، وتقابل البيزنطيون والسوريون مع الموارنة والنساطرة، كما وجد ايضاً الدروز والبدو الذين كانوا يفدون إلى الأسواق والمراكز التجارية كي يقايضوا بمنتجاتهم[3]، وفيما عداً الجيوب السكانية المسيحية كان الريف مسلما وخاصة في أقليم يهوذا والسامرة والجليل التي كانت أقل جاذبية بالنسبة للغربيين من المدن الساحلية وحصونها[4].

اما التنظيم العسكري فقد ارتكز على مصادر محددة للتجنيد[5] وهي:القوات ال اقطاعية والنفير العام، والمرتزقة، والمتطوعة من جماعات الحجاج. ولم تكن الخدمة العسكرية الخاضعة لملوك القدس تقتصر على الاتباع ال

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

وانظر ايضاً: يوشع برارو، عالم الصليبين، ص٧٧

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.٢١٣-٢١٥

وانظر ايضاً: يوشع برارو، عالم الصليبين، ص٧٧

(٣) ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢٢٥.

(٤) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

وانظر ايضاً: يوشع برارو، عالم الصليبين، ص٧٧

(٥)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

http://www.al-maktabeh.com

اقطاعيين فقط، وإنما تشمل ايضاً رجال الإكليروس والمجتمعات المدنية كذلك، ولم يكن هـؤلاء يلتزمـون بالخدمـة مثل الفرسان وإنما برتبة سرجندية عند الحاجة(١).

أمّا التنظيم الكنسي فقد تم تحديد صلاحيات البطريرك على أن يتولى إدارة شوؤن البطريركية وتعيـين الأسـاقفة، وإدارة ال اقطاعيات التابعة لصلاحياته وجمع عشر الكنيسة وإدارة شؤون المملكة في حال غياب الملك، والتدخل وإدارة المفاوضات في حال وقوع الملك في الأسر، كما له حرية عقد المعاهدات التجارية(٢)

وقد أستغل بلدوين وجود أميري الرها وأنطاكية عام ٤٩٢هـ /١١٠٢م لإثـارة عـدة قضـاياً أهمهـا طبيعـة العلاقـة التي تربطهما بملك القدس، ورغبة بلدوين في التخلص من دايمبرت، مستغلاً كونها المرة الأولى منذ تـولي بلـدوين سلطاته يجتمع فيها الصليبيون في بـلاد الشـام، وتمكـن بلـدوين مـن ضـمان ولاء الفرسـان الصـليبيين في المملكـة وخاصة بعد أن وزع مدن المملكة فيما بيـنهم عـلى شـكل دوقيـات وكونتيـات تمتعـوا داخلهـا بقسـط وافـر مـن الصلاحيات. وبعد الإنتصارات المتلاحقة التي أحدثها على الفاطميين شعر بحصوله على قسط مـن الـر احـة يمكـن أستغلاله في حل النزاعات الداخلية. كما تواردت الأنباء عن وصول مبعوث بابوي للنظر في النزاع القائم بين الملك والبطريرك، وهوالذي حكم لاحقاً لصالح الملك وأعفي البطريرك من مهامه، وقد أثر هذا القرار سلبا على العلاقـة مع أميري الرها وأنطاكية اللذين ربطا التبعية للملك بإعادة دايمبرت إلى منصب البطريركية(٣). وقـد قـام البابـا في عام٥٠٩هـ/ ١١١٥م بإقالة البطريـرك أرنولـف مـن منصـبه ولم يسـتطع الأخـير اسـتعادته الإ عنـدما وصـل رومـا في٥١٠هـ/ ١١١٦م، والمهم في هذا الحدث أنه يشير إلى أن قرار تعيين البطريرك يتخذه البابا وصـلاحياته تحـددها قوة الملك(٤).

(١) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

(٢) انظر:

Smith, the Atlas, p. ٣٤

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٥٩

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٥٩-٥٦٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

التنظيم الإقتصادي والإجتماعي:

يلاحظ المتتبع للأحداث أن الصليبيين منذ أستيلائهم على القدس لم يشهدوا فترة رخاء أقتصادي، فالقدس بطبيعتها جدباء[1] والحقول الخصبة محيطة بل يمكن أعتبارها بعيدة، كما أنها أخليت تماما من سكأنها الأصليين فلم تجد من يزرعها ويدير الحركة التجارية فيها[2] غير أن الفرنجة لم يكن بمقدور مواصلة سياسة رفض الآخر بشكل مطلق وكلي، فقد واجهوا مأزقاً حاداً بمجرد تحولهم إلى الإستقرار المدني، لذا فقد قرر الإستفادة من رحلاته في شرق الأردن المليئة بالسريان البدومنهم والفلاحين ومنح هؤلاء اقطاعات واسعة في القدس التي بدت بحاجة ماسة لهذه المعونة وأمتلأت المنازل بهم[3] ونتساءل هنا:- لولم يكن هؤلاء مفيدين وجديرين بالثقة هل تمنحهم المملكة هذه ال اقطاعيات والحقوق[4]. وقد ترتب على زيادة عدد سكان المدينة عدد من القضاياً الاساسية تمثلت في كيفية توفير أحتياجات هذه الأعداد المتزايدة - التي بلغ عددها حوالي عشرة الآف شخص-[5] من المؤن والمواد الغذائية، ولم يتمكن بلدوين الأول من وضع حل لهذه المشكلة التي ترجع المصادر اللاتينية سببها إلى فرض ضريبة على الأطعمة التي تدخل وتخرج من المدينة، والدمج بين السكان الغربيين الكاثوليك والشرقيين بطوائفهم المتعددة

---

(١) ويشير الرحالة بورشارد إلى تأثير المعلومات والأخبار عن طبيعة القدس الجافة عن عزوف الاوروبين عن الحج اليها، بورشارد، وصف، ص١٦٧. انظر:

O. Grabar, "AL- Kuds", E.I.٢, vol. v, pp. ٣٢٢-٣٤٤

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٠

وانظر ايضاً: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص١١٠

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٠

وتجدر الاشارة إلى أن اخطر ما تعرض له الفلاحون هو وصول صليبين جدد من الغرب الاوروبي، حيث كان هؤلاء عادة مشبعين بروح العداء وحب المغامرة للحصول على الثروات، فلا يجدون وسيلة للتنفيس عن حماستهم سوى انزال نقمتهم بالفلاحين العزل.

(٤)انظر:

Smill, The Crusades, p. ٥١

(٥)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٠

http://www.al-maktabeh.com

عمل بلدوين الأول على إحداث حالة من الإستقرار الإجتماعي بين فئات المجتمع التي كانت قبل فترة وجيزة أعداء، فشجع على التزاوج بينهم مما أدى إلى نشوء جيل جديد من المولدين في بلاد الشام تولى لاحقاً مهمة الدفاع عن المملكة وحمايتها(١). وتكون إثر ذلك مجتمع فرنجي في أرض شرقية أختلف تماما عن اولئك الفرنجة في الغرب كل ذلك بحكم الظروف والبئية، وأختلف بذلك تعامل هاتين الفئتين مع السكان المحليين من المسيحيين والمسلمين(٢)، وهوأمر واقع اعترف به المؤرخون الفرنجة انفسهم(٣). كانت الدخول التي يحصلها الحاكم ال اقطاعي سنوياً تؤمن نفقاته الشخصية كلها والمصاريف الحكومية الطارئة وكان يعيش على حسابه الخاص بما يملك من الضياع والعقارات، وكانت الأملاك الملكية تمتد في الشرق حتى نهر الأردن والبحر الميت وتخضع له بشكل مباشر العديد من المدن مثل القدس ونابلس وعكا وصور(٤)، وكانوا يجبون الرسوم الجمركية في المدن والموانئ لصالح التاج وخاصة الضرائب عن كل حاج(٥) كما كانوا يجبون الضرائب من القوافل الشرقية التي تعبر من القاهرة إلى بغداد ومن دمشق إلى القاهرة ومكة والمدينة، وكانوا يجبون الضرائب ايضاً من البدو وخاصة في شرق الأردن عن حق الإنتفاع بالمراعي التي أنتزعها الصليبيون منهم(٦) فقد كان أستقراره في الحكم مرهونا

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٥٩

للمزيد من المعلومات أنظر انتوني بردج، تاريخ الحروب، ص١١٩.

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

ويشير رينيه كروسية ان التداخل داخل المدن كان اقوى، أما سكان الريف فقد ظلوا محليين ولم يختلطوا مع غيرهم رغم وجود بعض الحالات المحدودة جدا، لان الفرنجة بمجملهم جنسا فخوراً بنفسه لايختلط بالاخرين. رينيه كروسية، الشرق والغرب، ص١١٣، ٢٠٠.

(٣)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦٠

(٤)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٠

(٥)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٦١; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٠

(٦)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢١٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

بصورة رئيسية بما يملكه من أراض تشكل أكبر مصدر لقوته، وكان يلح في طلب الأراضي ايضاً لكي يقطعها لإتباعه المباشرين الذين يمكن أن يخدموه في بلاطه وفي جيشه مشكلين بذلك أساس قوته المسلحة، ويروى وليم الصوري في معرض تعليقه على فقر الملك بلدوين الأول أن الملك نادراً ما كان يملك ما يكفيه رواتب الخياله[1]. ..

عهد بلدوين الثاني(ذوالحجة ٥١١هـ /نيسان ١١١٨-٢٥ رمضان ٥٢٦هـ- ٢١ آب ١١٣١م)

في الوقت الذي كان يقضي فيه بلدوين ايامه الاخيرة في مصر- كان بلدوين دي بورغ Baldwin de Burg[2] كونت الرها يتجه في رحلة حج إلى القدس ليصلها في اليوم نفسه الذي يصل فيه جثمان المللك ويدفن[3]، وشهد أنقسام الصليبيين إلى فريقين الاول: ويرى ضرورة أستدعاء يوستاس شقيق الملك من أوربا تطبيقاً لنظام الوراثة، والثاني: يرى ضرورة حماية أمن وإستقرار المملكة وإنتخاب ملك جديد من بين النبلاء الحاضرين، وسرعان ما طرح البطريرك أرنولف وجوسلين حاكم طبرية – الذي كان يسعى للحصول على إمارة الرها كمكافأة له - أسم بلدوين دي بورغ لهذا المنصب على إعتباره أكثر الحاضرين قرابة للملك المتوفي، وسرعان ما تم تنصيبه ملكا في ذوالحجة ٥١١هـ / نيسان ١١١٨م[4].

التوسع الخارجي:-

أضطر بلدوين الثاني حال تنصيبه ملكا جديداً لبيت المقدس مواجهة تقدم طغتكين نحو سواد طبرية "فأقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف، والحيانية والصلت والغور، فلم يجب إلى ذلك، وأظهر القوة، فسار طغتكين إلى طبرية فنهبها وما حولها، وسار منها إلى عسقلان"[5]. كما حاول الفاطميون في نفس الوقت تقريباً جس نبض الملك الجديد للتعرف على ما آل عليه وضع المملكة الصليبية، فوجهوا حملة أتجهت

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥

(٢) بلدوين دي بورغ (Baldwinde Burg): ابن عم بلدوين الأول خلفه على امارة الرها ما بين (١١٠٠-١١١٨م) ثم على عرش مملكة بيت المقدس ما بين (١١١٨-١١٣١م)

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١١٩; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٧٠

(٣)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١١٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٧٠

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p. ١١٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٧٠-٥٧٤

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٨٤

http://www.al-maktabeh.com

قوتها البرية من عسقلان والبحرية من صور لتجتمع في موقع يعرف بأسم أسدود[١] وأنضمت اليها قوات طغتكين حاكم دمشق، وتقابل الطرفان لمدة ثلاثة أشهر كاملة دون حدوث مواجهة بينهما وأخيراً قرر قائد الجيش الفاطمي أن يتراجع إلى عسقلان دون أن يحقق غاية تذكر[٢]. وقام الدماشقة بمهاجمة الحقول التابعة للمملكة بالقرب من نهر الأردن وتصدى الملك لردهم[٣]. وشهدت هذه الفترة غارات متواصلة من قبائل طيء وربيعة، فقد "هاجم طائفة من طيء يعرفون ببني خالد ودلّوهم على بقية بني ربيعة وراء الحزن بوادي السلاسل بين دمشق وطبرية، وجرت بين الطرفين وقعة، ثم عاد جوسلين وأغار على عسقلان"[٤]، وقد كانت هذه القبائل تعاني من اوضاع أقتصادية سيئة وإنتشار الأمراض والاوبئة ما بينهم" ورايت بهم من الضر أمراً عظيما، قد يبست جلودهم على عظامهم "[٥]. وحاول طغتكين أستغلال إنشغال بلدوين الثاني بإدارة الشؤون الداخلية لأنطاكية وبيت المقدس، وبدأ في ٥١٤هـ/ ١١٢١م بتخريب ريف طبرية بتحالف مع أحدى القبائل العربية - لاتذكر المصادر اسم القبيلة ولا زعيمها- وما أن توجه بلدوين لرد الإعتداء حتى سارع طغتكين بالإنسحاب، وبدأ بلدوين الثاني بمطاردتهم حتى وصل إلى جرش، وكانت مهجورة منذ مدة طويلة بإستثناء قلعة بناها طغتكين ٥١٤

(١) أسدود: تقع اسدود شمال غزة على الطريق بين يافاً وغزة ترد اهميتها في فترة الدراسة لتردد اسمها في الكتب المقدس، وتبدو في هذه الفترة مدينة ضئيلة الاهمية. انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p. ١١٩

ولمزيد من المعلومات في المراجع الجغرافية الحديثة انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص٢٥٥

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p. ١١٩; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٧٥

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٧٥

وتوجه بعد ذلك إلى مشاركة روجر حاكم أنطاكية في قتال ايلغازي حاكم الموصل(ت٥٨٠/ ١١٨٤م) بالقرب من حصن الأثارب وقد انتهى القتال بمقتل روجر ووضع إمارة أنطاكية تحت وصاية بلدوين الثاني انتهت وصاية بلدوين الثاني على أنطاكية في عام ايلول ١١٢٦م بوصول ابنه الصغير إلى أنطاكية وإستلام إرثه الشرعي. لمزيد من المعلومات حول هذه الأحداث. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ٨، ص٥٩٢-٥٩٣ ؛ اسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، ص٢٠٥. أنظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, pp.١٨٦-١٨٧, ٢٣٧; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٨٢-٥٨٦, ٦٣٨-٦٣٩

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٨، ص٥٩٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص١٣٨-١٣٩

(٥) اسامة بن منقذ، الأعتبار، ص٦٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

هـ/ ١١٢٠م وزودها بحامية[١]، ونظراً لبعد الحامية وصعوبة الوصول اليها فقد قرر بلدوين الثاني الإكتفاء بتدمير القلعة وحرقها[٢] والعودة إلى القدس مباشرة[٣]. وبدأ طغتكين بإتباع سياسة جديدة تقوم على نقل جماعات قبلية موالية له و اقطاعها مساحات واسعة من الأراضي المشرفة على المدن الصليبية، فبدأ أعتباراً من٥١٤هـ/ ١١٢٠ بنقل المعنيين[٤] إلى الشوف[٥]

[٦]- وهي إلى جانب وادي التيم مناطق درزية -مجأورة قبائل تنوخ في الغرب، ومن هناك بداوا بشن الهجمات المزعجة على الصليبين وخاصة في بيروت مادام أن طغتكين يؤمن لهم "الإقامات الوافرة"[٧]. وفي ربيع الأول ٥١٧هـ/ ايار ١١٢٣م إضطربت الاوضاع السياسية للمملكة اللاتينية بعد أسر بلك بن بهرام (ت ٥١٨

---

(١) أنظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, pp. ١٩١-١٩٢

(٢) عبدالله بن محمد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، البستان الجامع، ط١، تحقيق عمر عبدالسلام التدمري المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وسيشار اليه لاحقاً بـ الأصفهاني، البستان الجامع، ص٣٢٤

(٣) أنظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٩٠-١٩٢; William of Tyre, A History of Deeds, p.٥٨٩

(٤) المعنيون، قرشيون من سلالة مرة بن كعب، سكنوا حوران بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ١٤هـ/ ٦٣٦م، وبقوا فيها حتى رحليهم عنها في عام ٥١٤هـ/١١٢٠م، ليستوطنوا بالقرب من آل تنوخ في منطقة الغرب اللبناني، وتبعهم الشهابيون في عام٥٧٦هـ/١١٧٢م. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٥٨. لمزيد من المعلومات، انظر :

K. S. Salibi, "Ma-n, Banu", E.I.٢, vol. iv, pp. ٣٤٣-٣٤٤; Kais M. Firro, "al- Shuf", E.I.٢, vol. ix, p. ٤٩٤.

(٥) الشوف: أحدى مناطق الغرب اللبناني التي تضم كسروان والشوف والمتن، يشكل مجرى نهر الدامور حدوده الشمالية، ومجرى نهر الاولي حدوده الجنوبية إلى الجنوب من بيروت، ويمتد من شواطىء البحر الأبيض في الغرب صعوداً نحو قمم جبل لبنان الشرقية على ارتفاع ألفي متر لتشكل حدوده الشرقية، حيث تبلغ مساحته ٤٩٥ كيلومتراً مربعاً أي ٤. ٧ % من المساحة الاجمالية. وكان عند نزول المعنيين عليه خالياً من السكان فعمر بهم، يقع ضمن سلطة التنوخيين. انظر:

Kais M. Firro, "al- Shuf", E.I.٢, vol. ix, p. ٤٩٤

(٦) وتصف الدراسات الحديثة منطقة البقاع اللبناني بأنها كانت على الدوام " عامل جذب واغراء للهجرات البشرية النازحة من مواطن البؤس والجفاف"، يحيى حسن عمار، تاريخ وادي التيم، ص١٥؛ بطرس ضو، ج٣، تاريخ الموارنة الدنيوي، ص٥٠٩

(٧) وعلى هذه الشاكلة كانت العلاقات مع هذه القبائل فهم أما معادون اومصالحون للصليبيين الذين تمكنوا من السيطرة على منطقة الغرب عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م. ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٣٠-٢٧.

http://www.al-maktabeh.com

هـ/١١٢٤م)[١] بلدوين الثاني وإقامة يوستاس غرينر حاكم قيسارية وصيداً كافل المملكة في قيسارية[٢]، فتجمع الفاطميون بقوة عسكرية كبيرة برية وبحرية في عسقلان، وأتخذوا من يافاً نقطة لهجومهم، وفعلا بداوا بنسف أسوار المدينة، وعلى الرغم من أشارة وليم الصوري إلى أنهم حال أن سمعوا بتحرك الصليبين من قيسارية فكوا الحصار عن المدينة الضعيفة الموشكة على السقوط[٣]، الإ أن السبب الحقيقي هوالقدوم المفاجئ للأسطول البندقي، فسرعان ما وقعت مواجهة بحرية بينه وبين الإسطول الفاطمي بالقرب من شواطئ يافاً أنتهت بإنتصار البنادقة وإغراقهم قسماً من الإسطول وملاحقة القسم الآخر حتى العريش والإستيلاء على حمولته من التوابل والسلع الشرقية ليبحروا بعدها إلى عكا[٤]، أما على صعيد المعركة البرية فقد وقع الإصطدام العسكري بالقرب من يبنى في ٢ ربيع الثاني ٥١٧هـ/ ٢٩ايار ١١٢٣م، وانتصر فيه الصليبيون[٥]. سارع الصليبون للإستفادة من نصرهم في يبنى ومن وجود الإسطول البندقي في عكا، فقد تمت دعوة قائد الإسطول إلى القدس حيث أجري له إستقبال كبير وتم الإتفاق معه على التعاون بالإستيلاء على إحدى المدينتين صور اوعسقلان - وتم أختيار صور بموجب قرعة[٦]- وفقاً للشروط التالية:

---

(١) بلك بن بهرام بن أرتق(ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م). هو ابن اخي ايلغازي صاحب الموصل وامير حلب ساهم في شن الغزوات على الصليبيين قتل في احدى حروبه مع الافرنج على مشارف حلب. ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٩١

(٢)قلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٢٠؛ ابن ا ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٣٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.١٩٥-١٩٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٩٦-٥٩٧

للمزيد من العلومات عن بارونية صيداً أنظر، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا، في العصر الإسلامي.

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٩٦-٥٩٧

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٣٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٩٥-١٩٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٩٦-٥٩٧

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٣٧. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٩٥-١٩٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٩٦-٥٩٧

(٦)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.١٩٨; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٠١

يفصل محمد حسن حجازي، بتفاصيل هذا الاتفاق وتوضيح ابعاده على دور البنادقة في الحملة الصليبية الأولى . محمد حسن حجازي(السنة ١٩٧٩م)، جنوب لبنان تحت الاحتلال الصليبي، مجلة تاريخ العرب، (ع٦)، ص٧٢، وسيشار اليه لاحقاً بـ محمد حسن حجازي

مكتبة المهتدين الإسلامية

١: يحصل البنادقة على كنيسة وشارع كامل لهم وحمام وساحة وفرن يحتفظون به بحق وراثي خالصين من الضرائب في كل مدينة تابعة للملك بلدوين الثاني. ٢: يمتلكون في ساحة القدس بقدر ما يمتلك الملك نفسه. ٣: إذا رغبوا في إتخاذ حي خاص بهم في عكا فلهم ذلك، ٤: يحق لكل مقيم أن يطحن اويستحم بحرية في ممتلكات الملك، ٥: عندما يتاجرون مع بعضهم بعضاً يكيلون بمكيالهم، ٦: عندما يبيعون للشعوب الأخرى يكيلون بمكيالهم، ٧: عندما يشترون من الشعوب الأخرى يكيلون بالمكيال الملكي، ٨: لا يدفع البنادقة أي ضريبة مهما كان نوعها الإ عندما يحملّون حجاجا على مراكبهم فعليهم أن يدفعوا الثلث للملك نفسه[١].

وتكمن أهمية هذه المعاهدة في أنها اول نموذج ملموس ومدون لإنتقاص سلطة الملك على أراضيه، بل والإعتراف بوجود شبه إدارة ذاتية للبنادقة في الأماكن المحددة لهم بموجب هذه الإتفاقية والتابعة اسمياً لإدارة الملك، وتنازل الصليبين وقبولهم بهذه الشروط المجحفة دليل ايضاً على ضعفهم وإدراكهم عدم قدرتهم على تحقيق أي نصر اوتوسع عسكري أو تأمين سيادتهم على الشاطئ الشامي من دون مساعدة خارجية، كما أنهم لم يحصلوا على مساعدة مادية من البنادقة بل أضطروا إلى الاقتراض وفرض المزيد من الضرائب لتأمين اجور الفرسان والمشاة[٢]..

وبدأ الصليبيون بفرض حصارهم على مدينة صور، بعد أن سيطروا على الريف المحيط بالمدينة خاصة منذ بناء قلعة سكاندليون(تل المعشوقة)، فقد أحاط الصليبيون المدينة بشكل دائري مما حال دون دخول اوخروج السكان الموجودين فيها وأجبرهم على البقاء داخل المدينة[٣]، التي كانت منقسمة من حيث السيادة بين الفاطميين في مصر والسلاجقة في دمشق، وتمتعت المدينةبثراء واسع ليس لخصوبة تربتها ولموقعها التجاري البحري والبري فقط وإنما ايضاً بإعتبارها أخر المعاقل التي ضمت اولئك المهاجرين على طول أمتداد الساحل

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp.١٩٨-١٩٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٦٠١-٦٠٥

(٢) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٠٦

(٣) ابن الأثير، الكامل ج ٨، ص ٦٣٩-٦٤١. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٠٦; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦١٧

http://www.al-maktabeh.com

الشامي طوال فترة الزحف الصليبي؛ فقد اقام فيها التجار الأثرياء الذين دفعوا لطغتكين حتى يوفر حماية دائمة للدفاع عن المدينة(١). وكما بنى الصليبيون أبراجهم لإحكام الهجوم على المدينة بنى الصوريون دفاعاتهم، وبما أن الصوريين أصحاب ثروة الإ أنهم شتات وجند دمشق يقومون بحرفتهم التي سبق وقبضوا ثمنها، فقد كانوا أكثر حرصا من الأهالي على المقاومة وإستمرار الحصار(٢)، وحاولت الحامية الفاطمية في عسقلان مساندة صور بمهاجمة القدس نفسها، وقد أضطروا للإنسحاب بعد مواجهة قصيرة مع سكان المدينة(٣)، ومع ذلك أستمرت حامية عسقلان بمساندة القبائل العربية بنهب الريف المحيط بالقدس إذ دمروا وأحرقوا قرية البيرة(٤)، ومما زاد من حدة هذه الغزوات القبلية سوء الموسم المطري لذلك العام(٥).

ومن جانب آخر توجه طغتكين من دمشق إلى صور، وما أن وصل النهر المشرف على المدينة حتى سارع الصليبيون إلى مهاجمته وأضطر أن يعود إلى دمشق(٦). وتجدر الإشارة إلى المساعدة التي قدمها الأرمن للمسلمين في هذا الحصار التي تمثلت في صنع أدوات للحصار وخاصة بعد أن قام مجموعة من شبان المدينة بعملية إنتحارية أستهدفت إحدى الآلآت الحربية الصليبية، وفي الوقت نفسه قامت إحدى الآلآت داخل المدينة بقذف القذائف وإلحاق الأضرار بالصليبيين(٧). وكان عدم حصول الصوريين على مساندة حقيقية من الفاطميين اومن

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦١٧

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p. ٢٠٦

(٣)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٠٦

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢١٤; William of Tyre, A History of Deeds, p.٦٢٥ Cahen, Claude, "An introduction", p. ٢٣

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص ٣٣٨، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٤٣. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٠٦

(٦)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٦٥٥، الحريري، الاعلام، ص٧٥. انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition , p.٢٠٦; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٢٥

(٧)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.٢١٣; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٢٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

دمشق بالاضافة إلى تردي الموسم المطري لذلك العام، وإحكام الحصار على المدينة، وإنتشار المجاعة، وخشية الأهالي على ثروتهم من النهب في حال أجتياح المدينة[1] كلها أسباب دفعتهم إلى طلب الإستسلام الذي تضمن الشروط التالية:١: يسمح للسكان الذين كانوا يرغبون بمغادرة المدينة بالرحيل بحرية مع زوجاتهم وأبنائهم وجميع ممتلكاتهم، ٢: يؤذن للذين يفضلون البقاء في مدينة صور بالبقاء وان تضمن منازلهم وممتلكاتهم. وسرعان ما وقعت معاهدة أستسلام المدينة في٢٣جمادى الأولى ٥١٨هـ /٧ تموز ١١٢٤م[2]. وقد تقرر في أثناء حصار صور إطلاق سراح بلدوين الثاني في١٥ جمادى الآخر ٥١٨هـ/ ٢٩ تموز ١١٢٤م مقابل فدية مالية مؤجلة - أختلفت الروايات في تقدير قيمتها-[3].

ونتيجة للوضع الإقتصادي السيئ للمملكة الصليبية، وعجزها عن تأمين أحتياجاتها أتخذ بلدوين الثاني أسلوب الغارات الخاطفة التي بدأها في ما وراء نهر الأردن وأسر وسلب ونهب[4]، واستأنف بلدوين غاراته في عام٥٢٠-٥٢١هـ/ ١١٢٦م مبكراً منذ بداية فصل الشتاء، ففي كانون الثاني قام بالإستعداد لغزودمشق بجمع قواته في

---

(١)انظر:

Regine Prnoud, the Crusaders, p. ١٩٠; Oldenbourg, The Crusades, p. ٢٤٦

(٢)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٣٦- ٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٤٣؛ ابن ميسر، المنتقى، ص٩٦؛ ابوالفداء، المختصر ص٦٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣. ص١٠٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٥١١-٥٢٠)، ص٣٠٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٧٥. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ٢١٣-٢١٥; William of Tyre, A History of Deeds, p.٦٢٦

(٣) سارع لتأمينها بجمع فرسأنه من أنطاكية وما حولها ومهاجمة حلب مستغلا تردي الاوضاع الإقتصادية وخلوها من أهلها، ومع ذلك حصلت على نجدة من قوات حاكم الموصل البرسقي، وبعد عدة مواجهات بين خاسر ومنتصر تمكن بلدوين الثاني من هزيمة البرسقي ودفعه إلى مغادرة ريف أنطاكية مخلفاً وراءه الكثير من الغنائم، ومنها ومن سخاياً الأمراء تمكن بلدوين الثاني من دفع الدية المقررة وأسترداد ابنته الرهينة ليعود إلى عرش مملكته بعد غياب دام قرابة العامين. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢١٩; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٦٢٨-٦٣٠

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٠٥; William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٢٩

http://www.al-maktabeh.com

طبرية، وأجتاز في رحلة مدمرة منطقة الصنبرة إلى الراحوب[١] إلى سهل حوران ومن ثم قرية سالومي[٢] وصولا إلى وادي موسى التي أقاموا فيها لمدة يومين[٣] وفي شعبان من عام٥٢١هـ / ايلول ١١٢٧م غزا بلـدوين وادي مـوسى " فنهب أهله وسبأهم وشرد جمعهم ثم عاد عنهم"[٤] وقد شـكلت أعـراب بنـي فهيـد معظـم سـكأنها أضـافة إلى بعض من طيء[٥]. ثم قام بنهب ريف دمشق مباشرة بعد إنتهاء الهدنة ووفاة طغتكين وذلـك في٥٢٣هـ /١١٢٩م فأجتاح المنطقة دون عائق ودمر الحقول المحيطة بها[٦] في جووصف ب" المطر شديد، والبرد عظـيم[٧] " فالهدنـة ارتبطت دوما بمواسم الحصاد[٨]، وما أن وصلت الأنباء عن تجديد حامية عسقلان ورغبة القادمين الجدد في غـزو القدس حتى أخذ بلدوين زمام المبادرة، وأرسل قوة خفيفة مسّلحة للعبث بريـف عسـقلان وإسـتدراج الحاميـة الفاطمية إلى خارج الأسوار، وهذا ما حدث فعلا فسرعان ما وصلت باقي قوات الملك وبـدأت بمهاجمـة الحاميـة وإلحاق الهزيمة بهم ليعود بلدوين الثاني إلى القـدس منتصرا[٩]، الإ أن ذلـك كلـه لم يحـدث تغيـيراً عـلى الصـعيد الإقتصادي اوالأمني، فالعامة في المملكة اللاتينية وان كانوا من الفقراء سواء من الفلاحـين أو مـن الحطـابين فهـم يقعون في الأسر اويقتلون في كمائن الوهاد والأحراج، ويباغتهم المصريون بهجوم من البحر والبر من ومن ناحية

---

(١) الراحوب(رحاب، أرحاب) موقع من عمل حوران، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٠، وهي تقع حالياً غربي مدينة المفرق الأردنية.

(٢) سالومي: وردت في بعض المصادر باسم سلمين موقع من عمل حوران، ابن القلانسي، ذيل، تاريخ، ص٣٤٧؛ يـاقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤١

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٣٤

(٤) ابن القلانسي، ذيل، تاريخ، ص٣٤٧. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٣٥

(٥) أسامة ابن منقذ، الإعتبار، ص٨٦

(٦)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٣٩-٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٠. انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p. ٢٢٧

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧١

(٨) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص٢٦

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٠. انظر:

Fulcher of Charter, A Historyof the Expedition, p.٢٢٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشمال يفاجئهم السلاجقة[1]. وعلى إثر هذه الظروف قام بلدوين في تشرين الأول ببناء قلعة بالقرب من بيروت أسماها ديجلاديو، وذلك بهدف السيطرة على الفلاحين المتمردين "وكان الفلاحون الشرقيون يرفضون في الماضي أن يدفعوا ضرائب أراضيهم ولكنهم أجبروا بعدئذ على أن يفعلوا ذلك"[2]. وفي محرم ٥٢٥هـ/ كانون اول ١١٣٠م وصل إمداد بشري جديد من أوروبا، فطمع بلدوين الثاني بمهاجمة دمشق بمساندة أميري أنطاكية وطرابلس، إلا أن الفرق الصليبية الباحثة عن الثروة –الصليبيون الغربيون – والباحثة عن المؤن – الصليبيون الشرقيون - أخذت تتصرف بطيش وتخرب الحقول بشكل فوضوي، فأستغل الجند الدمشقي هذا الوضع جيداً فأنقض عليهم وشتت جمعهم ولم يستطع بلدوين الثاني تنظيم قواته والبدء بهجوم جديد بسبب هبوب عاصفة ممطرة رافقها ضباب كثيف سدت الطرق السالكة وأضطرت الصليبيين إلى التراجع إلى القدس[3]، وهنا لعب فصل الشتاء من جديد دوراً في هزيمتهم دون أن يتعلموا من تجاربهم السابقة ويركنوا في هذا الموسم إلى الهدوء والدعة .ومنذ عام٥١١-٥١٢هـ/ ١١١٨م أنشغل بلدوين الثاني بقضاياً تتعلق بتنظيم الكنيسة بعد وفاة أرنولف[4]، والإعلان عن

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٢٤

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٢٦; William of Tyre, A History of Deeds, p.٦٣٢

وهنا تجدر الاشارة إلى أن الفلاحين المحليين تحولوا تحت السيادة الفرنجية إلى اقنان، زابوروف، الصليبيون، ص١٣٣. انظر ايضاً:

Oldenbourg, The Crusades, p. ٢٥٠

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٣٥

(٤)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٦٧

http://www.al-maktabeh.com

تأسيس منظمة الفرسان الداوية(١) كمنظمة ذات أعمال دينية يسمح لها بحمل السلاح(٢) وكانت قبل ذلك منظمة خيرية لاشان لها بالعمل العسكري، فأصبح هدفهم الرئيس" ذلك الذي فرضه عليهم البطريرك والأسساقفة الآخرون لإزالة الآثام، إبقاء الطرق العامة آمنة من تهديد اللصوص وقطاع الطرق وايلاء أهتمام خاص لحماية الحجاج بقدر ما تسمح لهم قوتهم بذلك"(٣)، وتم تنظيم وضعهم على النحوالتالي ١: مكان إقامتهم في الجهة الشمالية من قصر الملك ٢:لهم ساحة خاصة بهم بالقرب من القصر يمارسون بها واجباتهم الدينية ٣: زودهم الملك والنبلاء بمجموعة من ال اقطاعات منها المؤقتة ومنها الدائمة(٤)، وبذلك تشكلت نواة اول مؤسسة دينية عسكرية مستقلة نظرياً تحت سيادة الملك عمليا. من أهم الصعوبات التي واجهها السكان في بيت المقدس ومنذ عهد بلدوين الأول بعد أن بدأً بتزويد المدينة بالعناصر البشرية المحلية هي أرتفاع اسعار المواد الغذائية وصعوبة تزويد السكان بها، وقد عمل بلدوين الثاني على حل هذه المشكلة بإعفاء الأهالي من الضرائب المفروضة على المواد الغذائية وأعطى تصريحا لتجار الحبوب والخضار بحرية الدخول والخروج من المدينة(٥). ومن المؤكد أن غالبية السكان في الدويلات الصليبية كانوا من السكان المحليين (٦)، وكان التعايش السلمي من ضرورات الأستيطان، ومما يدل على ذلك سيطرة الفرنج على مساحات واسعة تفوق بكثير قوتهم العددية،

---

(١) الفرسان الداوية (الهيكليين): Kinghts of the Temple تأسست عام ٥١٢هـ/١١١٨م، عندما قدم الملك بلدوين الثاني إلى مجموعة من فرسان المملكة جزءا من المسجد الاقصى (معبد سليمان) وكانت مهمتهم حماية طرق الحجيج و بقيت على هذا الحال حتى عام٥٢١هـ/١١٢٧م حيث تم الإعلان رسمياً عن صفتها العسكرية المنظمة وكانت في عام٥١١هـ/ ١١١٨م لاتتجاوز التسعة اشخاص. إبراهيم خميس سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية: جماعة الفرسان الداوية، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٤٥

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٧٧

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٧٦

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٨٨-٥٨٩

(٦) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١١٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتمكنهم من أستغلال الفلاحين المسلمين لصالح ال اقطاعيات الفرنجية كضرورة أقتصادية[1] كما كانت تحدث بين المسلمين والصليبيين أتصالات حضارية في فترات السلم، ولما كان عدد الفرنج المستوطنين قليلاً فقد أضطروا إلى منح بعض الحقوق والإدارة الذاتية وخاصة فيما يتعلق بالانظمة القضائية لإصحاب البلاد أضافة إلى حرية التمتع بتقاليدهم وعاداتهم وأحكامهم الخاصة[2]، وذلك للأسباب التالية ١: غارات قبلية متواصلة أستهدفت مواسم الحصاد وجمع المحاصيل، ٢:أسراب من الجراد وأعداد هائلة من الفئران وذلك لمدة أربع سنوات متتالية مابين٥١١-٥١٤هـ/ ١١١٧م-١١٢٠م[3]. وترتب على هذه الأحداث هروب الكثير من الفلاحين من الأراضي مما أجبر ال اقطاعيين الصليبين على إتخاذ وسائل عنف بحق كل من يهرب من أرضه"[4] ومما له دلالته أن مجموعة قوانين الملك بلدوين الثاني[5] قد نصت على التدابير الواجب إتخاذها في حال فتنة الأقنان، فإذا ما دعم أحد أتباع السيد أقنأنه -- وكان هذا ما يحدث في أحوال كثيرة جداً إذ كان ال اقطاعيون غالبا ما يتعادون - فقد كان من حق السيد كما جاء في هذه القوانين أن يحرم أتباعه من اقطاعه، وبموجب أصول قانونية صدرت لاحقاً في مملكة القدس كان من حق السيد أن يلاحق الأقنان الهاربين ويعيدهم بالقوة، علما بان هؤلاء الأقنان كانوا أحيانا يؤلفون فصائل من قطاع الطرق تجوس ربوع البلد وتنكل بالإفرنج المكروهين[6] ولم يكن جميع الحجاج الذين يتوافدون من الغرب في عيون السكان المحليين سوى غزاة لم يكن من المتوقع منهم فعل الخير، لهذا كانوا يقيمون في وجوههم شتى العوائق، وفي سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٣م زار الروسي دانيال فلسطين وكتب عن رحلته..

وأحداث حالة من الفوضى الاجتماعية دفعت الملك للدعوة إلى عقد مجمع كنسي في نابلس عام٥١٤هـ/ ١١٢٠م

---

(١) انظر:

Smill, The Crusades, p. ٤٨

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٨٩-٥٩٠

وانظر ايضاً: بوديس، الصليبيون في الشرق، ص١٣٣-١٣٥

(٣) انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٨٨

(٤) انظر قصة مشابهة عند أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٢٢٨، ٢٣٠

(٥) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٨٦

(٦) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٥٨٦

http://www.al-maktabeh.com

ترتب عليه إصدار بلدوين الثاني مرسوما ملكياً مختوما يهدف إلى إنعاش الوضع الإقتصادي تضمن مايلي:

١: إعفاء جميع سكان مدينة القدس واللأتين من دفع أي ضريبة على السلع بغض النظر عن نوعها وسواء كانت مصدرة أم مستوردة.

٢: منح اللاتين أمتياز البيع والشراء داخل المدينة من دون ضريبة

٣: منح السريان والأغريق والأرمن وجميع التجار بمن فيهم العرب والمسلمون - وليسوا من سكان المدينة - حرية نقل القمح والشعير واي نوع من أنواع الحبوب إلى داخل المدينة ودون ضريبة.

٤: إلغاء ضريبة الموازين والمكاييل[١]. وبذلك حقق فائدتين مهمتين لإستقرار المملكة وهما١: توفير كافة أحتياجاتها من المؤن التي كانت تتناقص بفعل الظروف السابق ذكرها، كما أمن احتياجات المملكة من محصول القمح الذي كانت تعتمد سابقاً في توفيره من خلال التجار الايطاليين " كانت الأساطيل الصغيرة من سفن التجار تجهز في القرنين ٦+٧هـ/ ١٢+١٣ وتنطلق بإنتظام إلى الشرق كانوا يشحنونها بشتى أنواع البضائع ولاسيما الطحين "لان الحبوب كانت من الإنتاج المحلي لم تكن تكفي حاجة الدويلات الصليبية في الشرق"[٢].

٢: زاد عدد سكان المدينة سواء المقيمين فيها أم الداخلين اليها بهدف التبادل التجاري. وتجدر الملاحظة أن المسلمين لم يسمح لهم بالإقامة الإ حولها[٣]. ويلاحظ أن عهد لبلدوين الثاني أستهدف توسيع حدود المملكة على حساب الإمارات الصليبية فبدأ اولا بفرض وصايته على إمارة أنطاكية ثم توجه في عام٥١٦هـ/ ١١٢٢م، إلى طرابلس بحجة عدم تقديم حاكمها بونز يمين الولاء والطاعة له، الإ أنه غير وجهته على إثر وصول الأنباء عن غزو بلك بن بهرام أنطاكية وأسر جوسلين كونت الرها، أشتبك بلدوين مع بلك بالقرب من تل باشر حيث هزم الصليبيون وأسر بلدوين الثاني[٤]. وسرعان ما أجتمع كبارأمراء المملكة والبطريرك ليختاروا من بينهم كافلا

---

(١) ثيودوريش، وصف، ص١٢٥. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٨٩-١٩٠; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٨٦-٥٨٧

وتتضح هذه المبادئ في وصف ابن جبير لطبيعة العلاقات بين المسلمين والصليبيين وقت الحرب - إذ يشير إلى أن صلاح الدين حاصر الكرك وضيق عليه وهي واقعة على الطريق التجاري ومع ذلك "واختلاف القوافلمن إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك". ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢٦٠

(٢) ثيودوريش، وصف، ص١٢٥. انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٩

(٣) ثيودوريش، وصف، ص١٢٥

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٠٦، ٤٢٠؛ ابوالفداء، المختصر، ص٥٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

للمملكة، ووقع الإختيار على يوستاس غرينر حاكم صيداً وقيسارية[١]. وعـادوا جمـيعهم كـل إلى مدينتـه[٢]. هـذا وقد أمتازت الفترة المنصرمة من عهد بلدوين الثاني مـن٥١٦هـ/١١٢١-١١٢٢م برخـاء إقتصـادي تـزامن مـع عـدم حدوث أي مواجهة عسكرية مع السلاجقة أم الفاطميين[٣]. وتصادف على إثر هذه الأحداث وفاة يوستاس غرينر كافل المملكة وحل محله حاكم طبرية وليم دي بـري[٤]. وكانـت اولى اعمالـه فـرض الحصـار عـلى صـور.. وتجـدر الملاحظة أن حدة لهجة الراوي الصليبي للأحداث، وان بدأت تخف مسبقا، الإ أنها بدات بالظهور الجلي في هـذه الفترة، فيخاطبنا الشارتري قائلا لدينا هنا أحفاد واولاد أحفاد ويعتني البعض بزراعة الكرمة وبحـرث الحقـول[٥].. وقد بلغ أندماج الصليبيين بوطنهم الجديد اوج وضوحه بوصول الملك بلدوين الثالـث عـام ٥٣٨هـ/١١٤٣م، وهـو اول ملك أفرنجي ولد على أرض عربية أسلامية. وقد بدأ الخلاف يظهر ويحتد بين فرنجة الشرق وفرنجـة الغـرب مع وصول الحملة الصليبية الثانيـة عـام ٥٤٣هـ / ١١٤٧م، وبـداوا بتبـادل الإتهامـات فيصـف الغـربيين المشـارقة بالخيانة لمصادقتهم المسلمين وعقدهم معاهدات سلمية، ويصـف المشـارقة الغربيـون بالشراسـة وسـوء الخلـق، حتى أن الفرنجة المشارقة أستطاعوا أن يكسبوا صداقة المسـلمين أكـثر مـن القـادمين حـديثا مـن الغـرب. . ومـع إطلالة عام٥٢١هـ/١١٢٧م عمْ منطقة فلسطين وصولا إلى عكا وباء الطاعون لإنتشار الجرذان في ذلك العام بشكل كبير[٦]، ولايخفى ما يتبع مثل هذا الوباء من تناقص في أعداد السكان وتراجع الزراعة وتلوث المياه ويترتب عليـه تراجع الحركة التجارية إذ تصبح المنطقة شبه مغلقة. وقد شهد تموز من عام٥٢١هـ/ ١١٢٨م تطوراً كنسياً جديداً

---

(١)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٩٢-١٩٣; Williamof Tyre, A History of Deeds, p. ٥٩١

(٢)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٩٣

(٣)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ١٩٣

(٤)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, pp. ١٩٥-١٩٦; William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٥٩٦-٥٩٧

(٥)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢١٨

(٦)انظر:

Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p. ٢٤٢

http://www.al-maktabeh.com

إذ تم ترفيع كنيسة صور إلى أسقفية. وتوفي في العام نفسه بطريرك القدس ومن هذا الموقف ومما سبقه من مشاركة دايمبرت البطريرك السابق في حصار حيفاً يستنتج المرء مدى الصلاحية التي تمتع بها البطاركة وبأحقيتهم في التوسع والتمتع بحق الإدارة الذاتية في المناطق التي يتمكنون من السيطرة عليها، وهوما يمكن قياسه على الأمراء والبارونات. وهو إلا مر الذي يؤيده الصراع الذي نشب بين بين الملك بلدوين الثاني والبطريرك الجديد الذي طالب بيافاً حقاً مشروعاً لكنيسة القيامة وكذلك بعسقلان بعد الإستيلاء عليها، الإ أن وفاة البطريرك في عام٥٢٢هـ/١١٣٠م أنهت النزاع[١] مما يدل على أن مقدار السيادة والإدارة يعتمد على شخصية ونفوذ كل من الملك والبطريرك اوالأمير... وفي ربيع الأول ٥٢٢هـ/ شباط من ١١٣١م توفي بوهيمند الثاني أمير أنطاكية ليتوجه بلدوين اليها سريعاً لإعادتها تحت رعايته، وأثناء عودته من أنطاكية أصيب بلدوين الثاني بمرض خطير فأستدعى أبنته مليساند وزوجها فولك وأبنهما بلدوين الثالث وعهد اليهم بإدارة المملكة[٢].

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٤٥

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٧٠. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٥٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

عهد فولك الانجوي(٥٢٥هـ/ ١٤ ايلول ١١٣١م - ٥٣٨هـ- ١١٤٢م)

تم تنصيب فولك ملكا في٢٠ شوال ٥٢٥هـ/ ١٤ ايلول ١١٣١م[١]، وقد حاولت أميرة أنطاكية إستغلال وفاة والـدها والإنفراد بحكم أنطاكية الإ أن هذه الخطة فشلت إذ سارع فولك إلى قطع الاعانة الملكية لأنطاكيـة قرابـة العـام، ففي شعبان ٥٢٦هـ/ صيف ١١٣٢م عـادت أنطاكيـة إلى الرعايـة الملكيـة[٢]. وأثنـاء غيـاب الملـك في أنطاكيـة قـام بطريرك القدس ومن تبقى من أعيـان المملكـة ببنـاء قلعـة بـالقرب عـلى الطريـق إلى يافـاً " لان الحجـاج كـانوا يتعرضون لخطر كبير في الممر الجبلي الضـيق الواقـع بـين الشـعاب المتعـذر أجتنابهـا، وأعتـاد أهـالي عسـقلان أن يهجموا عليهم من هنا فجأة "[٣]. وفي ذي القعدة ٥٢٨هـ / ايلول ١١٣٤م، أنتهـت الهدنـة مـا بـين حـاكم دمشـق والفرنج الذين اتجهوا إلى حـوران، وهنـاك التقـى الطرفـان " وشرعـوا في إخـراب أمهـات الضـياع الحورانيـة.. ثـم أغفلهم شمس الملوك، ونهض في فريق وافر من العسكر، وهم لا يشـعرون، وقصـد بلادهـم: عكـا والنـاصرة ومـا جأورهما، وطبرية وما والأها، فظفر بما لا يحصى كثرة من المواشي والعوامل، والنسوان والصـبيان والرجـال، وقتـل من صادفه وسبى من ظهر له، وأحرق ما وجده"[٤]. وفي شوال ٥٣٣هـ/ صيف ١١٣٩م وصل حجاج جدد لم

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٦٩. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٥٢

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٧٤. وانظر ايضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p.٦٥٨

ويشير ابن العديم في رمضان ٥٢٧هـ/ صيف ١١٣٣م حاصر عماد الدين زنكي قلعة بارين التابعة لإمارة طرابلس وعلى الـرغم مـن العداء المستحكم بين فولك وبونزحاكم طرابلس الإ أنه تدخل لمساعدته بحكم الروابط العائلية وبحكم تحقيق الأمـن الجماعـي، ولم تحدث مواجهه عسكرية إذ سارع عماد الدين لرفع الحصاروسرعان ما سمع بحشد إسلامي في حلب أسـتعداداً للهجـوم عـلى أنطاكية فسارع إلى هناك، وبالقرب من حصن حارم اوقع هزيمة منكرة بالمسلمين، إلى أن نتيجة المعركة كانـت لصـالح المسـلمين. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢ ص٤٤٨

(٣) سايولوف، رحلة الحاج، ص٢٣. أنظر الحديث عن جبل الناصرة، دانيال الراهب، وصف، ص١٠١

انظر ايضا:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٦٢.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٧٠١. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٧٦

وأثناء انشغال الملك في يافاً قام شمس الملوك بوري (ت ٥٤٩- ١١٥٤م) حاكم دمشق بالإستيلاء على بانيـاس وأخـذ منهـا الأسرى الذين دفع الملك فديتهم، وكانت بانياس قد خضعت لسيطرة الاسماعيلية الذين أعادوها للصليبيين مقابل مبلغ مـن المـال " وفي

http://www.al-maktabeh.com

يستخدمهم فولك -لاول مرة - في مهاجمة مدن ساحلية وإنما إتجه إلى شرقي الأردن، فقد أصبح ايقاف الغارات القبلية اولوية تجاوزت التوسع الجغرافي للملكة وحتى خطر حملات الفاطميين في عسقلان اوالسلاجقة في دمشق[1]، وأستغل السلاجقة هذا الوضع وتوجهوا عبر أريحا والبحر الميت إلى أن وصلوا إلى عمواس التي أخلاها أهلها إلى أحد الكهوف[2] فحركة الجيوش لاتميز بين مسلم اومسيحي شرقي اوصليبي تدمر كل ما أمامها فكيف وكلهم يبحثون في ظل هذه الاوضاع الإقتصادية وخاصة الزراعية السئية عن المغانم. . وتولى مهمة التصدي لهم هذه المرة فرسان الداوية، وهرب السلاجقة إلى الخليل حيث أستعادوا تنظيمهم ليعاودوا الهجوم ويلحقوا الهزيمة بفرسان الداوية[3]، ولكنهم لم يهدفوا إلى أكثر من ذلك فعادوا أدراجهم[4]. وخاصة أن عماد الدين زنكي قد هاجم دمشق في٥٣٤هـ / ١١٤٠ م، وأرسل حاكم دمشق يطلب المساعدة من الصليبيين الذين سارعوا بتقديمها وفق شروط معينة مما أجبر زنكي على العودة إلى الموصل[5]. وظهر التعاون الصليبي الدمشقي في حصار بانياس

سنة ثلاث وخمسمائة أخذت الفرنج بانياس وجبيل بالأمان لعدم توافر الأقوات وشدة الغلاء". ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٦٨؛ ابوالفداء والمختصر، ص٧١. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٧٨

(١) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٧٣

وهنا يلفت الانتباه رينيه كروسيه، إلى ضرورة التمييز بين مرحلتين بصدد ردود افعال السلاجقة تجاه الاحتلال الفرنجي، ما قبل وما بعد طغتكين سياسة تناوبت فيها الحرب والهدنة المحلية مع الفرنجة وفي ذلك لم يكن هنالك خلاف بين الفاطميين والسلاجقة. رينيه كروسيه، صراع الشرق والغرب، ص١١٩.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٠٣

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٠٤

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٠٤-٧٠٥

(٥)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٠٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

الذي دام من ١-٢٤شوال ٥٣٤هـ /٢٠ ايار إلى ١٢ حزيران ١١٤٠ م[١] وبهدف تقليل توسع زنـكي[٢]، عـاد فولـك إلى القدس ليسارع في بناء قلعة جديدة أمام المدينة المقدسة[٣] لضرورة ايجاد علاج لأعـمال التخريـب الجرئيـة التـي كان أهل عسقلان يقترفونها[٤] وهنا يلاحظ الباحث أن سياسة فولك الأمنية هـدفت إلى الإبتعـاد عـن المواجهـات العسكرية المباشرة اوحتى فرض الحصار لمدة زمنية طويلة وأعتمدت بدلا من ذلك عـلى ١: بنـاء القـلاع وإعـتماد اسلوب الدفاع بدلا من الهجوم وهودفاع من وراء الأسوار بدلا من أن يكون دفاع مواجهة. ٢: الغـارات الخاطفـة والسريعة ضد القبائل البدوية والجماعات العسكرية غير المنطمة التي تستهدف تخريب الحقول وقطـع الطـرق. وربما يعود ذلك إلى جملة من الأسباب الإقتصادية والإجتماعية تتمثل في الاوضاع المعيشية الصعبة، وولادة جيـل صليبي جديد لا يعرف له وطنا إلا هذه الأرض ويمـتهن مهنـا عـدة غـير الفروسـية، ويمتلـك الأراضي التـي لايـتم إعمارها الإ في ظل الأمن والإستقرار.. وجاءت سياسة فولك بنتـائج ايجابيـة إذ خفـف بنـاء القـلاع مـن هجـمات المتتالية على المدينة، فأنه غالبا ما يسعى إلى عدم المغامرة بالحصار اوالقتال ويعمد إلى الإرتداد على أعقابه دون أن ينجز شئيا، كما أشترى الفرنج حصن بانياس من الإسماعيلية ٥٢٢هـ / ١١٢٨م[٥] بهدف السيطرة عـلى الطريـق التي تصل بين دمشق – صور – الساحل، الإ أن حكام دمشق سرعان مـا أعـادوا سـيطرتهم عليهـا، وأسـتمر الأمـر كذلك حتى أعاد احتلالها الملك فولك الذي استولى على قلعة الشقيف(البترون) من الأمير شهاب الدين المعني

---

(١) ترد هذه الأحداث عند ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٤٢٠. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٠٧

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٤٢٠. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٠٦-٧٠٧

(٣) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٢٨

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٢٨

(٥) من أهم الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ الاسماعيلية فترة الدراسة، يوسف ابراهيم الشيخ عبيد، اثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، ط١، دار المعالي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، وسيشار اليه لاحقاً بـ يوسف ابـراهيم الشـيخ عبيـد، اثر الحركات الباطنية، يحيى حسن عمار، تاريخ وادي التيم، ص٢٠١، برنارد لويس، الحشاشون فرقـة ثوريـة في تـاريخ الإسـلام، (ترجمة محمد العزب موسى) ط١، دار آزال – بيروت، (د. ت)، ص١٩١-١٩٦، وسيشار اليه لاحقاً بـ برنارد لويس، الحشاشون.

http://www.al-maktabeh.com

وأصبحت تابعة لحاكم صيداً سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م، وشرع في تقوية حصن صفد[1]، وقلعة الكوكب[2] إلى الجنوب منها وبنى قلعة صغيرة في بيت جبرين عام٥٣٢هـ / ١١٣٧، وتلاها قلعة الصافية[3] وقلعة يبنى سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢م. وفي الربيع بداً الذين يقيمون في المنطقة المجاورة يضعون ثقة كبيرة في هذه القلعة أضافة إلى المعتقلين الآخرين، كما قامت حولها ضواحي كبيرة وكثيرة، وسكنت أعداد كبيرة من الأسر هناك أضافة إلى مزارعي الحقول ايضا، واصبحت المنطقة بأسرها أكثر أمنا لان الموقع كان مشغولا وتوافرت به المؤن لها وللمنطقة المحيطة بها[4].

وفي ٥٢٨-٥٢٩هـ/ ١١٣٤م وقع اول خلاف سياسي حقيقي بين الصليبين، بين الملك والبارونات، عندما رفض هيو حاكم يافاً الذي أدانته المحكمة فلجأ إلى عسقلان وساعد الحامية في نهب القرى والمدن[5]، وبعد ذلك توجه الملك لحصار يافاً وقد تخلى نبلاؤها عن اقطاعاتهم لصالح الملك، وتم توقيع معاهدة صلح بين الطرفين تضمنت نفي هيو لثلاثة أعوام، وان يعيد جميع الديون التي أستدأنها من عائدات ممتلكاته[6].

وشهد عهد فولك زيادة في الهجمات القادمة من عسقلان، ولهذا السبب قام ببناء قلعة أطلق عليها أسم عبلين اوبئر السبع ومنحت إلى رهبان الإسبتارية[7]، وهنا جاءه خطر من ناحية أخرى ففي عام ٥٣٠هـ/١١٣٦م حاصر

---

(١) أنظر الحاج بورشارد، وصف، ص٦٩؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٥.

(٢) كوكب الهوى : أسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة تشرف على الأردن، الحاج بورشارد، وصف، ص٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٤. انظر:

Le Strange, Palestine, p. ٤٨٣

(٣) قلعة الصافية، حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة، الحاج بورشارد، وصف، ص٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٩. انظر:

(٤) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٣٠

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٧٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٧٥

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٣٧٤. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٧٥

(٧) الاسبتارية: Kinghts of the Hospitale هي هيئة رهبانية عسكرية محاربة تعود جذورها إلى ما قبل الحملة الصليبية مرتبطة بطائفة تجار من أهالي أمالفي الايطالية أسسوا مستشفى لرعاية الجاج تطور حتى اصبح المستشفى مقر للرهبان المقاتلة واعترف بهم البابا رسميا في عام ١١١٣م. أنظر سميث، جوناثان رايلي، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ط١(ترجمة صبحي الجابي)، دار طلاس للدراسات والنشر - دمشق، ١٩٨٩م وسيشار اليه لاحقاً بـ سميث، الاسبتارية.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عماد الدين بارين، وحاصر أمبراطور القسطنطينية أنطاكية نفسها في الوقت الذي كان عماد الدين يجبر الملك على الإستسلام، وكان بزواج ايضاً يجتاح المملكة ويدمر نابلس[1] التي كان جل فلاحيها من العرب والمسلمين[2]. ويمكن القول هنا أن أي عمل إسلامي كان كفيلا بتدمير الصليبيين لوكان منظما وبعيداً عن تحقيق الأغراض التوسعية الشخصية، وخاصة أن نابلس كانت شريان النشاط الزراعي للمملكة والممول الغذائي الرئيس لها، وهي عبارة عن مدينة واسعة، وتتوافر فيها مختلف الأنواع وتقع بين جبلين مرتفعين، ويتخلل المدينة عدد من الينابيع العذبة الباردة المياه، ويكثر في أراضيها جميع أنواع أشجار الفاكهة مثل التين، والبندق، والخروب، وأشجار الزيتون التي تحيط بها مثل الغابات الكثيفة، وعلى حدودها توجد حقول غنية بجميع أنواع الحنطة. وتتسم أراضي المدينة بوجه عام بجمالها، وتنتج الزيت، والنبيذ، والقمح، والفاكهة بكثرة، وتستورد مدينة بيت المقدس جميع ما تحتاجه من طعام منها[3] ومما زاد من سوء اوضاع الصلبيين هو الرياح العاصفة عام ٥٣١هـ / ١١٣٦[4] والزلازل المدمر عام٥٣٢هـ/١١٣٧ و٥٣٣/ ١١٣٧ الذي أصاب الشام وفيه "هلك خلق تحت الردم"[5].

عهد بلدوين الثالث (٥٣٧هـ/تشرين الثاني ١١٤٢م - ٥٥٨هـ/١١٦٣م)

توفي فولك ملك بيت المقدس في مطلع ربيع الثاني٥٣٧هـ/ تشرين الثاني ١١٤٢م، وهو في رحلة صيد في سهل عكا[6]، وتولى أبنه بلدوين الثالث العرش، أعتباراً من٢٠ ربيع الثاني٥٣٧هـ/ ١٠ تشرين الثاني٥٣٧هـ/ ١١٤٢م[7]. وقد حاول السلاجقة أستغلال العام الأول من حكم بلدوين والإستيلاء على وادي موسى " برضى ودعوة بعض الناس القاطنين في ذلك الجوار "[8]،

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٦٨٩-٦٩٠

(٢) ثيودوريش، وصف، ص١٢٥

(٣) دانيال الراهب، وصف، ص٩٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٧

(٤) ابن الأثير، الكامل. ج٨، ص٧٣٧

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٤٣٢؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٤٦١؛ ابوالفداء، المختصر، ص٨٠-٨١

(٦)ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص٤٣٣. انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٣

(٧)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٣٦

(٨)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٤١

http://www.al-maktabeh.com

وقد أستولوا عليه وقتلوا الصليبيين فيه، وما أن وصل الخبر إلى القدس حتى وجهوا حملة عبرت البحر الميت وصولا إلى وادي موسى، وقد أخلى جميع سكان المنطقة مواقعهم من أمام الصليبيين إلى داخل القلعة المنيعة التي وقف الصليبيون عاجزين أمام أسوراها، فلجاوا إلى قطع أشجار الزيتون الكثيفة التي تحيط بالقلعة - وهي مصدر رزق أساسي للسكان الذين عملوا مباشرة على تسليم القلعة شريطة السماح للسلاجقة بالمغادرة سلما كل ذلك للحفاظ على أشجار الزيتون[١]. وتتركز الأحداث والروايات في الفترة التالية على أحداث الرها التي سبق لعماد الدين زنكي أن أستعادها في عام ٥٣٧هـ / ١١٤٢م[٢] واستردها جوسلين الثاني في عام٥٣٨هـ/ ١١٤٤م[٣] وبقي كذلك حتى عام ٥٣٩هـ / ١١٤٦م[٤] حين أستعادها نور الدين محمود زنكي نهائيا، وقد تسبب ذلك في قدوم الحملة الصليبية الثانية التي انطلقت في ٥٤١هـ/ وآذار ١١٤٦م حتى وصلت القدس في٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[٥].

وصلت التنظيمات المالية في المملكة إلى نضوجها ووضوحها في هذه الفترة وكانت على النحوالتالي:بالنسبة للضرائب التي كانت مقررة على السكان المحليين من حيث إنواعها ومقدارها وكيفية دفعها فقد وردت مفصلة في المصادر العربية المتأخرة، ويتضح منها انه لم يكن هناك تقدير لقيمة هذه الضريبة وانما تركت لتقدير الأمير الفرنجي صاحب ال اقطاعية، وعلى الفلاح أن يدفع ضريبة الرأس، بالاضافة إلى ضريبة الخراج التي عرفت عند الفرنج ب ترج، كما على القرى تقديم نصيب من أنتاجها، ويضاف على المسلمين دفع ضريبة العشر للكنائس

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٧٤١

وجرى بعد ذلك تحالف بين بلدوين الثالث وحاكم بصرى ضد انر حاكم دمشق، وعند وصول الجيش الصليبي إلى بصرى يجد انر محتلا للمدينة فيعود أدراجه إلى القدس ويواجه محاولات لإعتراض طريقه من قبل انر وقد انتهت تلك المحاولات بعقد معاهدة سلام بين الطرفين.

(٢) انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٣٧-٧٤٠

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٥٢-٧٥٣

(٤)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٥٤-٧٥٦

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص٧٣٥

William of Tyre, A History of Deeds, pp. ٧٥٨-٧٥٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

ودفع ضرائب للدولة عن الأشجار المثمرة، وضرائب عـن النقـل، والرسـوم القضـائية[1]. واوجـد الصـليبون نظامـا جديداً يقضي بإحتكار السادة ال اقطاعيين للمعاصر والأفران والمطـاحن، التـي يقضي. أسـتخدامها بـدفع ضرائـب أضافية. هذا بالاضافة إلى الضرائب المستحدثة التي كانت تواكب الإحتياجات الحربية مثل بناء الأسـوار وتـرميم القلاع[2].

وكانت معظم الفوائد التي تجنى من الأرض تأتي من إسـتغلال الفلاحـين الـذين يزرعونهـا، وكـان هـؤلاء يعطـون سادتهم سنوياً حصة من المحصول اوما يعادلها مـن المـال ويخضـعون إلى جانـب ذلـك إلى ضرائـب معينـة مثـل ضريبة الراس وضريبة العشر التي تؤدى إلى الكنيسة[3] ويؤدون بعض الخدمات. كما كان سـيد المقاطعـة يحصّـل أتاوة من التجار والبدوالرّحل الذين يجتـازون أراضـيه لقـاء حمايتـه لهـم. . وكـان البـدو تـابعين مبـاشرة للملـك وخاصة بدوالخليل[4] واول ما يلاحظ بشان ممارسات وتجاوزات اهل البلاد، على إخـتلاف هويـاتهم وأنـتماءاتهم الدينية والمذهبية أنها كانت في الأعم الأغلب ردات فعل إنفعالية تجاه الأحداث، ونادراً ما كانـت أعـمالاً صـادرة عن تخطيط مسبق وإرادة واعية. ... وهي بالتالي ردات فعل إنفعالية لا إرادية، ولاتخرج عن كونها نتاج ظروف

---

(١)انظر:

Harold S. Fink, the Foundation of the Latin, p. ٤٠

وانظر ايضاً: زابورووف، الصليبيون، ص١٣٤

(٢) للتعرف على القلاع الشامية في العهد الصليبي أنظر طالب الصواني، القلاع في شمال فلسـطين في فـترة الصراع الفرنجـي، ط١، مؤسسة الاسوار – عكا، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. وسيشار اليه لاحقاًبـ طالب الصواني، القلاع في شمال فلسطين. اكرم الساطع، حصون وقلاع، ط١، (د. ن) ١٩٨٤م. وسيشار اليه لاحقاً بـ اكرم السـاطع، حصـون وقـلاع، مـولر-فيـنر، فولفغـانغ، القـلاع ايـام الحـروب الصليبيه (ترجمة محمد وليد الجلاد) دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، وسيشار اليه لاحقاً بـ مولر، القلاع، اجفان الصغير، القلاع في فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادي والاجتماعـي والاداري عنـد المسـلمين في بـلاد الشـام (سـهيل زكـار مشرف)رسـالة جامعيـة (ماجستير) - جامعة دمشق، ١٩٩٥ وسيشار اليه لاحقاً بـ اجفان الصغير، القلاع

(٣) ابن جبير، رسالة أعتبار، ص٢١٦

(٤)انظر:

Harold S. Fink, The Foundation of the Latin, p. ٤٠

وكان هذا القانون قد صدر عن مرسوم نابلس ١١٢٠م، في دراسة هذا القانون لدلالة على سوء اوضاع الفلاحون وتدني مستوأهم حتى اصبحوا يعاملوا كالعبيد، ولذلك كانوا يقفون إلى جانب المسلمين. زابورووف، الصليبيون، ص١٣٤، ١٣٦

http://www.al-maktabeh.com

طارئة..... وقد أتسمت ممارسات وسلوكيات الغالبية الساحقة من أهالي البلاد بالإفتقار إلى الثبات وبالتذبذب بين الموقف وضده، وليس كما ذهب البعض أن وجود الصليبين في نظرهم لم يتجاوز حلول طبقة عسكرية حاكمة محل أخرى[١]، وليس كما ذهب الغالبية العظمى بوصفها دليلا على بسالة المسلمين ومقاومتهم الغازي في سلسلة حروب لم تنقطع، وليست ايضاً تعبيراً عن ورع الصليبيين وتمسكهم بالدين والفكرة الصليبية، وكانت الموارد العسكرية الفرنجية تتقلص بإسترداد المسلمين للاراضي وتشير المصادر إلى تكرار حدوث الزلازل في بلاد الشام إلى جانب موجات القحط والجراد والحروب الاقطاعية صغيرة المستوى بين السادة ال اقطاعيين والأمراء المسلمين، وكان من نتائج ذلك شح المحاصيل وبوار الأراضي الصالحة للزراعة وركود التجارة، ولم يعد بوسع الفلاح والمستأجر دفع ما عليهم من التزامات يتوقف عليها تنظيم الحكومة والعمل العسكري بشكل فعّال، وعلى الرغم تنظيم العلاقات ما بين الفرنجة والفلاحين المحليين الإ أنهم لم يتخلوا عن نصرة المسلمين في أي وقت يهاجمون فيه أراضي الصليبيين وخاصة من حيث أمدادهم بالمعلومات الكافية عن اوضاعهم، ومن مثال ذلك ما سجلّه وليم الصوري من أن بعض فلاحي البتراء – وكانت تحت الحكم الصليبي- أستجاروا في العام٥٣٨هـ/ ١١٤٤ او١١٤٥م بالسلاجقة الذين سارعوا وأحتلوا قلعة الوعيرة[٢] فبادر الملك بلدوين الثالث بإرسال قوة نجحت في طرد السلاجقة وأتخذت القلعة مقراً لحامية فرنجية قوية[٣]، فالترابط العرقي والحضاري واللغوي كان أقوى من الترابط الديني، وهنا يجدر التأكيد مراراً على أن الصليبيين لم يميزوا في مواقفهم بين السكان المحليين على أساس

---

(١)انظر:

Smill, The Crusades, pp. ٥٧-١٠٥

والذي يشير إلى أن اوضاع الفلاحين في بلاد الشام كانت مهيأة لتقبل النظم ال اقطاعية الفرنجية لمعرفتهم المسبقة بنظام ال اقطاع الحربي السلجوقي وبدليل احتفاظ الفرنجة فيما بعد بنظام الحسابات والسجلات المعروف في بلادالشام، يشير بوديس بتفصيل إلى الضرائب وانواعها تحت الحكم الصليبي، ويؤكد ايضاً عدم وجود ادلة أو براهين على أن الفرنجة قد احسنوا معاملة المزارعين المسلمين أو أنهم قد خففوا عنهم الضرائب، بل يذهب إلى العكس معتمداً على الاشارات المتكررة إلى تعرض الحجاج الفرنج إلى الاعتداءات من السكان المحليين واعتبارهم للفرنجة كلهم أعداء، بوديس، الصليبون في الشرق، ص١٣٥-١٣٩

(٢) الوعيرة : حصن في جبال الشراة قرب وادي موسى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٠،

انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٦١; Le Strange, Palestine, p. ٥٥٠

(٣)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٦١

مكتبة المهتدين الإسلامية

الإنتماء الديني فالمسلمون والمسيحيون الشرقيون، ولذلك سواء واجه الفرنجة بمواردهم المحدودة مأزقاً صعبا كان ايجاد المخرج الصحيح له مهما كل الأهمية لوجودهم في بلاد الشام، فقد كان خصمهم شديد البأس ويسعى إلى تدمير جميع الإتصالات الاجتماعية والتجارية في ذلك الحين، وإلى تقليص موارد السلطة الضرورية لممارسة الحكم بتخريب المناطق الريفية ومصادر الدخل التي يعتمدها تنظيم الدفاع العسكري في خاتمة المطاف، الأمر الذي كان يستلزم إرسال جيش ضده، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بسحب حاميات المدن والقلاع، وتشير دلائل كثيرة على أن وجود جيش ميداني قوي مع حاميات مناسبة في أن واحد كان أمر"ا مستحيلا للفرنجة في الحقبة الأولى من أحتلالهم الساحل الشامي، وقبل أن ينّموا مواردهم إلى حد الكمال كما كان صعبا للغاية في العهود المتأخرة عندما أخذت تلك الموارد تعجز تدريجياً عن تحويل المقاومة ضد القوة المحلية الصاعدة المسلحة. ومع ذلك يشيرالبعض إلى أن الغزوالصليبي لم يتسبب في إحداث مجاعة اوعمليات النهب التي قد لايمنع الغزومن الإأنه لاتنقصنا الشواهد التاريخية التي تثبت قيام هؤلاء الغزاة بالنهب والحرق وإجلاء الوف الفلاحين عن قرأهم، ونظراً لخلوالمصادر من البيانات العددية للسكان في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة خلال القرن الحادي عشر، وعدم الإشارة إلى هجرات جماعية وتحديد تاريخها وأماكن أستقرارها - باستثناء هجرة آل قدامة في حوالي ٥٥٨هـ من نابلس إلى دمشق[٢] -الإ أنه لايمكن انكار انخفاض نسب الهجرات وخاصة بعد الربع الأول من الوجود الفرنجي، ويشير سميث إلى أن المدن اصبحت المسيطرة على الريف الخالي من السكان، ومثال ذلك صور البالغ عدد سكأنها ثلاثين الفاً تسيطر على منطقة زراعية يقطنها تسعة الآف شخص وهنا يمكن تقسيم الهجرات التي تعرضت لها بلاد الشام إلى ثلاثة انواع الأولى وهي الاقل عدداً عندما قام الصليبيون بالسماح لبعض القادة بالخروج قبل اجتياح المدينة كما حدث في القدس٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م والثانية عندما بدأت المدن تستسلم بموجب عهود ومواثيق تكفل حرية مغادرة المدن كما حدث في ارسوف٤٩٤هـ/ ١١٠١م، واما الثالثة فتتكون من السكان الذين اخلوا مدنهم بالكامل خوفاً من غزو الفرنجة مثل اهالي الرملة٤٩٤هـ/ ١١٠١م [٣]، ولم يقتصر إخلاء المدن على التهجير وانما لعب انتشار الأمراض الوبائية والمجاعات المرافقة لحركة الجيوش اوالتغيرات

---

(١)انظر:

William of Tyre, A History of Deeds, p. ٦٦١

(٢) محمد بن علي بن أحمد، ابن طولون الصالحي(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م). القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ج، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية - دمشق، ط١، ١٩٨٠م، ص٦٧

(٣) سميث، الإسبتارية، ص٢٣، يوشع براور، عالم الصليبيين، ص٣٧

http://www.al-maktabeh.com

المناخية دوراً في انحطاط السكان بأعداد هائلة. ويمكن القول بالمجمل أن وضع سكان المدن كان أفضل من سكان الريف، فقد كانوا يعتصمون خلف الأسوار والقرى في طريق الجيوش الغازية.

الخاتمة

وفي النهاية خلصت الدراسة إلى ما يأتي:-

* أن الدراسات العربية للحملة الصليبية الأولى وما تلاها على الرغم من كثرتها الا أنها لم تغنِ المكتبة العربية بمعلومات وفيرة عن الحروب الصليبية بشكل عام والحملة الأولى بشكل خاص اذ أنها ركزت على الأحداث السياسية والعسكرية دون أن تعط للجوانب الإجتماعية الشيء الجديد مما جعل اغلبها يكرر بعضه البعض وجاءت بعض الكتابات الاخرى انشائية مما يستدعي دراسات جديدة تتناول قضاياً اجتماعية ومحلية في فترة الحملة الصليبية الأولى . . .

* أن الحرب الصليبية في حقيقتها هي حرب دينية استغلت لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية، بدات تنمو من خلال احتكاك الشرق بالغرب من خلال الحج المسيحي أو حروب الإسترداد، وهذا مايتمثل في فرنسا خاصة، وبدأ تتغلغل فكرتها من خلال استنجادات الإمبراطورية البيزنطية المستمرة، وتركز معظم الدراسات على تكرار نفسها فيما يتعلق باسباب قيام الحروب الصليبية من خلال تقسيمها إلى عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وسياسية سادت المجتمع الأوروبي الفترة ماقبل إعلان الحملة الأولى على قضية التهيئة النفسية والمجتمعية للأوربيين لعملية الغزو الأوروبي من خلال ايجاد مجموعات بشرية مؤهلة للانفجار في اية لحظة ضد الشرق العربي .

* كانت بلاد الشام مهيأة لانجاح مثل هذا الغزو اذ سادها الخلاف السياسي واثرت الحروب التي شهدتها ما بين السلاجقة والفاطميين حينا والسلاجقة والبيزنطيين حيناً آخر على ايجاد حالة من عدم الولاء الديني والسياسي لدى الأفراد والذين كانوا معتادين على الرضوخ إلى سلطة جديدة بين الحين والآخر، بل أنه ادى إلى احداث حالة من عدم الاستقرار السكاني ايضاً بالاضافة إلى غلبة العنصر المسيحي العددية على اغلب المناطق مما جعلهم بداية يتعاونون مع الصليبيين، منقسمين في ذلك إلى ثلاث فئات وهي أ:_ فئة اعتقدت أن الصليبيين جاؤوا لمساعدتهم وأنهم حلفاء الإمبراطورية البيزنطية صاحبة الولاية الدينية عليهما(المسيحيون ما بين نيقية - انطاكيا). ب:_ فئة حاولت استغلال هذه الحرب لاقامة دويلات خاصة بها(الأرمن في اسياً الصغرى)، ج:_ فئة(وهي الأغلبية) اقدمت على مساندة الصليبيين اما اتقاء لشرهم أو كأجراء اعتادت على القيام به في اثناء الصراع باستغلال المتصارعين لتحقيق مكاسب شخصية مثل بيع السلع أو المعلومات والاخبار.

http://www.al-maktabeh.com

* أن السكان عامة والمسلمين خاصة لم يستوعبوا حقيقة الحملة الصليبية الأولى واختلافها عما اعتادوا عليه من صراع بين المسلمين والبيزنطيين الا متأخراً والذي جاء على اثر المذابح الجماعية في أنطاكية وما تلاها، مما يظهر السكان وكأنهم مغيبين عن الساحة السياسية أو أنهم مجرد منفذين للنتائج التي تسفر عنها الحروب فاعتادوا أن لايسألوا عنها أو يتدخلوا بمجرياتها فهم لايتغير عليهم من هوية المنتصر إلى جهة دفع الضريبة . . . .

* عانى الصليبيون طوال رحلتهم المسلحة إلى بيت المقدس من مجموعة الأخطارالطبيعية تمثلت بالزلازل وموجات الحر والبرد أضافة إلى الصعوبة التضاريسية للمنطقة كانت كفيلة بالقضاء عليهم لو رافقها وعي شعبي بحقيقة الحملة ودوافعها التدميرية والاستيطانية، وما يدل على ذلك هو الفرق الهائل بين اعداد الصليبين الذين خرجوا في الحملة والذين صوروا كخروج جماعي لأوروبا نحو الشرق، وبين الواصلين للمدينة المقدسة والتي كانت تبدوا وكأنها خالية عليهم من السكان في صورة تدل على قلتهم العددية والتي لم تبلغ عدة الآف. . .

* تمكن الصليبون من انشاء مملكتهم بفعل حالة الرعب والهستيرياً التي سادت المشرق العربي، بعد انتشار القصص والاخبار عن وحشية الصليبيين بفعل تأخر حركة المقاومة الرسمية والشعبية، ولابد أنهم ايضاً تمكنوا من انشاء دولتهم ونظمهم السياسية والادارية بفعل ما اعتاد عليه اهالي بلاد الشام من سيطرة الغرباء عليهم وضرورة محاباتهم لاستغلال وكسب ما يمكن من الاموال من المتصارعين على حد سواء أكانوا مسلمين ام غيرهم. . . . .

مكتبة المهتدين الإسلامية

المصادر باللغة العربية:

الكتاب المقدس (العهد الجديد والقديم)، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، د.ن

أحمد بن علي الحريري، (ت بعد سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م):

الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

احمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

صبح الأعشى في صناعة الانشأ، ط١، ١٥ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت،١٤١٩ه/ ١٩٩٩م

نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ط٣، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة،١٤١١ه/ ١٩٩١م

أحمد بن علي بن عبد القادرالمقريزي (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م):

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط١، ٣ج، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٦٧م

السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، ٨ج،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية - بيروت١٤١٧ه/ ١٩٩٧م

أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ٣٢ج في ١٥مج، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م

http://www.al-maktabeh.com

أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م)

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين"، ط١، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث -بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م

أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)

كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية -بيروت، د. ت.

إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بـ: الإصطخري (ت ٢٧٤هـ/٨٨٨م)

كتاب مسالك الممالك، ط١، د. تحقيق ، مطابع بريل، ليدن،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧

أسامة بن مرشد بن منقذ الشيرزي ، (ت٥٨٤ هـ/١١٨٨م)

كتاب الاعتبار، ط٢، تحقيق عبدالكريم الأشتر، المكتب الإسلامي- بيروت،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

اسطفان الدويهي (ت١١١٥ هـ/ ١٧٠٤

تاريخ الأزمنة ، ط١، تحقيق الآباتي بطرس فهد، مطابع الكريم الحديثة - جونية،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٦م.

اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

البداية والنهاية، ١٧ج، ط٢، مكتبة المعارف -بيروت،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٧

إسماعيل أبو الفداء بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

تقويم البلدان، ط١، تحقيق رينود ومالك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية - باريس،١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م

المختصرفي اخبار البشر، ط١، ٢ج، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

بنيامين يونة التطيلي النباري الأندلسي (ق٦هـ/١٢م)

رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، مطبعة الشروق - بغداد،١٣٤٦هـ/ ١٩٤٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

مترجم عن النص الإنجليزي بعنوان:

Benjami of Tudela, in Wright, Early. Travels in Palestaine, London, ١٨٤٨

صالح بن يحيى(ت ٩٣٨هـ/١٥٣١م)

أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت المعروف ب تاريخ بيروت، ط١، تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي، كمال سليمان الصليبي، دار المشرق- المطبعة الكاثوليكية -بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م

حمزة بن أسد بن علي بن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)

ذيل تاريخ دمشق، ط١، تحقيق سهيل زكار، دمشق،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

طلائع بن رزيك (ت ٥٥٦ هـ /١١٦٠م)

ديوان طلائع بن رزيك الملك الصالح، تحقيق محمد هادي الأميني، المكتبة الاهلية-النجف،١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤

عبد الحي بن احمد ابن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٩ج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

عبد الرحمن أبو شامة بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٤ج في ٢مج، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت ٨٠٨ هـ/. ١٥٠٤م)

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر المعروف ب تاريخ ابن خلدون، ٧ج، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار احياء التراث العربي- بيروت،١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

http://www.al-maktabeh.com

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ط١، ١٨ج، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

عبدالله بن محمد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

البستان الجامع، ط١، تحقيق عمر عبدالسلام التدمري المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

عبد الملك بن الكردبوس (ت بعد ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م

علي بن بسام الشنتيريني(ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق٤ مج١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨-١٩٧٩م.

علي بن محمد بن محمد بن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، ٩ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

علي بن موسى بن سعيد المغربي، (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)

بسط الأرض في الطول والعرض، ط١، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن- تطوان،١٣٧١هـ/ ١٩٥٨م

عمر بن احمد ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٣م)

زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ٢ج، ط١، دار الكتاب العربي- دمشق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

غريغورس بن أهرون بن العبري الملطي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٦م)

تاريخ مختصر الدول، ط١، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

محمد بن احمد المقدسي البشاري (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، د. تحقيق ، مكتبة مدبولي-القاهرة، ١٤١١ه/١٩٩١م

محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت٦١٤ه/١٢١٧م)

رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، ط١، د.تحقيق، دار صادر، بيروت،١٣٧٢ه/ ١٩٥٩م

محمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

سير أعلام النبلاء، ط٩، ٢٥ج، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٣ه/ ١٩٩٣م

محمد بن حوقل البغدادي (ت٣٦٧ه/٩٧٨م)

صورة الأرض, ط١، د.ت، ط١، مطابع بريل-ليدن،١٣٨٦ه/ ١٩٦٧

محمد بن عبدالله بن نشوان بن عبد الظاهر(ت٦٩١ هـ/١٢٩١م)

تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور وتناول الحقبة ما بين ٦٧٨ - ٦٨٩هـ تحقيق مراد كامل، الشركة العربية- القاهرة،١٣٨٠ه/ ١٩٦١م

محمد بن علي بن أحمد الصالحي(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ج، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية - دمشق، ط١،١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م

محمد بن علي بن محمد بن أحمد العظيمي (ت٥٥٦ه/ ١١٦٠م)

تاريخ العظيمي، تحقيق سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط١، ٢٥ج، دمشق، ١٤١٦ه/١٩٩٥م

محمد بن علي بن ميسر(ت٦٧٧ هـ /١٢٧٨م)

المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- القاهرة،١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م

http://www.al-maktabeh.com

محمد بن محمد الحسيني الإدريسي (٥٦٠هـ/١١٦٤م)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق شيرولي، بريل- نابولي،١٣٩٠ه/ ١٩٧٠م

محمود بن أحمد بن موسى العييني(ت٨٥٥ه/١٤٥١م)

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ط١، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م

ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

معجم البلدان، د.تحقيق ، ٥ج، دار صادر، بيروت،١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م

يوسف بن رافع بن تميم بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، د . تحقيق ، دار الفكر، بيروت، د. ت

يوسف بن سيف الدين بن تعزي بردي الاتابكي (ت٨٧٤ه/ ١٤٦٩م)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ٨ج، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ه/١٩٩٢م

يوسف بن قراوغلي سبط ابن الجوزي(ت٦٥٤ هـ/١٢٥٧م)

مرآة الزمان، د. تحقيق ، أحمد الثالث- تركيا د. ن

المصادر المترجمة

بطرس توديبود(ت ق٦ ه/ ١٢م)

تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية جون هيوج، ولوريتا هيل، نقله إلى العربية حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية -الاسكندرية ١٤١٩ه /١٩٩٩م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحاج بورشارد (ت ق٦ هـ/ ١٢م)

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق-عمّان، ١٩٩٥م، مترجم عن النص الإنجليزي:

Burchardes of Montsion. Description of the Holy Land Places, Trans. by Aubrey Stewart, ., vol. i, London, ١٩٨٥

دانيال الراهب (ت٦هـ/١٢م)

وصف الأرض المقدسة في فلسطين ١١٠٦-١١٠٧م، ط١، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق – عمان، ٢٠٠٣م، مترجم عن النص الانجليزي بعنوان:

Daniel, Pilgriage, of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land, Trans, by Wilson, P. P. T. S., vol. i, London, ١٩٨٥.

ثيودوريش(ت٦هـ/١٢م)

وصف الأماكن المقدسة في فلسطين القرن الثاني عشر الميلادي- السادس الهجري، ط١، ترجمة سعيد البشاوي، دار الشروق- عمان، ٢٠٠٣م، مترجم عن النص الانجليزي:

Theoderich, Description of The Holy Land Places, Trans. By Aubrey Stewart, p.p.t.s, vol. v, London,١٨٩٦

الرحالة الروسي سايولوف، (ت٦هـ/١٢م)

رحلة الحاج إلى بيت المقدس والاراضي المقدسة ١١٠٢-١١٠٣م، تحقيق سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق - ١٩٩٧م، ص٢٣، مترجم عن النص الانجليزي بعنوان:

Saewulf, Piligrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton,London,١٩٨٦

http://www.al-maktabeh.com

متى الرهاوي(ت حوالي ق٦هـ/ ١٢م)

تاريخ متى الرهاوي، سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج٥

يعقوب الفيتري(ت ق٧هـ/ ١٣م)

تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط١ دار الشروق -عمان١٩٩٨م/١٤١٩هـ.

المصادر باللغة الانجليزية

Anna Commena, The Alexiad, Translated from the Greek By E. R. A. Sewter, Penguin

Fulcher of Charter, A History of The Expedition to Jerrusalem,١٠٩٥-١١٢٧, Translated By Frances Rita Rayan ,edited By Harold S. Fink,W. W. Nrton& Company. INC,New York,١٩٧٣,p٣١

John Hugh Hill, ,,Raymond IV, Count of Toulouse,GreenWood Press,New York,١٩٨٠

Peters, Edward M,The first crusade: the chronicle of fulcher of chartres and Gesta Version, other source materials, University of Pennsylvania,١٩

william of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea,Trans, by Babcok & kery,New York,١٩٤٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

المراجع

المراجع باللغة العربية

احسان عباس

اوراق في التاريخ والادب، ط١، هزار-بيروت، ١٩٩٢م

اديب السيد

ارمينية في التاريخ العربي، ط١، د. ن، ١٩٧٢.

اكرم الساطع

حصون وقلاع، ط١، د. ن، ١٩٨٤م.

امين معلوف

الحروب الصليبية، ط١، ترجمة عفيف دمشقية، الفارابي- دمشق، ١٩٨٩م

انيس فريحة

اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، ط١، الجامعة الامريكية - بيروت، ١٩٥٦م إبراهيم خميس سلامة

دراسات في تاريخ الحروب الصليبية: جماعة الفرسان الداوية، ط١، دار المعرفة الجامعية_الاسكندرية، ٢٠٠٢م

بطرس ضو

تاريخ الموارنة الديني والسياسي، ط٢، ٣ج، د. ن، ١٩٧٧م

جعفر المهاجر

جبل عامل تحت الإحتلال الصليبي، ط١، دار الحق- بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

جوده حسين جودة

جغرافية لبنان الإقليمية، ط١، المعارف الاسكندرية، ١٩٨٥

http://www.al-maktabeh.com

زكي النقاش

أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة، دار لبنان- بيروت ١٩٧٠

سعيد عاشور

الحركة الصليبية، ٢ج، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٨٢م.

سركيس ابوزيد

الموارنة سؤال في الهوية دار ابعاد -بيروت، ٢٠٠٠ م

سمير عبده

المسيحيون السوريون، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ١٩٨١م.

السيد الباز العريني

مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٢م

شاكر مصطفى

التاريخ العربي والمؤرخون، ٤ج، ط١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٧٩م

شحادة خوري

خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية، ط٢، مطبعة بيت المقدس- القدس، ١٩٩٢م

صلاح الدين المنجد

معجم المؤرخين الدمشقيين، ط١، دار الكتاب - بيروت، ١٩٧٨ م

طالب الصواني

القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي، ط١، مؤسسة الاسوار - عكا، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

عباس أبو صالح

مكتبة المهتدين الإسلامية

تاريخ الموحدين الدروز السياسي، المجلس الدرزي – دمشق ، ١٩٨٠م.

عبد العزيز سالم

تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، ط١ مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، ١٩٨٦م

عبد العزيز سالم

التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية- ١٩٦٧م.

طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ١٩٨٤م. عبدالله الحلو

تحقيقات تاريخية في الاسماء الجغرافية السورية، ط١، داربيسان – بيروت، ١٩٩٩م عبدالله عبيدالله

تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق، ط١، ٨ج، دار ملفات- لبنان، ١٩٩٧م.

عبدالله الغنيم

سجل الزلازل العربي، ط١، الجمعية الجغرافية الكويتية_ االكويت، ٢٠٠٢م

عمر رضا كحالة

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط١، ٣ج، المطبعة الهاشمية – دمشق، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩

عمر عبد السلام التدمري

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ٢ج، ط٢، مؤسسة الرسالة -بيروت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

عوني فرسخ

الاقليات في التاريخ منذ الجاهلية وإلى اليوم ، رياض الريس- لندن ١٩٩٠.

كمال الصليبي

منطلق تاريخ لبنان(٦٣٤هـ/١٥١٦م)، ط١، منشورات كارافان- نيويورك، ١٩٧٩م

محمد أمين الطويل

http://www.al-maktabeh.com

تاريخ العلويين، ط٣ دار الاندلس -بيروت ١٩٧٧ .

محمد عنان

تراجم اسلامية، ط٢، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٧٠م.

محمد كوراني

الجذور التاريخية للمقاومة الاسلامية في جبل عامل ، دار الوسيلة- بيروت : ١٩٩٣م،

مصطفى الحياري

الإمارة الطائية في بلاد الشام، ط١، وزارة الثقافة والشباب – عمان، ١٩٧٧ م

القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمان- عمان، ١٩٩٤

نظير سعداوي

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ط١، النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٦٢م

نقولا زيادة

المسيحية والعرب، ط٤، دقمس- دمشق، ٢٠٠٢م

وائل عبد الرحيم

القدس في العهدين الفاطمي والايوبي، دار مجدلاوي -عمان، ٢٠٠٥م

يحيى حسين عمّار

تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة، ط١، ينطا، ١٩٨٥م يوسف ابراهيم الشيخ عبيد

اثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، ط١، دار المعالي- بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

يوسف الدبس

مكتبة المهتدين الإسلامية

تاريخ سورية الدنيوي والديني، ط١، ٩مج، المطبعة العمومية - بيروت، ١٩٠٢م

يوسف غوانمة

التاريخ الحضاري لشرقي الاردن في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر- عمان، ١٩٨٢

المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

أنتوني بردج

تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسانو، دار قتيبة - دمشق، ١٩٨٥م، وهو مترجم عـن الـنص الانجليـزي بعنوان:

Anthtony Bridg, , The Crusades, HarperCollins, ١٩٨٥

كارين ارمسترونج

الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ط١، ترجمة سـامي الكعـكي، دار الكتـاب العـربي، بيروت، ٢٠٠٤م، مترجم عن النص الإنجليزي:

Karen Armstrong: Holy War: The Crusaders and their Impact on Today's Word copyright, ٢٠٠١.

أنتوني ويست

الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، النـبراس للنشرـ والتوزيـع - بغـداد، ١٩٦٧م، مـترجم عـن الـنص الإنجليزي بعنوان:

West Anthony, The Crusades, Random House, January ١٩٥٤.

http://www.al-maktabeh.com

برنارد لويس

الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى ط١، دار آزال - بيروت، د. ت

بيريل سمالي

المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف- القاهرة، د.ت

سميث، جوناثان رايلي

الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ط١، ترجمة صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والنشر - دمشق، ١٩٨٩م

دومينيك بوديس

الصليبيون في الشرق، ترجمة زياد انطوان هاشم، ط١، المكتبة الشرقية - بيروت، ٢٠٠١م، مترجم عن النص الفرنسي بعنوان:

Dominique Baudis, Raimond, D Orient, Paru en,١٩٩٩

رينيه كروسيه

صراع الشرق والغرب، دار قتيبة- دمشق- ٢٠٠٢،

ميخائل زابوروف

الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، ط١، دار التقدم -موسكو، ١٩٨٦م

بالسيف والصليب، ترجمة هاشم حمادي، ط١، دار الراي- دمشق، ٢٠٠٦م

مرغليوث

دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، جامعة القاهرة- القاهرة، د. ت

مكتبة المهتدين الإسلامية

مولر- فينر، فولفغانغ

القلاع ايام الحروب الصليبيه ترجمة محمد وليد الجلاد دار الفكر- دمشق، . ١٩٨٤،

ميشيل بالار

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ط١، ترجمة بشير السباعي، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، ٢٠٠٣م.ترجم عن الأصل الفرنسي:

Michel Balar, Croisades ET Orient Latin, Xle - Xive Sieecle, Armnd Colin, Paris, ٢٠٠١

هاري المر بالمز

تاريخ التابة التاريخية، ط٢، ٢ج، ترجمة محمد عبدالرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٨٨م

هاملتون جب

صلاح الدين الايوبي، ط١، ترجمة يوسف أبيش، مؤسسة خليفة للطباعة- بيروت، ١٩٧٣م

يوشع براور

عالم الصليبين، ترجمة قاسم عبده قاسم، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية – القاهرة، ١٩٩٩م.

ترجم عن النص الانجليزي وهو بعنوان :

Joshua Braur, the World of the Crusades, Jerusalem, ١٩٧٢

http://www.al-maktabeh.com

المراجع باللغة الانجليزية:-

Charles Diehl, History of The Byzantine Empir,e U. P. -Brinceton, ١٩٢٥.

Francesco Gabrielli, Arab Historians of The Crusades, Routdege & Kegan Paul,London,١٩٦٩,

Jonathan Riley-Smith ,The ATLAS of the crusades, Times Books- London,١٩٩٠,

Jonnathan, Riley- Smith, The First Crusade &The Idea of Crusading , Arhloned Press- london, ١٩٨٦

KAMAL S. SALIBI," Maronite Historians of Medieval Lebanon", Beirut, ١٩٥٩

Le Strange"gey",Palestien under The Moslem BEIRUT,١٩٦٥

R. C. Smail, Crusading Warfare ١٠٩٧-١١٩٣, Cambridge, university Press, ١٩٥٦

Ronald . C. Finucan,Soldier of,The Faith Crusades & Moslems at War, J. M Dent & Sons LtdI, ١٩٨٨

Ralph B. Yewdale,Bohemond I: Prince of Antioch, U. P- Princeton,١٩٢٤,pp. ٣٤-٣٩,

Ross,J. S. H of fman, Medieval History, Revised by James J. Flunny, NewYork Press, ١٩٦٢.

Setton, Kenneth Meyer, A history of the Crusades,٦vol, University of Wisconsin Press- Madison,١٩٦٩,

Steven Runciman, A History of The Crusades,٣Vol,Cambreidg University Press,١٩٥١

Tamara, Talbot Rise, The Seljuks in Asia Minor , London, Thames & Hudson , ١٩٦١

Oldenbourg, Zoe The Crusades,Trans,Anne Carter,Pantheon, Book-New York, ١٩٦٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

المعاجم والموسوعات باللغة العربية

المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ط١، ٥مج، مركز الدراسات العسكرية – دمشق، ١٩٩٠،

الموسوعة الشامية ، سهيل زكار، ط١، ٢٥ج، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

الموسوعة الفلسطينية، ط١، ٤مج، هيئة الموسوعة الفلسطينية -دمشق، ١٩٨٤

المعاجم والموسوعات باللغة الانجليزية

Encyclopedia of Islam, ed. ٢, E. J. Brill, Leiden

Encyclopedia Americana, International ed, Americana Corp, New York : ١٩٧٨.

الرسائل الجامعية

اجفان الصغير، القلاع في فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادي والاجتماعي والاداري عند المسلمين في بلاد الشام سهيل زكار مشرف، رسالة جامعية ماجستير - جامعة دمشق ، ١٩٩٥

الدوريات باللغة العربية

سعيد عبد الفتاح عاشور١٣٩٤هـ/١٩٧٤، المجتمع الإسلامي، مؤتمر بلادالشام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ع ١٢،

فرديناند توتال اليسوعي، عام ١٩٤٩، "البطريرك اسطفان الدويهي" مجلة المشرق، ع ٤٣

عبد الحميد حاجيات، الحملة الصليبية الأولى واثرها في تطور العالم العربي عام ١٩٨٧م ، مجلة تاريخ العرب، ع ١٠٦،

كمال الصليبي ١٩٦٢م ، تعريف تاريخي بلبنان، مجلة ابحاث، ع١٥، ج٣،

محمد حسن حجازي السنة ١٩٧٩، جنوب لبنان تحت الاحتلال الصليبي، مجلة تاريخ العرب، ع٦ .

نبيه امين فارس١٩٦٤، حضارة العرب في القرن الثاني عشر، مجلة ابحاث، ع ١٧، ج٤

http://www.al-maktabeh.com

الدوريات باللغة الانجليزية

H. A. R. Gibb

the Latin States under Baldwin IIIand AmarlicI,١١٤٣-١١٧٤,vol. iv, p٥٣١,in Setton, Kenneth Meyer, A History of the Crusades,٦vol, University of Wisconsin Press-Madison,١٩٦٩,

Notes on The History of The early Crusades In ,BSOS,١٩٣٣, vol. viii,p٧٤٣

Harold S. Fink,The Foundation of The Latin States١٠٩٩=١١١٨,vol.i; p٣٣٢, in Setton, Kenneth Meyer, A History of the Crusades,٦vol, University of Wisconsin Press-Madison,١٩٦٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

الملاحق

ملحق رقم(١)

خطاب البابا أوربان الثاني : Pope B.Urban II[1]:

-ايها الأخوة الأحباء :

ياً خدم الله في هذه الديار : لقد اتيتكم أنا أوربان الحبر الأعظم، بإذن من الله حبر العالم أجمع، في هذه الفترة العصيبة الحرجة، نذيراً من العناية الإلهية، " وإنني لأمل أن يكون وكلاء سرائر الله صالحين مؤمنين لا يشوبهم رياء ".(كورنثوس، ٤ : ١-٢)[2] :

٢-إذا كان أحدكم منحرفاً اومخادعاً، بعيداً عن الاعتدال والتعقل والعدل. مانعاً كلمة الله على الأرض، فسأحاول بعون الله أن أقوم اعوجاجه، فالله قد جعلكم وكلاء على بيته حتى إذا ما حان الوقت زودتموه بما تيسر من القوت. وستحل عليكم البركة المؤكدة إذا ما وجدكم رب الوكالة مؤمنين " متى ٢٤ : ٤٥-٤٦ "[3].

٣-انكم تسمون رعاة، فلا تتصرفوا كالإجراء، كونوا رعاة حقيقيين واحملوا عصيكم بايديكم، ولا تغفلوا، واحرسوا من جميع النواحي القطيع الذي عُهد اليكم.(يوحنا ١٠ : ١٢-١٣)[4].

٤-أما إذا خطف الذئب، بسبب أهمالكم وتقصيركم، خروفاً فإنكم لم تخسروا ما أعده الله لكم فحسب بل ستلقون في جحيم من حقت عليهم اللعنات بعد أن تقرعكم عصا الجلاد[5].

٥-وكما جاء في الكتاب المقدس " أنتم ملح الأرض "(متى ٥-١٣)[6] ولكن إذا فشلتم فكيف يتم التمليح ؟ آه كم من الرجال يجب أن يملحوا(متى ٥ : ١٣[7]،(مرقس ٩ :٤٨)[8]، لوقاً ١٤ : ٣٤[9]) عليكم أن تملحوا، بملح حكمتكم

---

(١)Fulcher of Charter, , A History of The Expedition,p٦٢-٦٧

(٢)) الكتاب المقدس(العهد القديم والعهد الجديد)،دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط(بدون تاريخ نشر)، ص٢٧١، وسيشار اليه لاحقاً الكتاب المقدس

(٣)) الكتاب المقدس،ص٤٥

(٤)) الكتاب المقدس،ص١٦٦

(٥)الكتاب المقدس،ص١٦٦

(٦)الكتاب المقدس،ص٨

(٧)الكتاب المقدس،ص٨

(٨) الكتاب المقدس،ص٧٣

(٩) الكتاب المقدس،ص١٢٣

http://www.al-maktabeh.com

المصلحة، الجهلاء الذين يتكالبون على ملذات هذا العالم. وإلا فأنهم ينقلبون إلى حجارة بسبب طغيأنهم سيجدهم الله مفتقرين إلى ملح الحكمة عندما يخاطبهم.

٦-لأنه إذا وجد فيكم دوداً، أي خطايا، بسبب تقاعسكم عن القيام بواجبكم، فسيأمر بالحال بطرقكم محتقرين في قرارة جهنم(مرقس ٩ :٤٨)[1] وبما أنكم لن تقدروا على أن تعوضوا هذه الخسارة له، فسيحكم عليكم باللعنة ويقصيكم في الحال من حضرته ويحرمكم من محبته.

٧-ولكن الذي يملح عليه أن يكون حكيماً بعيد النظر، متواضعاً، عليماً محباً للسلام، باحثاً عن الحقيقة، تقياً عادلاً، منصفاً وطاهراً، إذ كيف يجعل الجاهل غيره عالماً،اوالمتعالي غيره متواضعاً والمدنس غيره طاهراً ؟ إذا كان المرء يكره السلام فكيف يستطيع إحقاق السلام ؟ وإذا ما تلوثت يداً امرئ فكيف يستطيع تنظيف من تلوث بقذارة أخرى ؟ فقد ورد في الكتاب أن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلأهما في حفرة(لوقاً ٦ : ٣٩)[2].

٨-إذن أصلحوا انفسكم اولاً حتى لا تجوز عليكم الملامة إذا ما أصلحتم من تحت وصايتكم. وان أردتم أن تكونوا حقاً أخلاء الله فاعملوا عن طيب خاطر بما يرضيه.

٩-أريدكم على الأخص أن تراعوا شؤون الكنيسة وان تحافظوا على شرائعها حتى لا تضرب هرطقات المتاجرة بالدين جذورها بينكم، واعلموا أن البائعين والشارين يلفحهم سوط الله(متى ٢١ : ١٢[3]، لوقاً ١٩ : ٤٥[4]، يوحنا ٢ : ١٥[5]) سوف يقادون تعساء وعبر أبواب ضيقة إلى الهلاك الشامل

١٠-صونوا حرية الكنيسة بكل مراتبها من القوى الدنيوية، وقوموا بدفع الأعشار من كل خيرات الأرض للرب بأمانة، فلا تباع ولا تستبقى.

١١-فلتحق اللعنة على كل من يختطف اسقفا، ولتحق اللعنة على كل من يختطف راهباً اوقساً أوراهبة . اوخدامهم، اوالحجاج اوالتجار، ويمسهم بالأذى، وليحق الطرد من الكنيسة والحرمان منها على اللصوص وحارقي البيوت وعلى كل من يمد لهم يد العون .

---

(١) الكتاب المقدس،ص٧٣

(٢)الكتاب المقدس،ص١٠٣

(٣) الكتاب المقدس،ص٣٩

(٤) الكتاب المقدس،ص١٢٢

(٥) الكتاب المقدس،ص١٤٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

١٢-لقد قال جريجوري السابع علينا أن نعتبر بشكل خاص مدى قسوة العقوبة التي سننزلها فيمن يسرق من الآخرين، إذا ما حقت عليه لعنة الجحيم، لأنه لم يكن كريماً بما ملكت يداه، وذاك ما حصل للرجل الغني في الرواية المعروفة في الكتاب المقدس(لوقاً ١٦ : ١٩-٣٠)[1]، فهولم يعاقب لسرقة أموال الآخرين بل لأنه أساء استعمال الثروة بعد أن حصل عليها.

١٣-يقال ياً أخوتي الأحباء أنكم رايتم العالم وقد عاث فيه الشر فساداً لأمد طويل، وخاصة في بعض نواحي مقاطعاتكم كما قيل لنا. ولربما سبب تقصيركم في أحقاق العدل أن لا يكاد يحرؤ أحد على السفر في الطرقات مؤملاً السلامة، خوفاً من الخطف على يد قطاع الطرق في النهار، اواللصوص في الليل، فهومعرض للعنف اوللاحتيال سواء كان في داخل المباني اوخارجها.

١٤- وعليه فأنه يتحتم عليكم تجديد المصالحة المعروفة باسم " مصالحة الله " التي أقرها الآباء المقدسون منذ أمد طويل،وأنني أحضكم بشدة على أن تراعوا تنفيذها بدقة في كل أبرشية، لا بل أقول أنه إذا ما نكث امرء، لطمع اولكبر في نفسه، عهود هذه المصالحة بملء إرادته فليحق عليه الحرمان بالسلطة المخولة من الله، وبإرادة هذا المجلس.

تحريضات البابا بخصوص الحج إلى القدس :

عندما تم الاتفاق على هذه الأمور، وغيرها، قام جميع الحاضرين، من الكهنة والعامة، بعفوية، بشكر الله، على كلمات الباب أوربان، ووعدوه مخلصين بإطاعة مراسيمه. ولكن البابا أضاف على الفور أن محنة لا تقل، بل تزيد، عن التي ذكرت بل هي أسوأ المحن على الإطلاق، تحيق بالمسيحية في طرف آخر من العالم.

قال " بما أنكم ياً أبناء الله قد وعدتموه بان تحفظوا السلام بينكم، وان تخلصوا أكثر مما مضى في المحافظة على حقوق الكنيسة، فان عليكم، وقد قوّم الله أعوجاجكم أن تؤدوا مهمة ملحة لكم ولله، تستطيعون الذين تظهروا فيها مدى صدق نواياكم، عليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم القاطنين في المشرق الذين يحتاجون إلى مساعدتكم وطالما التمسوها.

ان السلاجقة، وهم شعب فارسي، قد هاجموهم كما يعلم الكثيرون منكم، وتقدموا داخل الأراضي الرومانية إلى أن وصلوا إلى ذلك الجزء من البحر المتوسط الذي يدعى " ذراع القديس جورج " لقد انتزعوا شيئاً فشيئاً من أراضي المسيحيين، كما وهزموهم في سبع معارك حتى الآن، وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهدموا الكنائس ودموراً مملكة الله، وان سمحتم لهم بان يتابعوا عدوأنهم يصبح احتلالهم وقهرهم لشعب الله المؤمن اشمل وأعمّ.

---

(١) الكتاب المقدس،ص١٢٦

http://www.al-maktabeh.com

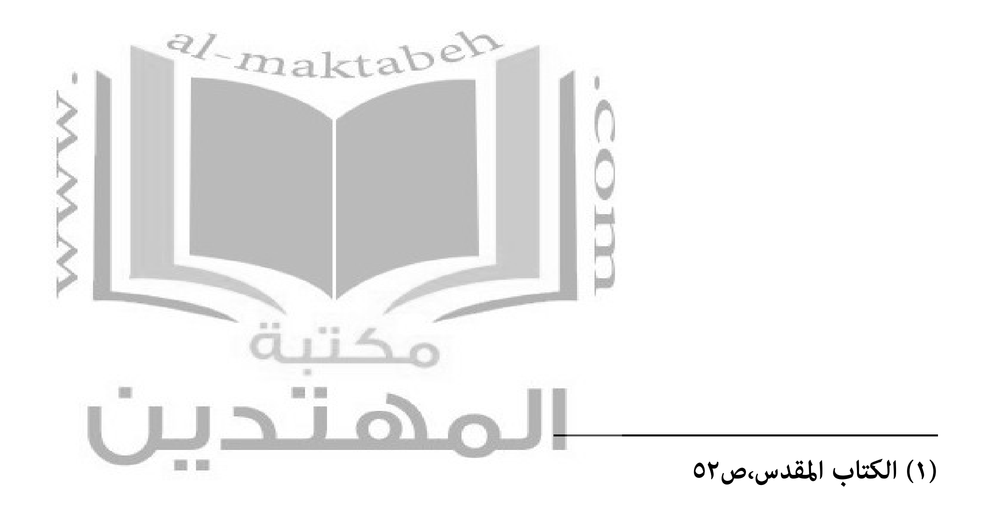
لذا وبصلاة خاشعة، فإنني، لا بل أن الله وليس أنا، يحثكم ياً جنود المسيح على أن تخضعوا الرجال مهما كانت مراتبهم، فرساناً كانوا أم مشاة، أغنياء كانوا أم فقراء، أن يسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من أراضينا، ويمدوا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الاوان.

إنني أخاطب الحاضرين، وأعلن للغائبين، وعلاوة على ذلك فان يسوع المسيح يأمر بما يلي : كل من يذهب إلى هناك سوف تغفر لهُ كل خطاياه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر اوعابراً البحر، اومقاتلاً الكفار إنني أمنح ذلك لكل من يذهب، مستمداً القوة من السلطة التي وضعها الله فيّ.

ياً خزينا، وياً عارنا، إذا ما انتصر جنس يتسم بهذه الحقارة والانحطاط، وتستعبده الشياطين والعفاريت، على شعب أنعم الله القدير عليه بالايمان وتباهى باسم المسيح ! آه كم من المعايير سترمون بها حتى من الرب نفسه إذا لم تقوموا بعون من يعتبرون مثل أنفسكم في الدين المسيحي.

وأضاف البابا : دع اولئك الذين اعتادوا على شن حروبهم الخاصة بطيش على المؤمنين، أن يزحفوا على الكفار بحرب تبدأ الان ولا تنتهي إلا بالنصر، ويصبح اولئك الذين طال كونهم لصوصاً جنوداً للمسيح، دع اولئك الذين حاربوا في الماضي ضد إخوأنهم وأقاربهم يحاربون بحق ضد البرابرة، دع اولئك الذين كانوا يستأجرون لقاء عدة قطع من الفضة(متى ٢٧: ٣)[١] يحصلون الان على ثواب مخلد، دع اولئك الذين كانوا ينهكون أنفسهم متلفين أجسادهم وأرواحهم يعملون الان للمجد المثني. أجل فعلى هذه الناحية سيقف التعساء والفقراء، وعلى تلك السعداء والأثرياء، هنا أعداء الله، وهناك أصدقاؤه.

لا تدعوا حائلاً يعق من يريد الذهاب، دعهم يرتبون أمورهم، ويجمعون أموالهم، وعندما ينتهي فصل الشتاء ويحل الربيع، دعهم يبدأون بحماس هذه الرحلة في رعاية الله ". ...



(١) الكتاب المقدس،ص٥٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

Title of Thesis

THE ١st CRUSADE IN BILAD Al-ShAM

(٤٩٢-٥٤٢ AH/ ١٠٩٧-١١٤٧

BY

Hala Abel-Hameed Ibrahim Al-Wraikat

Supervisor

Dr. Muhammad Adnan Al-Bakheet, Prof

ABSTRACT

This thesis sheds the light upon the conditions of Bilad Al-Sham during the ١st Crusade; in addition to all the political and social conditions that facilitated the success of the mentioned expedition and the establishment of a Latin Kingdom in the Latin Jerusalem in the period between (٤٩٢-٦٩٠ AH/ ١٠٩٩-١٢٩٢.

We paved the way for the current investigation by analyzing both the Arabic and Latin resources used in this study; with the aim of identifying their preliminary resources, the accuracy of their stories, the writers' attitudes and the reflections of all these upon the authenticity of the historical tale. The study also tackled the motivations of the ١st Crusade as for the European pilgrims' and Byzantine Empire's calls upon the Papal to support them against Muslims, analyzing the speech of Pope Urban II during the time period (١٨-٢٨), Nov. ١٠٩٥ and finally providing a quick review for the Crusade track from Clermont to Constantinople. The thesis also examined the political, military and human map for the Islamic frontier from the Byzantine borders till the Fatimid Egypt. A significant part of the study was dedicated to the Crusade extension

http://www.al-maktabeh.com

from Nicaea to Jerusalem, the role played by Christians; especially the Armenians in the Crusade, the famines and other environmental conditions that helped or impaired the success of the Crusade; in addition to the reaction of the Islamic forces found at that time. A review of the establishment of the Latin Empire was also provided a long side with all the internal administrative arrangements therein. The relationship between the Latin- Crusade Kingdom and the other crusade emirates in Raha, Antioch and Tripoli was presented in parallel with the Crusade-Local (Muslims & Christians) relationships. The Crusade extension trials for the sake of protection; particularly, in the Eastern part of Jordan, the historical evolution of the "fifty-fifty" concept and the impact thereof upon the reactions of the Islamic World (attitudes of Muslims & Christians) were all investigated in this thesis.



مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com